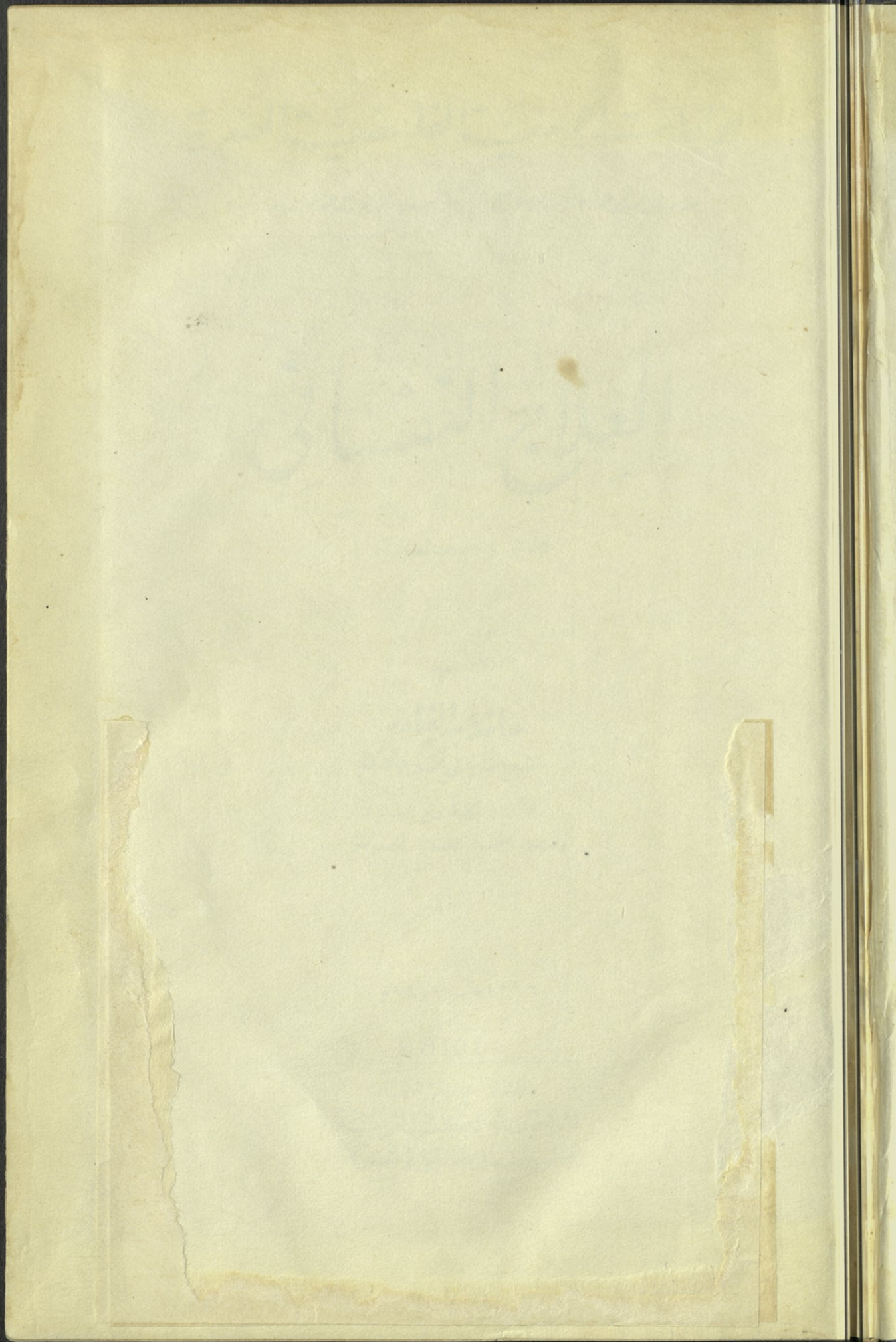


تجليد كتب  
ص: الدقر



St. Nicholas  
Oct. Oct. 1898

١٣١.٣

A13:FA

C.1

# مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

بمرف على مدارها: الدكتور زور فرهمي باشا رئيس الجمعية؛ والدكتور علي عبد الواحد رافعي وكيلها ١٦

## العلاج النفساني

قديمًا وحديثًا

تأليف

فهمي عبد القادر  
خبير بجامعة أكسفورد ولندن

الأستاذ بكلية دار العلوم  
وعضو الجمعية الفلسفية المصرية

١٩٤٧ - ١٣٦٦ م

68101

مترجموا الطبع والنشر أصحاب  
دار إحياء الكتب العربية  
عيسى البستاني الحلبي وشركاه

Handwritten notes on the right margin, including the name 'Fahmy Abd al-Qader' and a date '1947'.



Handwritten text in Urdu script, appearing to be the title of the document, possibly "تاریخ ہندوستان" (History of India).

Handwritten text at the bottom of the page, likely a signature or a date.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تمهيد

تمخضت النهضة المصرية عن يقظة فكرية مباركة ، يفتبط بها كل من يحب مصر ، ويسر لها كل مخلص في خدمتها . ونرى أن من أهم مظاهر هذه اليقظة الاتجاه إلى تعرف عيوبنا الفردية والاجتماعية ، والإلمام بأسبابها ووسائل علاجها . ولا يخامرني شك في أن أول ما يجب أن يعنى به الفرد أن يدرس نفسه التي بين جنبيه ، فيحيط بنزعاتها ونزواتها ، ويعرف عيوبها وأمراضها ، ويعلم أسباب شدوذ سلوكه ، وخروجه عن الطريق السوي ، الذي يرتضيه ذوو الألباب السليمة ، وتقره الشرائع القويمة .

وقد توجهت أذهان القدماء والمحدثين من الأطباء إلى دراسة أمراض الجسم ، ومعرفة أسبابها ، ووسائل علاجها فأجادوا في ذلك وأفادوا . ولم يشغلهم ذلك عن البحث في أمراض العقل ، وتعرف وسائل علاجها ، فأصابوا حيناً وأخطئوا حيناً ؛ ذلك لأن العقل البشري تكتنفه الأسرار ، وتحيط به العمميات ، وتقف في سبيل تعرف أسرار العقبات وتكثر الزلات .

ولا غرو فهم يحاولون إدراك أسرار الروح ، والروح من أمر الله ، الذي يعلم السر وأخفى . ومع ذلك فقد هدتهم تجاربهم ، وألهمهم ملهم الحكمة والهادي إلى الصواب ، فعرفوا كثيراً من أسرار النفس ، وألما بوسائل علمية لا يستهان بها لعلاج أمراضها وعيوبها ، وقد وفقوا في ذلك أو كادوا .

وقد رأيت أن أغذى تلك النهضة الموقفة يبحث موجز عن العلاج النفساني ،  
لأفتح الطريق للباحثين ، وأمهّد السبيل للسالكين ، فقدمت هذه العجالة لقراء  
العربية ، في أسلوب سهل خال من التعقيدات العلمية والمعميات الاصطلاحية ، راجياً  
من الله تعالى أن يجدوا فيها فائدة تساوي على الأقل الجهود التي بذلت في إخراجها .

وإني أعترف بادئ بدء أنني لست أول من سمي هذا البحث « العلاج النفساني »  
فقد وقع نظري على هذه التسمية منذ نيف وعشرين سنة ، حينما كنت أقرأ كتاباً  
اسمه « جهار مقالته » أي المقالات الأربع ، ألفه بالفارسية العلامة النظامي المروزي  
السمرقندي حوالي سنة ١٥٥٠ هـ .

اطلعت في هذا السفر القيم على روايات يرويها المؤلف عن براءة ابن سينا في  
« العلاج النفساني » ، وقرأت فيه حوادث حدثت لهذا الرجل الفايه ، تبرهن على هذه  
البراءة .

وقد كان هذا أول دافع دفعني إلى الاهتمام بهذا الموضوع ، فقرأت كثيراً مما  
كتبه عنه المعاصرون باللغة الإنجليزية ؛ ثم رجعت إلى كتاب القانون لابن سينا ،  
وقرأت فيه بعض فصول خاصة بالأمراض العقلية وطرق علاجها ، فثبت لي مارواه  
النظامي عن نجاح ابن سينا ومهارته في العلاج النفساني .

وإذ قد وجدت في كتاب القانون ما بهرني وأعجبني قلت في نفسي : يا لله وطهؤلاء  
الفرنجية ! إنهم إما جهلة وإما حقدة ؛ فإن لم يكونوا قد اطلعوا على ما أتى به ابن سينا  
وغيره من أطباء العرب من العجب العجيب في علاج الجسم والعقل ، ومداداة شذوذ النفس  
وتقويم الخلق بأساليب نفسية - فهم جهلة ، وإن كانوا قد اطلعوا على علم العرب الغزير  
في هذا الموضوع ومهارتهم الفنية الفائقة في ممارسته ، فهم حقدة لا يمترون بالفضل



لنويه ، ولا يردون الفروع إلى أصولها ؛ إذ لم أعثر فيما قرأت من كتبهم - وهو ليس بالقليل - على كلمة واحدة يشيرون بها إلى ما كان لابن سينا والرازي وغيرها من فضل السبق في علاج الجسم والعقل بوسائل عقلية ، علاجاً يستند إلى أساس علمي ، ولا إلى ما كان لابن مسكويه والغزالي وغيرها من فضل في بيان علاج النفس والشذوذ الخلق بوسائل نفسية أيضاً .

هذا الاصطلاح إذاً ليس من مستحدثات العصر ، والعلم أو الفن الذي يدل عليه ليس هو أيضاً من مبتكرات الحضارة الحديثة .

وليس لأحد من علماء العربية أن يستنكر كلمة « نفساني » بحجة أن النسبة الصحيحة هي « نفسي » كما يقضى به القياس . ولست أزعّم أن هذه النسبة جارية على القياس ، ولكنني أقرر أنها نسبة سماعية صحيحة مألوفة لها نظائر كثيرة ؛ ألا ترى أنهم يقولون : روحاني ، وجسماني ، ورباني ، وصمداني ، ونوراني ، نسبة إلى روح ، وجسم ، ورب ، وصمد ، ونور ؟

ثم إنني أفضل في هذا المقام « نفساني » على « نفسي » ؛ إذ قد يفهم من العلاج النفسي العلاج المنصب على النفس ، مع أن الغرض هو العلاج بوساطة النفس ، سواء أكان المعالج هو النفس أو الجسم . وقد يفهم من النفسي أيضاً « الذاتى » ويكون الغرض علاج الإنسان لنفسه بنفسه سواء أكان مرضه نفسياً أو كان جثمانياً ، وسواء أكانت الطريقة التي يتبعها طريقة جثمانية أى مادية أم كانت نفسانية أو روحانية ، مع أن الغرض هو العلاج بوساطة النفس بقطع النظر عن يتولى العلاج .

وهذا الاصطلاح أفضل أيضاً من « شفاء النفس » أو « دواء النفس » لأسباب لا تحفى على الباحث المحقق .

فتمشياً مع أسابوب القدماء ودفعا للبس آثرت هذه التسمية؛ إذ لا يفهم منها إلا  
العلاج بوسائل نفسية، بقطع النظر عن المرض. أما علاج النفس بوسائل عقلية  
فهو الشائع بين القدماء والمحدثين؛ فكل من الفريقين يعترف بإمكان علاج الأمراض  
العقلية بطرق عقلية أيضاً. وأما علاج المرض الجثماني بوسائل نفسية فقد حاوله  
المتقدمون ونجحوا فيه كما سترى، ولكنه موضع خلاف بين المحدثين؛ فمنهم من  
يقره بل يؤكد كالعالماء المسيحيين Christian Scientists، ومنهم من ينكره وهم  
الأغلبية الكبرى من الأطباء الجثمانيين.

بقيت طريقة العلاج الجثماني أى العلاج بوسائل مادية؛ كتناول الأدوية والعمليات  
الجراحية. وليس هناك أدنى شك في نجاحها في علاج الأمراض الجثمانية، فإنها هي  
الطريقة الوحيدة التي يتبعها الأطباء الجثمانيون في معالجة مرضى الأجسام، أما اتباعها  
في علاج مرضى العقول فموضع خلاف بين أطباء الجسم وأطباء العقل، فالفريق الأول  
يقرها، بل منهم من يسخر من اتباع غيرها في علاج أمراض العقل؛ باعتقاداً منهم أن  
جميع الأمراض العقلية لا بد أن تنشأ عن خلل في تكوين الجهاز العصبي، أو عجزه عن  
تأدية وظائفه، أو عن اضطراب في الإفرازات الغدية الباطنية. وسنعرض رأى هؤلاء  
بالتفصيل فيما سيأتى.

أما أنا فأميل إلى رأى ابن مسكويه في هذا الموضوع. وخلاصته أن من الواجب  
أن نتعرف سبب المرض؛ فإن كان هو إصابة جزء من أجزاء الجسم بعطب وجب اتباع  
طريقة العلاج الجسماني. وإن كان السبب عقلياً بحثاً وجب اتباع طريق العلاج النفساني  
كما في الأمراض الناشئة عن صدمة انفعالية، أو عن قلق نفسي، أو عن كبت بعض  
الغرائز وتكون بعض العقد النفسية.

أما معالجة الأمراض الجثمانية البحتة بطريق العقل ، ومعالجة الأمراض العقلية البحتة بطريق الجسم فلم يصلا بعد إلى درجة تدعو إلى الاطمئنان. وأرجو أن يلاحظ أن في استعمال كلمة « بحتة » في الحالين شيئاً من التجوز ؛ فإن الأطباء يقررون أن كل مرض جثامى لا بد أن يصحبه مرض عقلي أو تأثر عقلي . وأن كل مرض عقلي لا بد أن يصحبه شيء من ضعف الجسم ؛ بحجة أن الجسم والعقل متصلان تمام الاتصال فما يؤثر في أحدهما لا بد أن يؤثر في الآخر .

وإني لست أحذو حذو المحدثين في عدم الاعتراف بالفضل لذوى الفضل ، فأنكر ما رجا العصر الحاضر من فضل في تنمية هذا الفن أو العلم ؛ فقد توسعوا في دراسته ، وأقاموا بناء على قواعد متينة ، وعالجوه من جميع نواحيه ، حتى بلغوا القمة أو كادوا .

ولعلك تفهم مما سبق أن للعلاج النفساني ناحيتين ناحية علمية وأخرى فنية ؛ أما العلمية فتشمل أصوله وقواعده ، وتبين الأمراض العقلية وأسبابها ، وكيفية تشخيصها ، وتصف طرائق علاجها .

وأما الناحية الفنية فيراد منها تولى العلاج بالفعل مع تطبيق الأصول والقواعد التي أقرها علماء النفس بوجه عام ، وعلماء العلاج النفساني بوجه خاص .

ومن هذا ترى أن « فن العلاج النفساني » متوقف في نجاحه على « علم العلاج النفساني » . وسترى فيما سيأتي أن اختلاف أطباء العقول في طرق العلاج يرجع إلى اختلافهم في كيفية تكون العقل ، وفي الأسباب التي تؤدي إلى المرض العقلي ، وما ذلك إلا لأن العلاج بالعقل يستند إلى أسس نفسية أو فلسفية عقلية ، وبديهي أن الاختلاف في تقرير السبب في المرض يؤدي إلى الاختلاف في طريق علاجه .

فالعلاج النفساني باعتباره فناً مرتبطاً تمام الارتباط بالعلاج النفساني باعتباره علماً؛  
مثله في ذلك مثل الطب الجثامي؛ فهناك علم الطب، وفن الطب وهذان مرتبطان تمام  
الارتباط.

هذا وإن للعلاج النفساني تاريخاً طويلاً حافلاً بالحوادث الجسم، يبين لنا كيف  
نشأ ودرج، ثم نما وترعرع، ثم قوى واستوى حتى قارب الكمال؛ فدونت له  
أصول ووضعت قواعد، وتنوعت طرائقه وتقدمت، واتخذ كل فريق من الأطباء  
طريقة خاصة يرتضيها. وتبياناً لهذا كله وضعت هذا الكتاب ورتبته على باين  
وخاتمة.

أما الباب الأول فيتضمن عرضاً تاريخياً موجزاً للعلاج النفساني. وأما الثاني  
فيبحث في أسباب الأمراض العقلية وطرائق علاجها.

ولتمام الفائدة أتبعته هذين البابين خاتمة في كيفية تطبيق مبادئ العلاج النفساني  
على التربية والتعليم.

والله أسأل أن يلهمنا التوفيق والهداية إلى أقوم طريق ما

الحرم سنة ١٣٦٦

ديسمبر سنة ١٩٤٦

هاجر عبد القادر

# الباب الأول

أعرض تاريخي للعلاج النفساني

رأه الب ليا

والمسفننا والعلل وخبثه في رضم

الح  
الج  
تأه  
عو  
قد  
علي  
الم  
أن  
الش

## الفصل الأول

### العلاج النفساني قبل ظهور السيد المسيح

#### (١) العلاج بالسحر

##### (١) تمهيد : السحر وتأثيره في النفوس :

إن علاج الأمراض الجثمانية والعقلية بوسائل نفسانية ليس من مبتكرات العصر الحاضر كما قلنا في المقدمة ، ولم يترك القدماء للمحدثين إدراك العلاقة الوثيقة التي بين الجسم والعقل ، فقد دلت الدلائل على أن القدماء كانوا يعتقدون أن للقلق النفسي تأثيراً في إحداث الأمراض ، وأن الإيماء والاعتقاد في التخلص من المرض من عوامل البرء والشفاء .

ويعيل بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن قطعاً من جمجمة الإنسان كانت تستخدم في قديم الزمان تماثماً يقصد بها الشفاء من المرض ؛ فصناعة الطب النفساني قديمة مرت عليها الأجيال وتعاقت الدهور . ويكاد يكون الخلاف بين القدماء والمحدثين في هذه الصناعة محصوراً في التأويل والتعليل ، وربط الأسباب بالمسببات ؛ فقد اعتقد القدماء أن التماثم والرق هي التي تبرىء المريض ، أما المحدثون فيرون أن السبب المباشر في الشفاء هو اعتقاد المريض وإيمانه بأنه سيدبرأ بهذه الوساطة .

ومن مظاهر الاختلاف بين الفريقين التنظيم والترتيب ، وبسط القواعد ، وشرح

الأصول ورجعها إلى حقائق أو مبادئ نفسية .

والطب جثمانياً كان أو نفسانياً باعتباره علماً مهذباً ، مفصلاً مبوباً أو فتاً راقياً يستند إلى أصول وقواعد ثابتة هو في الواقع وليد السحر والشعبذة والتنجيم ، وغيرها من الأعمال التي مارسها القدماء في معالجة المرضى . ولعل السحر هو أهم هذه وأبعدها أثراً في معالجة الأمراض النفسانية .

يقول الراغب الأصفهاني<sup>(١)</sup> في المفردات : « السحارة ما ينزع من السحر (= طرف الحلقوم) عند الذبح فيرمى به ... »

« وقيل منه اشتق السحر وهو إصابة السحر . والسحر يقال على معان الأول : الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبد بصرف الأبصار عما يفعله خلفه يده ، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع . والثاني استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه ... والثالث ما يذهب إليه الأغمام<sup>(٢)</sup> . وهو اسم لفعل يزعمون أن من قوته أن يغير الصور والطبائع ، فيجعل الإنسان حماراً . ولا حقيقة لذلك عند المحصلين . »

ويقول ابن خلدون<sup>(٣)</sup> في المقدمة في الفصل الذي عقده للسحر :

« والنفوس الساحرة على مراتب ثلاث يأتي شرحها ؛ فأولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين ، وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر ؛ والثاني بجمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، ويسمونه الطاسمات، وهو أضعف مرتبة

(١) هو الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني صاحب المؤلفات المفيدة في اللغة والفلسفة والأخلاق وقد توفي في أوائل المائة الخامسة من الهجرة .

(٢) الأغمام الأعاجم .

(٣) ولد ابن خلدون سنة ٧٣٢ هـ وتوفي سنة ٨٠٨ هـ .



من الأول. والثالث تأثير في القوى التخيلية؛ يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف، ويلقى فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة، وصوراً مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها على الحس من الرأين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظر الرءون كأنها في الخارج، وليس هناك شيء من ذلك. كما يحكى عن بعضهم أنه يرى البساتين والأنهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك، ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة والشعبذة. «

« هذا تفصيل مراتبه. ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة، شأن القوى البشرية كلها، وإنما تخرج بالفعل بالرياضة. ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل. «

« واعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين المقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه. وقد نطق به القرآن... وأما وجود السحر في أهل بابل وهم السككديون من النبط والسريانيين فكثير، ونطق به القرآن وجاءت به الأخبار. وكان للسحر في بابل ومصر أزمان بمئة موسى عليه السلام أسواق نافقة، ولذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتنازعون فيه. «

ويعضى ابن خلدون بعد ذلك فيقرر أنه رأى بعيني رأسه بعض السحرة يتناولون السحر؛ من ذلك أنه رأى: « من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره فإذا هو مقطوع متخرق، ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها فإذا أعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض. «

وقد ورد في « قاموس الفلسفة وعلم النفس <sup>(١)</sup> » ما خلاصته :  
« إن لممارسة السحر تاريخاً طويلاً فهو من الأعمال التي شاع أمرها بين القبائل  
والأمم البدائية ، وقد ظل كثير من الناس يمارسونه في جميع مراحل الحضارة ، ولا  
تزال آثاره باقية حتى الآن في عصرنا هذا .

« ويطلق السحر على أى عمل من مجموعة كبيرة من الأعمال المختلفة ، التي تعزى إلى  
أسباب غامضة ، أو عوامل سرية ، أو قوى خفية لا يعرفها عامة الناس . »

« وقد استمد الساحر قوته من الآلهة أو من أرواح تأتي من عالم الغيب فتحتل جسده ،  
وتساعده على القيام بعمله . وكثيراً ما كان السحرة يدعون أنهم يعملون أعمالهم  
السحرية بالاتصال بتلك الأرواح اتصالاً يخفى أمره على بقية الناس . »

« وكان السحرة يستخدمون للوصول إلى أغراضهم وسائل كثيرة منها : -

- (١) سلطان إرادتهم ومقدرتهم على الاستهواء .
- (٢) التمسك بعبادات وتقاليد مفصلة معينة عند ممارسة السحر بالفعل ، كالأشعار  
والحركات التي كانوا يقومون بها للتأثير في نفوس الناس .
- (٣) النطق بكلمات وعبارات مغلقة بكل جد وخشوع وتوسل .
- (٤) إحراق تمثال العدو ، أو إتلاف أى أثر من آثاره .
- (٥) طرح الرد أو ما يسمى بطرق الحصى أو أخذ الفال .
- (٦) قراءة سلسلة من الخطابات أو الرسائل لاستخراج صفات صاحبها ومميزاته  
الشخصية . »

« ومن بين الأغراض التي يرمى إليها الساحر :

---

Dictionary of Philosophy & Psychology. Editid by Daldwin (١)  
Article : « Magic ».

- (١) محاولة تأويل الماضى والإخبار بما غاب .
- (٢) التأثير فى مجرى المستقبل .
- (٣) ضبط قوى الطبيعة والتأثير فيها .
- (٤) القضاء على المرض أو دفع الشر .
- (٥) إعادة الصحة أو اجتلاب الخير .

« وقد اختلفت أسماء الممارسين للأعمال السابقة وما يشبهها، باختلاف وظائفهم أو طبائع أعمالهم فكان منهم : الساحر ، والكاهن ، والمنجم ، والشعوذ ، والمتنبى ، والحاوى . »

« ولم تكن أعمال السحرة وأقوالهم على العموم خيالية ولا وهمية ، ولكنها مع ذلك تضمنت أموراً مهمة تنقصها الدقة والصرامة ، بحيث تصلح لأن يؤولها كل شخص تأويلاً مناسباً لحالته ، ويحوك منها خياله قصة كاملة يهش لها ويدش ، وبخاصة إذا كان غير مثقف . »

هذه اقتباسات ثلاثة اختلفت فى مبناها ، ولكنها تكاد تتفق فى معناها ، ومنها تعرف أن القدماء والمحدثين يكادون يجمعون على تقدير ما كان للسحر من تأثير فى حياة الناس عامة وفى معالجة أمراضهم خاصة .

والسحر - باعتباره وسيلة طبية - يقوم على تأثير الساحر فى نفس المريض بماله من قوة إرادة أو قدرة نادرة على الاستهواء . ومن الوسائل التى يتذرع بها للوصول إلى غرضه تلك التتمتات والهمسات والنفثات التى ينفثها فى أذن المريض بطرق خاصة ، فىكون لها التأثير المطلوب .

فالسحر بهذا المعنى لا يمدو أن يكون إيحاء قوياً يتقبله المريض ، ويصير ما يوحى إليه من عقائده الثابتة ، فىكون سبباً فى شفاؤه كما هو مشاهد فى عصرنا ؛ فالعامل

المباشر واحد، ولكن التسمية اختلفت؛ فما يعمله البدائي « سحر »، وما يعمله  
المتمدن « طب » .

### (٢) العلاج بالسحر في مصر القديمة :

وأول ساحر مصرى يقص علينا التاريخ قصصه بالتفصيل هو « إِمْحَتَب » رئيس  
مهندسى المهارة فى عصر الملك « زوسر » أحد ملوك الأسرة الثالثة المصرية التى يرجع  
تاريخها إلى القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد .

وقد مارس إِمْحَتَب هذا مهنة الطب النفسانى والجثمانى بمهارة . ومعنى اسمه : « من  
يأتى فى سلام »، وهذا يدلنا على مبلغ تأثيره فى نفوس المرضى . وقد أسبغت عليه عدة  
ألقاب كريمة منها : « صاحب الأسرار » و « حامى الأطباء » و « منبع الفضيلة »  
و « حامى الملاحين » .

وكل هذا يدل على ما كان له من منزلة بين الشعب المصرى بوجه عام . ولما له من  
أسبقية ومهارة فى مهنة الطب يرى بعض أطباء العصر أن ينصب إلهاً للطب .  
وقد أتى بعده فى مصر القديمة طائفة من مهرة الأطباء الذين نهضوا بهذه المهنة  
وأرغموا العالم الحديث على الاعتراف بأن « علم الطب نشأ فى وادى النيل » .

### (٣) العلاج بالسحر فى بابل :

كان البابليون ينسبون جميع الأمراض إلى تأثير شياطين أو أرواح شريرة يقع  
المريض فريسة لها إما نتيجة لأعماله الشريرة ، وإما بتأثير بعض السحرة الذين  
يناصبونه العدا .

وقد كانوا يمتقدون أن هناك أرواحاً خبيثة من أنواع شتى تنهز الفرص لإلحاق

الأذى بالناس ، وأن لكل مرض شيطاناً خاصاً ؛ كأن من الشياطين إخصائيين في إحداث الأمراض ، كما أن من الأطباء إخصائيين في معالجتها .  
وكان الكهنة أو رجال الدين هم الذين يتولّون العلاج بالتسلط على تلك الأرواح وإبطال تأثيرها في المرضى .

وكان على القسيس الماهر أن ينادى الروح المؤثرة باسمها ليتمكن من السيطرة عليها وإبطال نفوذها ، والقضاء على تأثيرها في المريض ، أو ليستطيع إبطال نفوذ الساحر الذي سلطها على المريض ، وبذلك يكون العلاج .

ومن أغرب ما كان يتَّبَع في العلاج أن الساحر بعد أن يسيطر على الروح المؤثرة يحولها إلى مادة محسنة ثم يقضى عليها ؛ كأن يحولها إلى إناء به ماء ثم يكسر الإناء أمام المريض فيراق مابه من ماء ، أو يحولها إلى تمثال من الخبز يربط بجسم المريض ثم يرفع عنه ، أو إلى جسم خنزير يوضع فوق جسم المريض ، ثم يرفع عنه ويقذف خارج البيت .

ومما كان يتَّبَع في علاج عُقْدَةِ اللسان أو التواء الأمعاء أن يؤتى بجبل عقدت فيه عدة عقد ثم يحملها الساحر واحدة واحدة ، وهو يتمتم تسماته التي نعهد بها في الشعوذين . وقد برع البابليون في التنجيم ، وكانت لهم فيه الأسبقية ، واعتقدوا أن لحركات الشمس والقمر والنجوم تأثيراً في حياة بني الإنسان ؛ ولذا كانوا في ذلك أساتذة اليونانيين واضعي علم الفلك ، وأساتذة أطباء العقول الذين قالوا بوجود علاقة بين المرض العقلي وحركات الأفلاك ، وفي مقدمتهم باراسيلوس<sup>(١)</sup> (١٤٩٣ - ١٥٤١ م) الذي قرر أن الطبيب الذي لا علم له بعلم الفلك لا يستطيع أن يعرف أسباب الأمراض

(١) Paracelsus

ولا طرائق علاجها ، وأن الحياة كلها صدرت عن الكواكب ، وأن الشمس هي المسيطرة على الرأس ، والقمر هو المسيطر على المخ ، والمشتري هو المسيطر على الكبد ، وزحل هو المسيطر على الرئتين ، والمريخ هو المسيطر على الصفراء ، والزهرة هي المسيطرة على الظهر ، وأن للمغناطيس تأثيراً في معالجة الأمراض .

وقد تأثر بهذه الآراء مسمر Mesmer ( ١٧٨٠ ) من بعد ، بل إنها شاعت من قبل في القرون المسيحية الأولى وفي أيام العرب ، ولا تزال لها آثار باقية في عصرنا هذا .

#### (٤) العلاج بالسحر في بلاد الإغريق :

ويقرر علماء العصر أن الإغريق مدينون لقدماء المصريين والبابليين في معرفة الطب وممارسته بطريقة السحر الذي ذاع أمره بين كثير من عامة الشعب الإغريقي . وكان على الساحر أن يسلك مسلكاً خاصاً في حياته ، ويقوم بأعمال معينة قبل ممارسته السحر وفي أثنائه ؛ كان عليه أن يغتسل في أوقات معينة ، وأن يدهن جسمه بالزيت ، وأن يتجنب تناول بعض الأطعمة وبخاصة السمك ، وأن يصوم في بعض الأوقات ، وأن يلبس من الملابس الفضفاضة الخشن الخالي من العقد والعرا والأزرّة ، وأن يكون مؤمناً ثابت العقيدة ، وأن يؤدي عمله بإخلاص وأمانة ، وأن يختار الوقت المناسب لعمله . وكانوا يفضلون للأعمال السحرية الليل ، وغروب الشمس ، وقبيل شروقها ، وحينما يكون القمر هلالاً أو بدرآ . وكان الساحر يحمل بعض أشياء تجعل لشخصيته شأنًا ، وتسهل عليه الوصول إلى غرضه ؛ كأن يمسك بيده العصا السحرية ، ويلتصق على ملابسه مفاتيح وخبوطا مختلفة الألوان ، وقد يضرب بالطاسات ليؤثر بها تأثيراً موسيقياً .

وكانوا في بعض الأحيان يعدون المرضى إعداداً روحانياً في بيئة روحانية قبل معالجتهم، وكان هذا يتبع عادة في معابد (أسكليبيوس<sup>(١)</sup>) وبخاصة في معبده في مدينة (إبيدوروس)<sup>(٢)</sup> التي كان المرضى يأوون إليها من كل جانب جماعات، متجشمين متاعب السفر من جهات نائية، وكانوا بمجرد وصولهم يقدمون القرابين الثمينة والهدايا القيّمة ويضعونها عند مدخل المعبد، ثم يغتسلون بماء نافورة هنالك .

وبعد تأدية هذه المراسم كان يسمح لهم بدخول رواق المعبد ليناموا يوماً أو أكثر، ويستمعوا إلى ما يلقي عليهم من مواعظ ونصائح بليغة . وبعد هذا الإعداد الهام كان يسمح لهم بدخول المعبد نفسه، وهناك يرون تمثال الإله (أسكليبيوس) مصنوعاً من الذهب والماج، فيؤدون الصلوات، ويتوسلون إليه أن يشفيهم من أمراضهم، وهناك أيضاً يشتركون في أداء صلوات وأدعية عامة . وبعد أن يصلوا إلى درجة ملحوظة من التأثر والانتعاش الوجداني يذهبون ليناموا على جلود الحيوانات التي ضحوا بها، أو على جلود أخرى تعد لهذا الغرض .

ويرى كل مريض في نومه أن (أبولو) يعالج مرضه الخاص، فإما أن يبرئه من مرضه، وإما أن يطالبه بتقديم ضحايا أخرى .

وكان لإسكليبيوس معابد كثيرة في عهد الإسكندر الأكبر، وأخذ أهل رومية يعبدونه منذ سنة ٢٩٣ ق.م. وأقيم له معبد على شاطئ نهر التبر، كما أقيمت له معابد في أماكن كثيرة في بلاد اليونان تشبه معبده في مدينة إبيدوروس؛ منها معبد أثينا ومعبد كوس .

وفي معبد كوس<sup>(٣)</sup> هذا نشأت في سنة ٦٠٠ ق م مدرسة طبية هي التي سميت

(١) Asklepios (٢) Epidaurus (٣) Cos

فيما بعد مدرسة بقراط ( ٤٧٠ - ٣٧٠ ق م ) ، وهي التي أصبح الطب بفضل جهود رجالها علماء من العلوم الطبيعية . ويروى التاريخ عن هذه المدرسة أنها كانت أول مدرسة علمية أصدرت رسائل طبية كاملة؛ أشهرها رسالة عن المرض الرباني أى الصرع ، الذى كان يعتقد القدماء أنه من الله . وقد حمل كاتب الرسالة على هذه العقيدة وقرر أن هذا المرض لا يمتاز من غيره بشيء؛ فله سبب طبيعى كغيره من الأمراض ، وإنما يعتقد الناس أنه « رباني » لأنهم لا يفهمونه ، ولو كانوا يصفون كل ما لا يفهمون بأنه « رباني » ما كانت هناك نهاية للأشياء الربانية . وبهذا الأسلوب حاول الكاتب القضاء على الخرافات التي كانت عالقة بأذهان الناس وإبعادها من عالم الطب ، ومن ذلك الحين دخل الطب في عداد العلوم التجريبية .

وحوالى سنة ٣٨٠ ق م ظهر أمر أفلاطون وتحدث في الجمهورية عن تفسير الأحلام ، رنصح بأن يعزل مرضى العقول ، وأن يعالجوا علاجاً خاصاً . ويؤخذ من كلامه أنه أدرك تأثير الحالات النفسانية والانفعالات في صحة الجسم . قال على لسان طبيب يقول لسقراط : « لا يتبغى أن تحاول علاج الجسم بدون معالجة النفس ، وإذا أردت أن تحتفظ بسلامة رأسك وصحة جسمك فعليك أن تبدأ بمعالجة عقلك ، فهذا أول شيء . »

وإن أفلاطون ليوضح العلاقة بين شفاء الجسم وعلاج النفس حين يقول : « إنى أفهم أن أطباء الإغريق إذا استطاعوا علاج الجسم فإنما يفعلون ذلك بوساطة العقل ، وأن مهنة الطب تشمل تطهير الجسم والعقل معاً ، فإذا أهمل أحدهما فقد عرّض الآخر للخطر ، فليس هناك ما يقوّى العقل غير الجسم السليم ، ولكن النفس المنظمة تنظيماً تاماً هي التي تجعل الجسم في صحة كاملة بما لها عليه من سلطان نافذ . »

ولم يكن للرومان شأن يذكر في الطب عامة ، وفي العلاج النفساني بوجه خاص؛



فقد شاعت لديهم الأفكار والمقائد الطبية التي شاعت في العالم القديم ، أما هم أنفسهم فلم يمدوا العالم إلا بقليل جداً من المعلومات الطبية .

### (ب) العلاج بالتدئين والتطهير من الذنوب

لننتقل بعد ذلك إلى جو آخر من أجواء العالم القديم ، وبيئة أخرى من بيئاته ؛ أريد جو اليهود وبيئة الإسرائيليين في العصور القديمة ؛ ذلك الجو الذي كان مشبعاً بالروح الدينية إلى حد كبير جداً ، وتلك البيئة التي فاضت بالأنبياء والحكماء والمبشرين والمنقرين .

كانت الأفكار والتقاليد العامة بين اليهود تختلف عما كانت عليه لدى اليونان والرومان ؛ فقد كانت معارفهم محدودة ، وكان ينقصهم ذلك الدافع النفسى القوى الذى دفع معاصريهم من اليونان إلى ممارسة البحث العلمى .

وكانوا يمتازون بطابع وراثى خاص بهم ؛ ذلك هو : الشعور الدينى النفسانى القوى ، الذى خير ما يقال عنه أنه جعلهم أقل ميلاً إلى الاعتقاد فى الخرافات والأساطير والسحر والشعوذة .

وكان الإله ( يَهْوَه ) إلههم الواحد القادر على كل شىء ، الذى بيده الحياة والموت وبارادته الصحة والمرض . ومع كونه بطبعه رءوفاً لا يلحق الأذى بعباده ، فإنه فى الوقت نفسه كالآب الرحيم الذى يعاقب أولاده على عصيانهم ؛ فهو يضرب العاصى بالجنون والعمى وحيرة القلب (١) .

فالذنوب إذآهى أسباب الأمراض ، وهذه مرتبطة بتلك ، كذلك كانت عقيدة

(١) سفر التثنية لإصحاح ٢٨ - ٢٨

اليهود التي شاع أمرها فيما بينهم منذ نشأتهم الأولى ، وبقيت راسخة في أذهانهم في عصور الربانيين . يقول ربي يوناتان : « إن المرض يأتي من سبعة أبواب هي : (١) السب ، و (٢) سفك الدم ، و (٣) الحنث في اليمين ، و (٤) عدم العفة أو الشره و (٥) الغرور ، و (٦) السرقة ، و (٧) الحسد .

ولما كان الإثم هو سبب المرض لم يكن هناك مبرر للشكوى ؛ فلم يكن على المريض إلا أن يفكر فيما اقترف من آثام ، حتى إذا عرف إثمه تاب منه وعزم على عدم العودة إليه ، واعترف به أمام الإله ( يَهْوَه ) ، واستغفره وطلب منه الرضا ، فإذا وهب يهوه له المغفرة تم له الشفاء . وإذا نزل بالشعب وباء عام كان على الجميع أن يعترفوا بذنوبهم ، ويطلبوا من الله المغفرة حتى يرتفع عنهم ما نزل بهم ؛ ذلك لأنهم اعتقدوا أن الوباء العام عقوبة للشعب جميعه على ارتكاب الآثام .

ولكن ربط الإصابة بالمرض بارتكاب الآثام أصبح فيما بعد موضع تساؤل ؛ فإننا نرى ( ربي مِيثير ) يقرر في ضوء قصة أيوب أن ليست هناك صلة بين الأمرين ؛ فإن أيوب أصيب بمرض خطير ، مع أنه كان تقياً صالحاً ، مبرأ من الذنوب والآثام ؛ لذا يعترف ربي مِيثير بأن تعذيب الله لعباده بأنواع العقوبات المختلفة من الأسرار الخفية التي لا يدركها الإنسان .

كان اليهود حينئذ يعالجون أمراضهم بالتوبة والرجوع إلى الله ، وكان أشياخهم وأحبارهم ينهونهم عن الاعتقاد في السحر والكهانة ، ومع ذلك فقد صاروا فيما بعد يعتقدون بوجود الشيطان وبوقوفه منهم موقف العداء . وكذلك بوجود الأرواح ، ولكنهم لم يكونوا يستمعون بهم في علاج أمراضهم ، ولم يكونوا يرجعون إلى السحرة والكهنة إلا في استفتائهم عما يكن لهم المستقبل .

ثم شاع بينهم - إبان ظهور المسيحية - الاعتقاد بوجود الجن والشياطين ، وبأنهم

أسباب انتشار الأمراض بينهم جسمية كانت الأمراض أو عقلية . هذا على الرغم من أن التلمود يقرر أن الأمراض جميعها جثمانية كانت أو عقلية لاعلاقة لها بمس الشيطان، أو ضربة الجان، وأنه من الممكن الشفاء منها بالعلاج الصحيح .

وعلى كل حال لم يؤثر عن اليهود أنهم كانوا يعالجون مرضاهم بالسحر ، وكذلك ما في حكمه، إذا استثنينا حالة واحدة، تلك أنهم يهيمسون في أذن المجروح آية من سفر الخروج<sup>(١)</sup> هي : « إذا أصغيت لكلام الرب إلهك ، وعملت ما هو حق في نظره ، واستمعت إلى وصاياه ، وحافظت على جميع فرائضه فلن أرسل عليك أى مرض من الأمراض التي أرسلتها على المصريين ، فإني أنا الرب الذي يرثك . »

ولاريب أن الهمس في أذن المريض يمثل هذا الكلام يريجه ويهدئ أعصابه، ويهيئه للاعتقاد في الشفاء ، ثم للشفاء بالفعل ؛ على شريطة أن يكون الهامس قوى الشخصية، قادراً على أن يجعل المريض يعتقد ما يقول اعتقاداً جازماً .

وقد كانت وظيفة الأحرار ورجال الكهنوت من اليهود تتضمن ممارسة العلاج ، ومع هذا فقد كانت هناك طائفة خاصة تتولى مهنة الطب ، وكان هؤلاء الأطباء موضع تقدير من الشعب ، فقد كانوا يعتقدون أن الشفاء من الله ، ولكنه وهب للأطباء القدرة على العلاج ؛ ولذا كان المريض يؤمر أن يدعو الله لينقذه من مرضه ويستدعى الطبيب لملاجه .

والمأثور عن أنبياء بني إسرائيل أن الله (يَهْـوَه) قد حباهم القدرة على شفاء المرضى . ومما يذكر أن أشعيا النبي أمر حزقيال الملك ، وكان يشكو ألم دمل ، أن يضع « لبخة » من التين فوق الدمل ، وأن اليسع أمر نهمان أن يستحم في نهر

الأردن سبع مرات ليشفى من المرض . والمعروف أن ماء هذا النهر ليس له مزايا طبية .

وقد عنى اليهود أكبر عناية بقطع دابر الأمراض حتى لا يصابوا بها مرة أخرى ؛ ولذا كانوا إذا أصيب أحدهم بمرض يبحثون عن سببه ، ويتعرفون الإثم الذي ارتكبه المريض كيلا يرتكبه مرة أخرى .

وخلاصة القول أن طبهم كان طباً وقائياً قبل كل شيء ، وأن طريقتهم التي عالجوا بها مرضاهم كانت الحياة الطاهرة الخالية من الآثام .

### ( ح ) شرح وتعليق

ويعد فهذا عرض موجز للعلاج النفساني قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام ، ومنه نرى أن الأمراض العقلية وغيرها كانت تعالج بإحدى طريقتين هما :

(١) طريقة السحر على اختلاف صورته .

(٢) طريقة التدين والتطهر من الآثام .

وقد أشرنا فيما مضى إشارة عابرة إلى السبب في نجاح السحر باعتباره وسيلة طبية . ولما لهذا الموضوع من أهمية خاصة زیده لك بياناً وتفصيلاً فنقول : قد برهن علم النفس الحديث بالتجارب المختلفة على ما للاستهواء والمشاركة الوجدانية من آثار عظيمة فعالة في النفس ، بل إنه قد بين أن قبول الإيحاء والميل إلى المشاركة الوجدانية من النزعات الفطرية العامة التي جبلت عليها الطبيعة البشرية في كل زمان ومكان ، كما تبين أن تأثير الاستهواء لا يتم على الوجه الأكمل إلا إذا توافرت شروط خاصة من أهمها :

(١) قوة إرادة المستهوى .

(٢) لباقتة ومهارته في حسن العرض .

(٣) قابلية المستهوى وحسن استعداده لما يوحى إليه .

(٤) ملاءمة الظروف الخارجية لنجاح التأثير .

- فإذا ذكرنا ذلك ظهر لنا السر فيما أصاب السحر والسحرة من نجاح ، وعلمنا أن ذلك يرجع بوجه خاص إلى أمرين :

الأول : ثقة الساحر من نفسه إلى حد بعيد جداً ، ومن مقدرته على أداء وظيفته ، بعد أن يستعد لها استعداداً كاملاً .

والثاني : اعتقاد المريض في كفاية الساحر من جهة ، وفي أن عمله منتج محقق للغرض من جهة أخرى . فلو كان المريض مزعزع الإيمان بالساحر ، ضعيف الاعتقاد في كفايته ، أو كان ضعيف الأمل في الشفاء لضعف تأثير السحر أو انعدم .

وإننا إذا درسنا صور السحر المختلفة وحاولنا تحليلها علمياً وجدنا أن السحر في معظم صورته يؤول إلى التأثير بالاستهواء من جانب الطبيب ، والإيمان وصدق الاعتقاد من جانب المريض . أما فيما عدا هذه الصور فإن التأثير يرجع إلى التذرع بوسائل تقوم على التجربة .

ولقد يروق القارئ المميز بشرقيته أن يعرف أن علماء العرب وفلاسفتهم قد تكلموا في السحر وتأثيره كلاماً وافياً شافياً ، يدل على ذلك ما نقلته باختصار عن الراغب الأصفهاني وابن خلدون .

غير أني أرى أن أوفاهم حديثاً وأشدهم تفصيلاً وتحقيقاً في دراسة هذا الموضوع هو العلامة محمد فخر الدين الرازي صاحب التفسير المشهور<sup>(١)</sup> .

يُقرّر هذا الباحث الماهر أن السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ،

(١) ولد في ٢٥ رمضان سنة ٥٤٣ هـ وتوفي في يوم الاثنين عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ .

ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمثيل والخداع .  
ويرى أن للسحر بهذا المعنى ثمانى صور<sup>(١)</sup> أعرضها هنا على سبيل الإيجاز واحدة  
واحدة ؛ لأبين مبلغ انطباق القاعدة السابقة عليها :

الصورة الأولى : « سحر الكلدانيين الذين عبدوا الكواكب » :  
كان هؤلاء يمتقدون اعتقاداً جازماً فى تأثير الكواكب والأجرام العلوية عامة  
فى العوالم السفلية عامة ، وفى الإنسان بوجه خاص . ولعل هذه العقيدة أتت لهم من مشاهدة  
تأثير هذه الأجرام وما لها من فوائد ومضار ، وما لدورانها وتقلبات أحوالها من أثر  
فى اختلاف المواسم وتغير درجة الحرارة ، وفى معرفة عدد السنين وحساب الزمن .

اعتقد السحرة كما اعتقد المرضى بقوة تأثير هذه الكواكب ، فإذا ما استعانوا بها  
فى معالجة الأمراض وكان نصيبهم النجاح فليس لنا أن نعجب ، ما دمنا نعلم أن كلا  
من الساحر والمريض يؤمن إيماناً صادقاً أن هذه الكواكب تجيب دعوة الساحر إذا  
دعاها . أما أن هذه العقيدة مطابقة للواقع أولاً فأمر ثانوى لا علاقة له بالحالة النفسية  
عند كل من الساحر والمريض ؛ فالعقيدة أمر نفسى ذاتى ، وما عليه الواقع أمر خارجى  
موضوعى ، وليس من الضرورى فى حالتنا هذه مطابقة كل من الأمرين للآخر .  
ألا ترى أن الوهم بجميع صوره يؤثر فى النفس إلى حد كبير جداً على الرغم من أن  
المتوهم غير مطابق للواقع ؟ وألا ترى أن الاستهواء يعمل عمله فى نفسى المستهوى - ولو  
كانت الفكرة الموحى بها خيالية بحتة لا نصيب لها من الحق ؟

ولو فرضنا فى هذه الحالة أن الساحر مدع مخادع وأن المريض انخدع بكلامه ،  
واعتقد ما يقول لم يتغير الموقف ؛ لأن العنصر الفعال فى الشفاء هو حال المريض النفسية ؛

---

(١) راجع الجزء الأول من تفسيره المسمى مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير عند تفسير

قوله تعالى : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » الآية . ج ١ ص ٤٢٩ وما بعدها .

فتمت أجهت نيته إلى الشفاء ، وامتلات نفسه تفكيراً في الصحة ، وبمدت عنه جميع الأفكار الموقمة في المرض ، بأى وسيلة من الوسائل ، ولو بطريق الإيهام والخداع - كان أقرب إلى الشفاء .

الصورة الثانية : « سحر أصحاب النفوس القوية ، المستعملية على البدن القادرة على التصرف في العناصر الكونية بعد الرياضة المستمرة ، والانقطاع عن المألوف من الملذات ، والبعد عن مخالطة الخلق » :

وهذه الصورة تختلف عن سابقتها في أن الساحر هنا يعتمد على نفسه وقوة إرادته ، ويقوم بعمله دون الاستعانة بقوى خارجية ، فهو أقرب ما يكون للمستهوئى أو للمنوم المغناطيسى الذى يستخدم قوة إرادته في التأثير على الوسيط ، وليس هناك شك في أن هذه الطريقة قد جربت ونجحت في كثير من الحالات في علاج المرضى .

والسر في نجاحها هو العامل نفسه وهو الاعتقاد في الشفاء ، فالمرضى لا يبرأ إلا إذا ثبت في نفسه أنه سائر في طريق الصحة ، وإنما يأتي له هذا الاعتقاد من تأثير من يتولى العلاج ؛ بما له من قوة إرادة و نفوذ فعال ، وتسلط على إرادة المريض ، وتوجيهها حيث يشاء .

أما تأثير ذوى النفوس المستعملية في العناصر الكونية بعد الرياضة والاستعداد فقد أقره الفلاسفة الإشراقيون معتنقو الفلسفة الأفلاطونية الحديثة . وقد نص عليه ابن سينا في كتابه الشفاء حيث قال (١) :

« وكثيراً ما يؤثر النفس في بدنٍ آخر كما يؤثر في بدن نفسه تأثير العين العائنة والوهم العامل ، بل النفس إذا كانت قوية شريفة شبيهة بالمبادئ ( العليا ) أطاعها العنصر الذى في العالم وانفعل عنها ، ووجد في العنصر ما يتصور فيها ؛ ذلك لأن

(١) راجع كتاب الشفاء لابن سينا ج ١ ص ٣٤٥ .

النفس الإنسانية غير منطبعة في المادة التي لها، لكنها منصرفة الهمة إليها؛ فإن هذا الضرب من التعلق يجعل لها أن تحيل العنصر المبدئي عن مقتضى طبيعته، فلا بد أن تكون النفس الشريفة القوية جداً تتجاوز بتأثيرها ما يختص بها من الأبدان، إذ لم يكن انغماسها في الميل إلى ذلك البدن شديداً، وكان (أى النفس) مع ذلك عالياً في طبقته قوياً في مملكته جداً فتكون هذه النفس تبرىء المرضي وتمرض الأشرار، ويتبعها أن أن يهدم طبائع وأن يؤكّد طبائع، وأن يستحيل لها العناصر؛ فيصير غير النار ناراً، وغير الأرض أرضاً، وتحدث أيضاً بإرادته (أى النفس) أمطار وخصب، كما يحدث خسف ووباء، وذلك كله بحسب الواجب العقلي.

« وبالجملة فإنه يجوز أن يتبع إرادته (أى إرادة النفس) وجود ما يتعلق باستحالة إلى الأضداد فإن العنصر يطعمه (أى يطيع النفس) ويتكون فيه (أى في العنصر) ما يتمثل في إرادته (أى إرادة النفس) <sup>(١)</sup> . »

لله درك أيها الفيلسوف العظيم! فقد وفيت الموضوع حقه، ولم تدع فيه قولاً لقائل بعد هذا الكلام الصريح الواضح، الذي يمكن أن نستنبط منه بسهولة:

(١) تأثير الوهم والعقيدة في الصحة والمرض فهذا هو المقصود بتأثير النفس في بدن نفسه.

(٢) تأثير النفس الشريفة القوية في الأبدان الأخرى.

(٣) تأثير هذه النفس في هدم الطبائع أو تأكيدها واستحالة العناصر المبدئية.

---

(١) يستعمل ابن سينا النفس مذكراً ومؤنثاً في هذا النص كما يظهر من الضمائر الراجعة إليها، ويريد بالمبادئ العليا المبدع الأول والعقل الأول، وغيره من العقول، والنفس السكّية، ويريد بالعنصر المبدئي أى عنصر من العناصر الأربعة المعروفة التي هي الماء والهواء والنار والتراب أو الأرض.



(٤) رجع هذا التأثير إلى مشابهة النفس البشرية للمبادئ العليا التي تؤثر في العالم السفلي .

(٥) أن وصول النفس إلى هذه المرتبة مشروط باستملائها على البدن وعلوها في طبقتها .

وهناك نص آخر من كلام الإمام الغزالي في الموضوع نفسه :  
يقول رحمه الله (١) :

«وقديتعدى أثر بعض النفوس (البشرية) إلى بدن آخر، حتى يفسد الروح بالتوهم، ويقتل الإنسان بالتوهم . ويعبر عن ذلك بأنه إصابة العين ؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: « إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر. » وقال عليه الصلاة والسلام: « العين حق » .

« وإذا كان ممكناً لم يبعد أن تقوى نفس من النفوس على الدور قوة أكثر من هذا، فيؤثر في هيولى العالم، بإحداث حرارة وبرودة وحركة. وجميع تغاير العالم السفلي يتشعب عن الحرارة والبرودة والحركة ... ومثل هذا يعبر عنه بالكرامة والمعجزة . »

هذه خلاصة رأى الفلاسفة الأقدمين في تأثير النفوس البشرية في عناصر الكون ، وأكاد أوقن أن العلم الحديث لم يصل بعد إلى إثبات هذا التأثير بالدليل العلمى التجريبي ، ولكنه مع ذلك لا يقف منه موقف المنكر ؛ فالعلم الحديث رحب الصدر لا يسرع إلى إنكار شيء ، ولكنه أيضاً لا يسارع إلى قبول نظرية من النظريات إلا إذا أيدتها البحث، وعاضدها التجارب، وانسجمت مع نظام الكون العام .  
وكم من أمور كانت تعد سحرية أو معجزة ثم كشف العلم عنها اللثام، فأصبحت من

(١) مقاصد الفلاسفة ص ٣١٦ - ٣١٧

البديهيات المسلمات ، وما عهد المذيع وناقل الصور ( التليفزيون ) والقنبلة الذرية  
منا ببعيد .

الصورة الثالثة : « الاستعانة بالأرواح الأرضية (الجن والشياطين) في التأثير» ،  
وشأن هذه الصورة شأن الصورة الأولى ؛ إذ أن الاستعانة بالأرواح الأرضية كالأستعانة  
بالكواكب والأجرام العلوية ، فما قيل في هذه يقال هنا سواء بسواء . وقد علمت أن  
الكلدانين أو البابليين كانوا يتبعون الطريقتين معافى معالجة المرضى .

الصورة الرابعة : « التخيلات والأخذ بالعيون بخفة الحركة وخداع الحواس » .  
وهذا هو الذى يسمى أحيانا « الشعوذة أو الشعبة » وأساسه النفسى كما ترى هو الوهم  
وخداع الحواس ، الذى أثبتته التجارب السيكولوجية ، وأقره الباحثون قديما وحديثا .  
ومرده إلى أن الحاسة قد تنخدع فتحس إحساسا مخالفا للواقع ، وقد يصل الإنسان  
إلى درجة الخبل فيصور له خياله أشياء لا وجود لها مطلقا ، ويقوم نحوها بأعمال تدل  
على ما فى نفسه من تخيلات وأوهام ، فيحاول الجلوس على الكرسي المتوهم ، أو يحاول  
معاينة الحبيب الخيالى ، وهذا كله مفصل فى كتب علم النفس فلا داعى للإطالة فى  
بحثه هنا .

« الصورة الخامسة : « الإتيان بالأعمال المعجبية التى تظهر من الآلات المركبة  
على النسب الهندسية ؛ كعمل تمثالين لفارسين يتحركان ويقمتلان ، ولا يقتل أحدهما  
الآخر ، وكفارس على فرس فى يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من  
غير أن يمسه أحد . »

الصورة السادسة : « الاستعانة بخواص الأدوية ؛ كأن يجعل فى طعامه بعض  
الأدوية المبلدة المسكرة ؛ نحو دماغ الحمار ؛ إذا تناوله الإنسان بلد عقله . »  
وهاتان صورتان كان يهدما القدماء من الأعمال السحرية التى لا تعرف أسرارها ،

ولكن التقدم العلمى الحديث قد جعلها فى عداد البديهيات . ولا ريب أن من قاموا بهذه الأعمال فى العصور التاريخية قد علمتهم التجارب بعض الخواص الطبيعية ، فاستخدموا معارفهم البدائية هذه فى تركيب الأدوية الخاصة ، وعمل تلك الآلات المتحركة التى نجد أنواعا كثيرة منها ، ومما هو أرق منها بين لعب الأطفال فى الوقت الحاضر . فليت شمري ماذا يظن الإمام الرازى وغيره من الأقدمين لو أن حياتهم ردت إليهم ، وعادوا إلى هذه الدنيا ، ورأوا ما فيها الآن مما يبهر العقول ، ويحير الألباب ؟ الصورة السابعة : « تعليق القلب ؛ وهو أن يدعى الساحر أنه يعرف الاسم الأعظم ، وأن الجن يطيعونه وينقادون له فى أكثر الأمور ، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز ، اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك ، وحصل فى نفسه نوع من الرعب والخافة . وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة ، فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء . »

وهذا هو الإيحاء عينه ، أو الاستهواء نفسه المستوفى لشرطيه الأساسيين وهما :  
(١) قوة إرادة المستهوى واستعلاؤه على المستهوى بتلك الادعاءات والتمويهات .  
(٢) ضعف إرادة المستهوى ، ووقوعها فريسة فى يد المستهوى يفعل بها ما يشاء .  
فإذا استخدمت هذه الطريقة فى العلاج ونجحت فليس لنا أن نعجب ؛ لأن الأمر بين والسبب ظاهر .

الصورة الثامنة : « السعى بالنميمة والتضريب<sup>(١)</sup> من وجوه خفيفة لطيفة . »  
وهذه الصورة لا تعدو أن تكون إيحاءً أيضاً ؛ فإن المنام يستعين بقوة بياحه ، وسلطان بلاغته على تزيين الأفكار وتنميتها ، ويقذف بها فى قلب المنوم إليه ، فيتقبلها بقبول حسن ، دون أن يطالب المنام بإقامة الدليل العقلى على صحة ما يقول . فالنميمة

(١) التضريب = التحريض .

المؤثرة هي في الواقع استهواء سلاحه البلاغة والبيان . وقد صدق الرسول حيث قال :  
« إن من البيان لسحراً . »

ومن الطرق المتبعة الآن في العلاج النفساني طريقة تسمى طريقة «تجديد التربية»  
Re Education ، ومن أهم عناصرها تزويد المريض بالأفكار الصحيحة ، والتخفيف من  
شأن مرضه ومن شأن أسبابه بعبارة بليغة مؤثرة . فما أشبه هذه بالصورة الثامنة  
والأخيرة من صور السحر ، التي ذكرها محمد فخر الدين الرازي رحمه الله .

وخلاصة القول أن تأثير السحر في علاج الأمراض يرجع في النهاية إلى تأثير  
الاعتقاد والإيمان في نفس المريض .

ولننتقل الآن إلى الطريقة الثانية ، وهي طريقة المعالجة بالتدين والتطهر من الآثام ،  
وهي الطريقة التي شاع أمرها بين اليهود .

وإني أقول وأنا واثق مما أقول إن هذه الطريقة أيضاً تقوم على أساس الاعتقاد  
والإيمان ، ذلك أن اليهودي المتدين المؤمن بصحة تعاليم دينه إذا ارتكب إثماً من  
الآثام ، وهو يعلم حق العلم أن ارتكاب الإثم يجعل الإنسان عرضة للمرض ، فإنه  
لا بد يتأثر بهذه العقيدة ، فيمرض أو يسير في طريقه إلى المرض ، فرضه يكون حينئذ  
ناشئاً عن اعتقاده الجازم بأن ارتكاب الإثم يورث المرض .

وإذا لحقه المرض وعرف سببه ، ثم اعترف بإثمه وتاب من ذنبه واستغفر ربه ، واعتقد  
أن ربه قد غفر له كان ذلك الاعتقاد أيضاً سبباً مباشراً في شفاؤه من مرضه ؛ لأن دينه  
يرشده إلى أن التوبة أو الاستغفار يكسب الصحة ، ويذهب بالأمراض .

فلاعتقاد بأن الذنب يورث المرض هو الذي ينشأ عنه المرض أو الوباء ، وكذلك  
الاعتقاد بأن التوبة تأتي بالصحة هو الذي ينشأ عنه الصحة والشفاء ، فالأمر يرجع  
إلى الاعتقاد في كلتا الحالين . ولا ريب أن هذا وذاك متوقفان على صحة إيمان الشخص ،  
ووثوقه ثقة لا تتزعزع بأن تعاليم دينه صحيحة صادقة لا يتطرق إليها أدنى شك ، وإلا  
لم يكن من الضروري ترتب المرض على الإثم ، ولا ترتب الصحة على التوبة .

## الفصل الثاني

### العلاج النفساني في القرون المسيحية الأولى

(١) علاج المرضى على يد السيد المسيح

نشأ السيد المسيح عيسى بن مريم بين اليهود، وشب وترعرع في بيئة يهودية، ونظر حوله فوجد قومه قد ضلوا السبيل، وأهملوا تعاليم الدين القويم الذي أتى به موسى عليه السلام، فهب بتأييد من ربه يرشدهم إلى الحق، ويدعوهم إلى الخير، ويدافع عن الفقراء والمساكين. فأمن به فريق منهم، وفي مقدمتهم الحواريون المخلصون. وتقص علينا الأناجيل بطرق وأساليب فيها شيء من الاختلاف أنه عالج المرضى بجنو ورفق، وأعاد إليهم صحتهم الجسمية والعقلية معاً. ويذكر القرآن الكريم أنه عليه السلام أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتي بإذن الله، معجزة له، ودليلاً على صحة رسالته من لدن ربه.

وقد علمت فيما مضى موقف الفلسفة من هذه الأعمال الغريبة الخارقة للعادة، وفهمت أن النفوس القوية الشريفة تقرب من العالم الروحاني، ويكون لها من التأثير ما يشبه المبادئ العليا.

وقوة النفس وشرفها وعلو منزلتها كل ذلك كان متوافراً في عيسى بن مريم على أكمل وجه، وقد كان عليه السلام واثقاً بنفسه، موقناً بتأييد ربه؛ وحينئذ يكون هو

في نفسه أهلاً لتولى العلاج النفساني؛ لقوة نفسه وشرفها وثقته بها ، وبمقدرته على إجابة دعوة من يستغيثون به ، ويرجون معونته على التخلص من أمراضهم .

وإننا إذا درسنا الحالات التي عرضت له أو عرضت عليه وحللنا نفسية من استغاث به وجدنا أن شرط الإيمان والاعتقاد فيه والثقة به متوفر في كل منهم .

وإليك ما ورد في إنجيل مرقس خاصاً بشفاء المرضى على يديه عليه السلام :

قال مرقس : « ثم دخلوا كافر ناحوم ، وللوقت دخل المجمع<sup>(١)</sup> في السبت ، وصار يعلم فبهتوا من تعليمه ؛ لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة ، وكان في مجمعهم رجل به روح نجس فصرخ<sup>(٢)</sup> قائلاً : آه ! مالنا ولك يا يسوع الناصري ، أتيت لتهلكنا ، أنا نعرفك من أنت ، أنت قدوس الرب . فانتهره يسوع قائلاً : اخرس<sup>(٣)</sup> واخرج منه ، فصرع الروح النجس ، وصاح بصوت عظيم وخرج منه . . . . . ولما خرجوا من المجمع جاءوا للوقت إلى بيت سيمان ، وأندراوس مع يعقوب ويوحنا وكانت حمو سيمان مضطجعة محنومة ، فللوقت أخبروا عنها ، فنقدم وأقمها ممسكا بيدها ، فتركتها الحمى حالا وصارت تخدمهم . ولما صار المساء إذ غربت الشمس قدموا إليه جميع السقاء والمجانين ، وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب فشفي كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ، ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه<sup>(٤)</sup> . »

(١) المجمع كنيسة اليهود .

(٢) المفهوم أن الذي صرخ هو الروح النجس الذي احتل جسم الرجل وذلك طبقاً للعقيدة التي كانت منتشرة بين اليهود في ذلك الوقت .

(٣) الخطاب موجه للروح النجس كما لا يخفى .

(٤) إنجيل مرقس ص ١ ( ٢٣ - ٢٨ )

ويروى لوقا هذا الحادث نفسه مع شيء قليل من التغيير ، ولأمر ما لم يذكرها متى ولا يوحنا في إنجيليهما .

ومهما يكن من اختلاف أصحاب الأناجيل في رواية هذا الحادث فإنه يدل على مبلغ اعتقاد القوم في قوة السيد المسيح وسلطانه على العقول ، ومقدرته على العلاج الروحاني .

وإليك حادثين آخرين يؤيدان ما قلناه :

(١) يقول متى : « وفيما هو يكلمهم بهذا إذا برئيس قد جاء فسجد له قائلاً : إن ابنتي الآن قد ماتت ، لكن تعال وضع يدك عليها لتحيها ، فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه ، وإذا امرأة نازفة دم منذ اثنتي عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومست هدب ثوبه ؛ لأنها قالت في نفسها إن مسست ثوبه فقط شفيت . فالتفت يسوع وأبصرها فقال : ثقي يا ابنة ؛ إيمانك قد شفاك ، فشفيت المرأة من تلك الساعة . . » (١)

(٢) يقول متى أيضاً : « وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان : ارحمنا يا ابن داود ! ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان فقال لهما يسوع : أتؤمنان أني أقدر أن أفعل ذلك ؟ . قالاه : نعم يا سيد . حينئذ لمس أعينهما قائلاً : بحسب إيمانكما ليكن لكما « فانفتحت أعينهما . » (٢)

وإنك لو تتبعت جميع حالات العلاج التي وردت في الأناجيل لوجدت أنها كلها ناطقة بصدق ما أقول ، على الرغم من اختلاف أصحاب الأناجيل في وصف حالات العلاج ، وما أحاط بها من ظروف .

وإذن يكون علاج السيد المسيح لهؤلاء المرضى علاجاً نفسانياً ، مستوفياً لشرطيه

(١) إنجيل متى ٩ ( ١٨ وما بعدها )

(٢) إنجيل متى ٩ ( ١٧ وما بعدها )

الأساسيين، سواء أكان المرض عقلياً كما في الحالة الأولى: حالة المصروع، أو جثمانياً كما في الحالتين الأخيرتين: حالة المرأة التي لازمها نزيف الدم، وحالة الأعميين.

رب قائل يقول: إذا كان علاج السيد المسيح للمرضى عادياً، متمشياً مع طبائع الأشياء فأين معجزته؟ فأقول: إن المعجزة هي الأمر الخارق للعادة يظهره الله على يد مدعى الرسالة دليلاً على صحة دعواه، وإن هذا التعريف ينطبق على أعمال السيد المسيح؛ فقد جرى على يديه أمور غير مألوفة، أوقعت القوم في حيرة وارتباك، وإن صدور هذه الأعمال منه دليل على قوة نفسه وشرفها، وما هذا وذاك إلا منحة إلهية وموهبة صمدانية لا يهبها الله إلا لعباده المخلصين.

ولا إخل القارئ الكريم الإمتفاقاً معي على أن شفاء المرضى بالطريقة التي اتبناها السيد المسيح عليه السلام متمش مع المبادئ الفلسفية، جار على أصول علم النفس، مستوف للشروط الأساسية: إيمان المريض، وقوة نفس المعالج.

### (ب) علاج المرضى على يد القديسين المسيحيين

لم يلحق السيد المسيح بالرفيق الأعلى إلا بعد أن ناشد الحواريين أتباعه المقربين إليه أن ينشروا رسالته، ويذيعوا في الناس تعاليمه، ويعالجوا مرضاهم.

يقول لوقا في هذا الموضوع:

« وقد دعانا لهذه الاثني عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين، وشفاء الأمراض. وأرسلهم ليكرزوا بملكوت السموات ويشفوا المرضى. » (١)

وسواء كان المراد من «الشياطين» المارقين عن الحق، ومن «المرضى» ضعاف النفوس



المنغمسين في الرذيلة ، أم كان المراد من «الشياطين» الجن أو الأرواح الخبيثة التي كان من المعتقد في ذلك الوقت أنها تسكن أجسام الناس ، وتسبب لهم الصرع أو الجنون ، ومن «المرضى» المصابين بالأمراض الحقيقية الجثمانية أو العقلية . أقول سواء أكان المراد من كلام المسيح معناه المجازي أو معناه الحقيقي ، فقد روى أن بعض هؤلاء الرسل على الأقل قد اقتفوا أثر زعيمهم في الدعوة إلى ملكوت السموات ، وعلاج مرضى الأجسام أو العقول بالطريقة الروحانية نفسها .

فقد روى في سفر أعمال الرسل أن بطرس عالج رجلاً أعرج بأن نظر إليه وقال له : «باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش» . وأمسكه بيده اليمنى وأقامه ، ففي الحال تشددت رجلاه وكمباه فوثب ووقف وصار يمشي<sup>(١)</sup> .

وورد في السفر نفسه أن : « بطرس وهو يجتاز الجميع نزل أيضاً إلى القديسين الساكنين في لُدَّة فوجد هناك إنساناً اسمه إيناس مضطجعاً على سرير منذ ثمانى سنين ، وكان مفلوجاً ( = مصاباً بالشلل ) فقال له بطرس : يا إيناس يشفيك يسوع المسيح قم وافرش لنفسك . » فقام للوقت ، وراه جميع الساكنين في لُدَّة .

ويروى كاتب السفر السابق ذكره أن حنانيا أحد تلاميذ المسيح مضى إلى بيت فيه رجل أصيب بالعمى اسمه «شارل» ووضع عليه يده ، وتحدث معه ، فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال .<sup>(٢)</sup>

ولم تكن القدرة على العلاج الروحاني مقصورة على الحواريين ؛ فقد روى أن

(١) أعمال الرس ٣ ( ١ وما بعدها )

(٢) أعمال الرس ٩ ( ٣٣ ، ٣٤ )

(٣) أعمال الرس ٩ ( ١ - ١٩ )

القديس مارتين الطوروسى الذى عاش فى أواخر القرن الرابع الميلادى عالج صبيتين كانت إحداهما مفلوجة ، وكانت الأخرى خرساء ، وذلك بأن صب الزيت فى فمهما .  
ويسمى علاج هؤلاء العلاج بالكرامة . أما علاج السيد المسيح فيسمى العلاج بالمعجزة ، وأما العلاج النفسانى فى العصور القديمة فقد كان فى الغالب علاجاً بالسحر .  
وقد شاع أمر العلاج بالكرامة خلال القرون الوسطى ، بل إن سوقه ظلت نافقة إلى عصرنا هذا بين أرباب الديانات المختلفة ، وكانت طريقة العلاج ولا تزال واحدة تقوم على أساس الإيمان والعقيدة ، لا يختلف بعضها عن بعض إلا فى إسم الإله الذى يستعان به .

ويرى الدكتور چانيه Pierre Janet أن طريقة العلاج بالكرامة كانت تتبع بشكل بلغت الأنظار عند مقبرة القديس ميدارد<sup>(١)</sup> بفرنسا حوالى سنة ١٧٣٦ م .  
ويحكى الأستاذ بيرسفال لاؤل<sup>(٢)</sup> فى كتاب نشره سنة ١٨٩٤م أن اليابانيين كانوا يتبعون فى علاج الأمراض طرائق تشبه كثيراً ما كان متبعاً بين قدماء المصريين والإغريق .

وقد حظى رجال الدين من المسيحيين بقسط وافى من النفوذ والسلطان وأثرت عنهم القدرة على علاج المرضى ، وقد مارسوا فى كثير من الحالات مهنة تطبيب العقول ، وعادت بعض العقائد القديمة إلى السواد الأعظم من الناس ، وأخذ المرضى بمقولهم يلجئون إلى رجال الدين ، ويتوسلون إليهم أن يخرجوا الأرواح الخبيثة من أجسامهم لتمود إليهم صحتهم العقلية .

St Médard (١)

Pircival Lowell (٢)

وكان رجال الدين أنفسهم يشاطرون العامة هذه العقيدة ، أو على الأقل يتظاهرون بأنهم يشاطرونهم إياها .

وكما قوى النفوذ الديني في القرون الوسطى اشتد رجال الدين تعسفا في معالجة مرضى العقول . يقول الدكتور لُدج پاتش<sup>(١)</sup> في كتابه عن الأمراض العقلية : « إن آلافا مؤلفة من مرضى العقول الذين عرفوا بالوداعة ودماثة الخلق كانوا في عصر الاضطهاد الديني في أوربة يُحرقون وهم أحياء ، ومن سمح لهم بالبقاء من هؤلاء البائسين كانوا يعذبون عذاباً أليماً ، ويمثل بهم تمثيلاً شنيعاً ، الحرق بالفار أسهل منه وأخف .

# الفصل الثالث

## العلاج النفساني

في جاهلية العرب و صدر الاسلام

( ١ ) في الجاهلية :

كانت جزيرة العرب قبل الإسلام تحتل مركزاً وسطاً بين إمبراطوريتين عظيمتين هما : (١) الإمبراطورية الرومانية، وقد أحاطت بالجزيرة من الشمال والغرب؛ إذ كان الرومان يحتلون سوريا وفلسطين ومصر، (٢) الإمبراطورية الفارسية، وقد أحاطت بجزيرة العرب من الشمال والشرق والجنوب؛ فقد كان الفرس يحتلون بلاد اليمن .

ولا مجال للشك في أن دراسة الطب وممارسته قد شاعا في هاتين الإمبراطوريتين؛ فالإمبراطورية الرومانية الشرقية ورثت ثقافة الإغريق القدماء ، وكياستهم الفنية ، ومهارتهم الطبية . ويذكر التاريخ أن الإمبراطور جستنيان ثار على الفلسفة والفلاسفة، ونفى فريقاً منهم ممن اصطنعوا الذهب الأفلاطوني الحديث ، وكان ذلك في القرن السادس الميلادي . ويروى أن عدداً من هؤلاء رحلوا إلى بلاد فارس فرحب بهم كسرى فنشروا ببلاده الفلسفة والطب، وأقاموا البيمارستانات ، ومن المحقق أن مهنة الطب كانت قبل ذلك من المهن المعتمد بها في بلاد فارس وفي الهند وغيرها من الممالك الشرقية .

كان من الطبيعي إذاً أن يكون لدى العرب قبل الإسلام أطباء يمارسون الطب ويدرسونه ، وبخاصة في الحيرة واليمن وسوريا المتاخمة لتلك البلاد العربية في الحضارة.

والواقع يؤيد ذلك ؛ فقد اتفق الرواة على أنه كان ببلاد العرب قبل الإسلام أطباء<sup>(١)</sup> نبغوا في مزاوله الطب ، وفي مقدمتهم الحرث بن كلدة الذي وفد على كسرى أو شروان وأجاب إجابات سديدة عن أسئلة في الطب وغيره وجهها إليه كسرى ، فأقر بفضلها وذلاقة لسانه ، ومهارته الطبية .

ومنهم ابن حذيم من تيم الرباب وقد مهر في التطبيب بالسكى ، وقيل إنه أظ من الحرث بن كلدة ، وكان يضرب به المثل في الطب فيقال أظ من خديم ، وأظ في السكى من ابن حذيم .

ومن أطباء العرب من كان معاصراً للرسول كالنضر بن الحرث بن كلدة الثقفي الأنفي الذكر وكان ابن خالة النبي ، وقد ذكر عنه أنه سافر وتنقل في البلاد كأبيه ، واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرهما ، وعاشر الأخبار والكهنة ، وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر ، وأنه كان كثير الأذى والحسد للنبي مع أنه ابن خالته . ولما كان يوم بدر ناصر النضر المشركين ، وكان ممن أسرهم المسلمون فأمر الرسول بقتله .

ومن المقطوع به أن هؤلاء الأطباء وغيرهم قد زاووا علاج الأمراض الجثمانية بوسائل مادية ، ونجحوا في ذلك إلى حد كبير جداً ، وقد اكتسبوا مهارتهم الطبية من التجارب أكثر مما اكتسبوها من الدراسة النظرية .

---

(١) راجع عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٠٩ وما بعدها ، وبلوغ

الأرب في معرفة أحوال العرب للألوس ج ٣ ص ٣٢٨ وما بعدها .

وليس بين يدي من النصوص التاريخية ما يدل على أن أحداً من هؤلاء تولى  
العلاج النفساني .

وكان بالجزيرة بجانب هؤلاء الأطباء طائفة من الكهنة الذين ادعوا أنهم كانوا  
يعلمون الغيب ، وأنهم قادرون على استخدام الجن والشياطين في الاتصال بالسماء  
واستراق أخبار الغيب . وليس من البعيد أن بعضهم أو كلهم حاولوا علاج الأمراض  
العقلية بوسائل نفسانية، بحكم ما كان لهم من قوة نفوذ، ومقدرة على التأثير في النفوس .  
وليس من الحق في شيء أن ننكر أن الأطباء والكهنة تناولوا العلاج النفساني  
في الجاهلية على أساس أنه لم تصل إلينا نصوص تاريخية تؤيد أنهم تناولوه ؛ إذ من  
الجزأ أن تكون هناك نصوص من هذا القبيل ولكنها لم تصل إلينا، أو أن الحوادث  
الدالة على أنهم تناولوا هذا الفن لم تدون .

ومع أننا لم نعثر على ما يدل على أن أطباء العرب وكهنتهم قد تناولوا الطب النفساني  
في العصر الجاهلي ، فإن التاريخ يقص علينا أن عرب الجاهلية قد اتبعوا عادات<sup>(١)</sup>  
طبية أو وقائية معينة شاع أمرها فيما بينهم ، ودرجوا على اتباعها في حالات معينة .  
فقد آمنوا بتأثير الخرزات والأحجار والرق والتمايم ، وكانوا يستخدمونها  
لأغراض مختلفة منها :

- (١) التخلص من بمرض الآلام أو الأمراض .
  - (٢) اكتساب الثقة بالنفس عند مقابلة الحكام أو الخصوم .
  - (٣) التحبب إلى الناس .
  - (٤) تجنب الآفات عامة وإصابة العين خاصة .
- فقد كانوا يعتقدون أن الرجل منهم إذا خدرت رجله ذكر من يجب ، أو دعاه

(١) راجع بلوغ الأرب ج ٣ ص ٥ وما بعدها .

فيذهب خدرها ، وأن من اختلجت عينه إذا قال : « أرى من أحب » فإن كان غائباً توقع قدومه ، وإن كان بعيداً توقع قربه - فيذهب اختلاج عينه .

وكانوا إذا خافوا على الرجل الجنون أو تمرّض الأرواح الخبيثة له نجسوه بتعليق الأقدار عليه ؛ كخرقة الحيض وعظام الموتى .

وإذا ظنوا بالرجل مساً من الجن عالجوه بالثشرة وهي ضرب من الرقية .

وكانوا يعتقدون أن تناول دم الرئيس يشقى من الكلب .

وأن العاشق إذا سقى من السلوانة يسلو . والسلوانة حرزنة بيضاء شفافة ، أو

هي - كما يقول اللحياني - تراب من قبر يُسقى به العاشق .

ومن خرزاتهم التي اعتدوا بها ( الخصمة ) وهي خرزة للدخول على السلطان

أو الخصوم تجمل تحت فص الخاتم ، أو في زر القميص ، أو في سمائل السيف . وكانوا

يرون أن تعليق الهنمة ، أو الفطسة ، أو القبلة ، أو الدرديس <sup>الرجال</sup> يجب الرجاء في النساء .

وهذه كلها أنواع من الخرز .

وكانوا يعلقون التميمة - وهي خرزة خاصة - لمنع الآفات ، وخرزة أخرى سوداء

تسمى الكحلة لدفع العين عن الصبيان ، وخرزة بيضاء تسمى القبلة تعلق في عنق

الفرس من العين .

ولما جاء الإسلام أنكر هذه العادات وما يشبهها ، وعدّ اتباعها شركاً ؛ لأنه

ينطوى على نسبة التأثير لغير الله . وعلى الرغم من ذلك لم يقض عليها القضاء التام ؛

بدليل استمرار بعضها أو ما يشبهها حتى عصرنا هذا ؛ فلا يزال كثير من العامة

يستخدمون التمايم والرقى ، ويقيمون حفلات الزار ، ويعقدون جلسات للعلاج بالأرواح .

وإننا إذا نظرنا إلى هذه العادات من الناحية النفسية - بقطع النظر عن حكم

الشرع - لم يكن هناك مجال للمعجب والاستغراب حين نسمع بنجاحها وتحقق أغراضها؛  
فإن نجاحها إن تم إنما يرجع إلى الأساس الذي أوضحناه آنفاً، وهو اعتقاد من يتبعها  
اعتقاداً جازماً بمنفعتها ونجاحها .

وأنت تعلم أن هذا الاعتقاد هو ما يسميه علماء النفس « بالإيحاء الذاتي »، الذي  
أصبح من الثابت المقرر قوة تأثيره في النفس تأثيراً فعالاً .

وهذا التعليل مقبول - على ما يظهر - بالنسبة <sup>للغرضين</sup> الأول والثاني ؛ أي  
التخلص من الآلام أو الأمراض ، واكتساب الثقة بالنفس . أما بالنسبة <sup>للإعراض</sup> للأمراض  
الأخرى فليس كذلك .

ولعل التعليل الصحيح لتأثير الخرزات ونحوها في التجيب إلى الناس هو أن حمل  
الخرزة يوحى إلى حاملها أن يشعر شعوراً خاصاً نحو نفسه ، وهذا الشعور يحمله على  
أن يسلك مسلكاً خاصاً يجيبه إلى غيره فتحدث المحبة بالفعل . ألا ترى أن من يحمل  
كمية كبيرة من النقود كثيراً ما يشعر بشيء من العزة والعظمة ، ويسلك مسلكاً  
خاصاً يحمل الناس على احترامه وحسن الظن به ، أما من لا يكون في جيبه مال  
فترى علامات البؤس والشقاء بادية عليه، وتراه مع ذلك يتبع سلوكاً يدعو الأشخاص  
العاديين إلى النظر إليه نظرة استصغار .

ولعل تأثير التماثم ونحوها في منع العين يرجع إلى أن وجودها معلقة حول الرقبة  
مثلاً يوجه إليها الأنظار ، ويجعلها موضع الاهتمام فتتنصرف إليها الأعين .

أما تأثيرها في تجنب الآفات فلعله يرجع إلى أنها تكسب حاملها حصانة وثقة  
بالنفس ، وتمدده بأفكار قوية مضادة للإصابة؛ فتكون بمثابة قوة روحية محصنة للجسم،  
تقيه شر التأثر بالآفات .



وإنما دعانا إلى تلمس التعليل النفساني لنجاح هذه العادات ما نراه من عدم وجود علاقات مادية بين وسائل العلاج أو الوقاية وبين الأمراض أو الآفات ؛ فأنت لا ترى علاقة مادية بين ذكر الحبيب وخدر الرجل ، ولا بين التمنجس والجنون ، ولا بين الرقية ومس الشيطان ، ولا بين الشرب من السلوانة والعشق ، وهكذا .

وإذ لم يكن هناك سبيل إلى التعليل المادي كان من الضروري الالتجاء إلى التعليل النفساني على نحو ما ذكرنا .

أما نجاح تلك الوسائل في تأدية أغراضها ولو في بعض الحالات فثابت لا محالة ، ولولا ذلك ما صار اتباعها عادة شائعة يتناوبها الخلف عن السلف ؛ إذ أن الغالب أن العادة التي تثبت التجارب منفعتها - ولو في بعض الحالات - هي التي تبقى ، أما غيرها فلا يلبث أن ينقرض .

### (ب) العلاج بالقرآن

هذه هي خلاصة القول في العادات الطبية التي شاعت بين العرب في الجاهلية . ولما جاء الإسلام أنكرها ، ولكنه أتى بما هو أهم منها وأجل شأنًا ذلك هو الاستشفاء بالقرآن الكريم الذي فيه يقول الله تعالى : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً . »<sup>(١)</sup>

يرى بعض المفسرين<sup>(٢)</sup> أن الغرض من الشفاء هنا هو الشفاء من الأمراض الذي هو من خواص آيات الشفاء الست وهي : (١) ويشف صدور قوم مؤمنين<sup>(٣)</sup> ، و (٢) شفاء لما في الصدور<sup>(٤)</sup> ، و (٣) فيه شفاء للناس<sup>(٥)</sup> ، و (٤) وتنزل من

(١) سورة الإسراء آية ٨٢ (٢) راجع تفسير روح المعاني للآلوس ج ٤ ص ٥٧٥

(٣) التوبة ١٥ (٤) يونس ٥٧ (٥) النحل ٦٩

القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ، و (٥) وإذا مرضت فهو يشفين<sup>(١)</sup>، و (٦) قل هي للذين آمنوا هدى وشفاء<sup>(٢)</sup> .

قال السبكي وقد جربت كثيراً . وعن القشيري أنه مرض له ولد أيس من حياته ، فرأى الله تعالى في منامه فشكا له سبحانه ذلك ، فقال له : اجمع آيات الشفاء واقراها عليه ، أو اكتبها في إناء واسقه فيه ما حيت به ، ففعل فشفاه الله .

قال الآلوس : والأطباء معترفون بأن من الأمور والرقى ما يشفي بخاصية روحانية . وكان ابن سيرين لا يرى بأساً بالشئ من القرآن يعلقه الإنسان كبيراً أو صغيراً مطلقاً . وهو الذي عليه الناس قديماً وحديثاً في سائر الأمصار .

ويرى فريق من المفسرين أن « من » في الآية الكريمة السابقة ليست للتبويض وإنما هي للجنس كما في قوله تعالى : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان »<sup>(٣)</sup> . ومن هؤلاء المفسرين الإمام نجر الدين الرازي . وهاك ما قاله في هذا الصدد . وهو قول يفيض معرفة وعلماً وفصاحة وبلاغة ، يقول رحمه الله<sup>(٤)</sup> :

« واعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية ، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمانية ؛ أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر ؛ وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة ، والأخلاق الذمومة . أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فساداً الاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر ، والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب ، وإبطال المذاهب الباطلة فيها . ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخطأ في هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب الباطنة لا جرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني » .

(١) الشعراء ٨٠ (٢) فصلت ٤٤ (٣) الحج ٣٠ (٤) مفاتيح الغيب ج ٥ ص ٤٣٣

« وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها ، وتعريف ما فيها من  
المفاسد ، والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة ، فكان القرآن  
شفاء من هذا النوع من المرض ، فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض  
الروحانية . »

« وأما كونه شفاء من الأمراض الجسدية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيراً من  
الأمراض . ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقى  
المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثاراً عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد ،  
فلأن تكون قراءة القرآن العظيم ، المشتمل على ذكر جلال الله وكبريائه ، وتمظيمه  
الملائكة المقربين ، وتحقير المردة والشياطين - سبباً لحصول النفع في الدين والدنيا من  
باب أولى . ويتأكد ما ذكرنا بما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ لَمْ  
يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَلَا شِفَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . »

« وأما كونه رحمة للمؤمنين فاعلم أنا بينما أن الأرواح البشرية مريضة بسبب  
العقائد الباطلة والأخلاق الفاسدة . والقرآن قسمان بعضهما ما يفيد الخلاص عن  
شبهات الضالين وتمويهات المبطلين ، وهو الشفاء ، وبعضهما ما يفيد تعليم كيفية  
اكتساب العلوم العالمة ، والأخلاق الفاضلة ، التي بها يصل الإنسان إلى جوار رب  
العالمين ، والاختلاط بزمرة الملائكة المقربين ، وهو الرحمة . ولما كان إزالة المرض مقدمة  
على السمي في تكميل موجبات الصحة لا جرم بدأ الله تعالى في هذه الآية بذكر الشفاء ،  
ثم أتبعه بذكر الرحمة . »

« واعلم أنه تعالى لما بين كون القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين بين كونه سبباً  
للخسار والضلال في حق الظالمين ، والمراد به المشركون . وإنما كان كذلك لأن  
سماع القرآن يزيدهم غيظاً وغضباً ، وحقداً وحسداً ، وهذه الأخلاق الذميمة تدعوهم

إلى الأعمال الباطلة ، وتزيد في تقوية تلك الأخلاق الفاسدة في جواهر نفوسهم .  
ثم لا يزال الخلق الخبيث النفساني يحمل على الأعمال الفاسدة ، والإتيان بتلك الأعمال  
يقوى تلك الأخلاق . فهذا الطريق يصير القرآن سبباً لتزايد هؤلاء المشركين الضالين  
في درجات الخزي والضلال والفساد والنكال . »

وإنك لترى من نص القرآن نفسه، ومن هذا التفسير الرائع أن الشيء الواحد  
قد يكون نعمة لبعض الناس ، ونقمة لبعض ، وذلك تبعاً لوجهة نظرهم إليه واعتقادهم  
فيه ؛ فالؤمنون يطمئنون إلى القرآن، فيوحي إليهم بصحة الجسم والنفس والخلق ،  
والمشركون يكفرون به، ولا يرتاح نفوسهم إليه، فيسلكون ممة مسلك الكابرة والعناد،  
وتتحرك في أنفسهم الأحقاد، وتطفئ عليهم انفعالاتهم المريضة، فلا يزدادون إلا ضللاً  
وفساداً ، ولا غرو فالنعمة للرجل خير ورحمة ، ولعدوه شر ونقمة .

وهنا تحضرنى حكاية طريفة تعد دليلاً عملياً على صحة ما تقدم :

روى النظامي العروض السمرقندي<sup>(١)</sup> عن الإمام أبي بكر الدقاق قال : أصيب  
رجل من أعيان نيسابور بالقولنج سنة ٥٠٢ هـ ، فاستدعاني لعلاجه ، ففحصته وشغلت  
بعلاجه ، وقت بما فتح الله عليّ به من أنواع العلاج المناسبة لتلك الحالة ، ولكن لم  
تبد على المريض علامات الشفاء ، ومر على مرضه ثلاثة أيام . وفي وقت العشاء رجعت  
إلى منزلي ، وأنا معتقد أن المريض سيقضى نجه منتصف الليل . ثم أخذتني سنة من النوم  
وأنا أشعر بالألم ، واستيقظت في الصباح وليس لدى شك في أن المريض قد قضى ،  
وصعدت إلى سطح البيت ، ووليت وجهي نحو بيت المريض ، وأنصتُ ، فلم أسمع صراخاً  
يدل على وفاته ، فقرأت سورة الفاتحة مولياً وجهي نحو ذلك البيت ثم قلت : « إلهي !  
وسيدي ! ومولاي ! لقد قلت في كلامك المبرم وكتابتك المحكم : ونزل من القرآن

(١) راجع كتاب جهار مقاله بالفارسية (ص ٦٩ ، ٧٠)

ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . « وقد حلت بي الحسرة على ذلك الشاب ، الذي يستمتع  
بأسباب النعيم ، وقد امتلأت نفسه آمالاً وأماناً . ثم توضأت ودخلت المصلى ، وصليت  
النوافل ، وإذا بشخص يقرع باب الدار ، فالتفتُ فإذا هو البشير يقول : « افتح ! »  
فقلت : « ماذا حدث ؟ » قال : « لقد استراح المريض الآن . » ، فعلت أن ذلك ببركة  
الفاتحة ، وأن هذه جرعة من الصيدلية الربانية . فكانت هذه تجربة حسنة لي .  
وقد وصفت هذه الجرعة عدة مرات فجاءت موافقة ، وتم بها الشفاء . ولذا يجب أن  
يكون الطبيب صادق الاعتقاد ، وأن يولى أوامر الشرع ونواهيه ما تستحق من  
تعظيم وإجلال . «  
ولا غرو ؛ فإن الدعاء الصادر عن يقين ثابت ، وإيمان عميق صادق ينفذ من  
القلب إلى القلب ، ويعمل عمله في النفوس طبقاً لتلك الظاهرة النفسية العجيبة المسماة  
تيليباثي Telepathy ؛ أى تخاطب الأرواح ، التى على أساسها قامت طريقة علاج الغائب  
Absent Treatment التى سنتحدث عنها فيما يأتى .

## الفصل الرابع

### العلاج النفساني عند فلاسفة العرب

١ - علاج الأمراض الجسمية والعقلية

بينما كان الظلام والجهل يعمان ربوع أوربة في تلك العصور المظلمة ، عصور الظلم والاضطهاد والتعذيب والوحشية ، كان النور والعرفان يشرقان في الشرق ، وينتشران بين الأمم الإسلامية ، حيث كانت الحضارة العربية قد بلغت أوج عظمتها ، ووصلت إلى ما لم تصل إليه حضارة من قبلها ، وظهر بين العرب في العصر الذهبي الإسلامي عدد كبير من مهرة الأطباء ، الذين ورثوا طب ( بقراط وجالينوس ) وغيرها من أطباء اليونان ، بل زادوا على ذلك التراث ، وأتوا في علم الطب ومزاولة مهنته بالعجب العجاب ، ونبغوا في الأمرين معاً نبوغاً فائقاً ، حتى بهروا أطباء أوربا في القرون الوسطى ، وكانوا أساتذة لهم في الدراسة الطبية وغيرها إبان النهضة الأوربية الأولى . وتدل أوثق المصادر التاريخية على أن بعض أطباء العرب قد حذقوا العلاج النفساني ، وتولوا معالجة مرضى العقول بطرق علمية لا تقل في أهميتها عن الطرق المتبعة الآن ، وقد كان نصيبهم في ذلك النجاح والتوفيق إلى أبعد حد ممكن .

وكان أمهر هؤلاء ، وأبدهم صيتاً ، وأقواهم نفوذاً ، ذلكم النطاسي الماهر ، والباحث القدير ، والفيلسوف البارِع ، واللغوي المحقق ، والمؤلف الموفق ، الشاعر النائر الشيخ الرئيس ، حجة الحق ، أبو علي الحسين بن علي بن سينا .

برع هذا الرجل العالمى الفذ فى مهنة الطب ، وهو لا يزال حدثاً لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره . وقد أجمع الرواة على أنه نجح نجاحاً باهراً فى معالجة كثير من المرضى الذين عجز الأطباء فى عصره عن معالجتهم ، ولم يكن يعالج مرضى الأجسام فحسب ، ولكنه أفلح أيضاً فى معالجة مرضى العقول بطرق عقلية .

وكانت له دراية تامة بمرض العشق وطرق علاجه ، يدل على ذلك ما ذكره فى كتاب القانون<sup>(١)</sup> فى فصل العشق ، حيث قال :

« العشق مرض وسواسى شبيهه بالليخوليا يكون الإنسان قد جلبه إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشئائل ، ثم أعانته على ذلك شهوته . وعلامته غور العين ويبسها ، وعدم الدمع إلا عند البكاء ، وحركة متصلة للجفن ضحاكة ، كأنه ينظر إلى شئ لذيد ، أو يسمع خبراً ساراً ، أو أنه يمزح . ويكون نفسه كثير الانقطاع والاسترداد ، فيكون كثير الصمداء ، ويتغير حاله إلى فرح وضحك ، أو إلى غم وبكاء عند سماع الغزل ، ولا سيما عند ذكر الهجر والنوى ، وتكون جميع أعضائه ذابلة خلا العين ، فإنها تكون - مع غور مقلتها - كبيرة الجفن سميته ؛ لسهره وتفره المنجر إلى رأسه . ولا يكون لشئائه نظام ، ويكون نبضه نبضاً مختلفاً بلا نظام البتة ، كنبض أصحاب الهموم . ويتغير نبضه وحاله عند ذكر المشوق خاصة ، وعند لقاءه بغتة ، ويمكن من ذلك أن يستدل على المشوق من هو إذا لم يترف العاشق به ؛ فإن معرفة معشوقه إحدى سبل علاجه . والحيلة فى ذلك أن يذكر أسماء كثيرة تعاد مراراً ، وتكون اليد على نبض المريض ، فإذا اختلف بذلك اختلافاً عظيماً ، وصار شبه المنقطع ، ثم عاودت وجربت ذلك مراراً علمت أنه اسم المشوق . ثم يذكر كذلك السكك والمسكن ، والحرف والصناعات ، والنسب والبلدان

(١) راجع ج ٢ ص ٧١ ، ٧٢ من كتاب القانون .

وتضيف منها إلى اسم المشوق ، ويحفظ النبض ، حتى إذا كان يتغير عند ذكر شيء  
حسراً آجعت من ذلك خواص معشوقه من الاسم والحلة والحرفة ، وعرفته . فإنا قد  
جربنا ذلك ، واستخرجنا ما كان في الوقوف عليه منفعة . ثم إن لم نجد علاجاً إلا  
تدبير الجمع بينهما على وجه يحلله الدين والشريعة فعلت . وقد رأينا من عاودته السلامة  
والقوة وعاد إلى صحته ، وكان قد بلغ الذبول ، وجاوزه ، وقاسى الأمراض المصبية  
المزمنة ، والحميات الطويلة ؛ بسبب ضعف القوى لشدة العشق - لما أحسّ بوصول  
من معشوقه بعد مطل - معاودة في أقصر مدة قضينا به العجب ، واستدللنا على طاعة  
الطبيعة للأوهام النفسانية . »

هذه عبارة جامعة تشرح لنا بشيء من التفصيل طريقة من طرق علاج العشق  
دونها كل طريقة من الطرق المتبعة الآن . وهل وصل الطب الحديث إلى أكثر مما  
وصل إليه ابن سينا حين قال : « استدللنا على طاعة الطبيعة للأوهام النفسانية ؟ »  
على أن ابن سينا لم يقل هذا القول جزافاً ، ولم يدعه يسبح في عالم النظريات ،  
ولكنه طبقه تطبيقاً عملياً في معالجة بعض المرضى معالجة ناجحة . وإليك حادثة  
ثبتت ذلك :

روى النظامي العروضي السمرقندي في كتابه « چهار مقاله »<sup>(١)</sup> أنه عرض على  
ابن سينا ابن أخت شمس المعالي قابوس بن وشمكير أمير جورجان ، وقد أعيا الأطباء  
أمره ، فلما رآه وخاطبه في شأن مرضه تبين له أن مرضه هو الحب . ولم يشأ المريض  
أن يبوح باسم محبوبته . ولما علم ابن سينا أن شفاء المريض متوقف على معرفة محبوبته ،  
وإزالة ما عنده من وجدانات وعواطف كامنة مرتبطة بها ، أخذ على نفسه أن يعرف  
اسمها بأية وسيلة ، فأمر بإحضار أكبر سكان المدينة سنّاً ، فلما حضر قال له :

(١) چهار مقاله ص ٧٨ - ٨٠ طبعة ليدن سنة ١٩٠٩ .



«أتعرف شوارع هذه المدينة وسكانها؟» قال: «نعم». فأمره أن يذكر أسماء الشوارع شارعاً شارعاً ، وهو قابض على يد المريض؛ ليتحقق من مقدار سرعة نبضه . فلما ذكر اسم أحد الشوارع أسرع نبض المريض ، فأمر الرجل أن يذكر أسماء الشوارع المتفرعة من هذا الشارع ، فلما أتى إلى اسم أحدها ازدادت سرعة النبض ثانية . فأمر رجلاً آخر أن يقص عليه أسماء البيوت الواقعة في هذا الشارع الصغير ، فلاحظ ابن سينا زيادة نبض المريض عند ذكر أحد البيوت . فطلب من رجل ثالث أن يخبره بأسماء سكان هذا البيت من الفتيات ، فلما أتى اسم المحبوبة أسرع النبض ، فالتفت ابن سينا إلى المريض ، وقال له : أليست هذه محبوبتك؟

وبالبحث عُلِمَ أنها هي محبوبته ، وأنها ابنة خالته، وأن الشاب كان يحبها حباً جماً . ولم يجرؤ أن يذيع سره خوفاً من أهله ، ولكنهم لما علموا أن شفاءه في الزواج بها زفوها إليه ؛ فبرىء من مرضه وعاد إلى حالته الطبيعية .

وقد ذكر ابن سينا في القانون بياناً تفصيلاً لعلاج مرضى العشق ، نقتطف منه ما يأتي :

قال الشيخ الرئيس مما يبرىء المرضى بالعشق : « إيقاعهم في خصومات وأشغال ومنازعات ، وبالجملة أمورٍ شاغلة ، فإن ذلك ربما أنساهم ما أدنفهم . أو يحوطون في تعشيقهم غير المعشوق ممن تحله الشريعة ، ثم ينقطع فكرهم عن الثاني قبل أن يستحكم ، وبعد أن يتناسوا الأول . وإن كان العاشق من العقلاء فإن النصيحة والعظة له ، والاستهزاء به وتعنيفه ، والتصوير لديه أن مابه إنما هو وسوسة وضرب من الجنون مما لا ينفع نفعاً ، فإن العلاج ناجح في مثل هذا الباب . وأيضاً تسليط العجائز عليه ليغضن المعشوق إليه ، ويذكرن منه أحوالاً قدرة ، ويحكين له عنه أموراً منفراً منها ، ويحكين له منه الجفاء الكثير ؛ فإن هذا مما يسكن كثيراً وإن كان قد يغري آخرين .

ومما ينفع في ذلك أن تحاكي هؤلاء العجائز صورة المشوق بتشبهات قبيحة ،  
ويمثلن أعضاء وجهه بمحاكيات مبغضة ، ويدمن ذلك ويسهب فيه ، فإن هذا عملهن  
وهن أحذق فيه من الرجال . . . وكذلك يمكنهن أن يجتهدن في أن ينقلن هوى  
العاشق إلى غير المشوق بتدريج ، ثم يقطعن صنمتهن قبل تمكن الهوى الثاني . «  
« ومن الناس من يسليهم إما الطرب والسماع ، ومنهم من يزيد ذلك في غرامه .  
ويمكن أن يتعرف ذلك ؛ وإما الصيد وأنواع اللعب والكرامات المتجددة من  
السلطين ، وكذلك تنوع الغموم العظيمة . وكلها مسل . » (١)

وقد نبغ ابن سينا أيضاً في معالجة مرض المالنخوليا الذي قال عنه : « إنه يُعرف بتغير  
الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي إلى النساء ، وإلى الخوف والرداءة . فمن أعراضه  
الظاهرة : ظن رديء ، وخوف بلا سبب ، وسرعة غضب ، وحب التخلي ، واختلاج  
ودوار ودوي ؛ فإذا استحكمت فالتفزع ، وسوء الظن ، والغم ، والوحشة ، والكرب ،  
وهذان كلام . وتكون هذه الأوصاف غير محدودة . وبعضهم يخاف سقوط السماء  
عليه ، وبعضهم يخاف ابتلاع الأرض إياه ، وبعضهم يخاف الجن ، وبعضهم يخاف  
الشیطان ، وبعضهم يخاف اللصوص ، وبعضهم يتقى ألا يدخل عليه سبع . وقد يكون  
للأمور الماضية في ذلك تأثير ، ومع ذلك فقد يتخيلون أموراً بين أعينهم ليست .  
وربما تخيلوا أنفسهم أنهم صاروا ملوكاً أو سباعاً أو شياطين ، أو طيوراً أو آلات  
صناعية . ثم منهم من يضحك ، ومن يبكي ، ومنهم من يحب الموت ، ومن  
يبغضه . » (٢)

ومما ذكره في علاج هذا المرض : « أن يُشغل صاحبه بشيء كيف كان ، وأن

(١) القانون ج ٢ ص ٧١ ، ٧٢ .

(٢) راجع القانون ج ٢ ص ٦٥ وما بعدها تجد هناك بحثاً مستفيضاً ممتعاً لمرض المالنخوليا .

يحضره من يحتمسه ومن يستطيه ، ويُشغل أيضاً بالسماع والمطربات ، ولا أضر له من الفراغ والخلوة . »  
« وكثيراً ما يغتم بعوارض تقع له ، أو يخاف أمراً فيُشغل به عن الفكرة ويماق عنها ، فإن نفس إعراضهم عن الفكرة علاج لهم أصيل . »  
هذا ما قاله ابن سينا عن المالخوليا من حيث أعراضها ومعالجتها بطرق نفسية . وهو لا يقل كثيراً عما يقوله المحدثون في الموضوع نفسه .  
وهاك حادثة تبين مهارة ابن سينا في معالجة هذا المرض بالذات : حكى النظامي العروضي السمرقندي في كتابه الأنف الذكر : « أن فتى من بني بويه أصيب بالماليخوليا ، واشتدت به العلة حتى اعتقد أنه قد صار بقرة ، وكان يردد الصياح طول النهار ويقول : « اذبحوني ؛ فإن طعاماً شهياً يمكن أن يتخذ من لحمي . » وقد امتنع عن الطعام والشراب ، فساءت حاله ، وخارت قواه ، ونحل جسمه ، وعجز الأطباء عن معالجته . »  
« وكان الشيخ الرئيس ابن سينا على الشأن ، رفيع المنزلة ، يتولى الوزارة لعلاء الدولة البويهى ، ويقضى كثيراً من وقته في التدريس والتصنيف . وقد انتشر في الآفاق ذكره ، وعلم الخاص والعام بمهارته في التطبيب وعلاج مرضى العقول . فهرع أهل المريض إلى علاء الدولة ، وتوسلوا به لدى ابن سينا ، وعرض الأمير الحالة على الشيخ ، فقبل أن يتولى العلاج ، ثم قال : « بشروا الفتى أن القصاب آتٍ ليذبحه . »  
وعلم المريض بذلك فسر أيما سرور . »

« ثم إن ابن سينا دخل دار المريض ومعه رجلان وفي يده سكين ، وقال : « أروني أين هذه البقرة كي أذبحها . » فبخار الفتى خوار البقر ، كأنما يريد أن يقول : « هأنذا . » فقال ابن سينا : « أخرجوه إلى فناء الدار ، وشدوا وثاقه ، ثم اطرحوه أرضاً . »

وسمع المريض ذلك فأسرع إلى فناء الدار ، واضطجع على جانبه الأيمن . ولما شدوا وثاقه أقبل ابن سينا عليه ، وفي يديه سكينان يسنّ أحدهما على الآخر ، ثم أهوى على المريض وأمسك بجنبه ، كما هي عادة القصابين ، ثم قال : « عجبا ! إن هذه البقرة لهزيمة لا تصلح للذبح ؛ قدموا لها العلف ، وأطعموها حتى تسمن . »

« ثم نهض وخرج ، وقال للقوم : « فكوا وثاقه ، وضموا أمامه ما أصفه من طعام ، وقولوا له كُلْ حتى تسمن بسرعة . » ففعلوا وكان المريض يأكل كل ما يقدم له من طعام ، على أمل أن يسمن ويصلح للذبح ، وقد أشرف الأطباء على علاجه طبقاً لإرشاد الشيخ ، وفي شهر واحد صلحت حاله وبرئ من مرضه<sup>(١)</sup> . »

ونقل النظامي الأنف الذكر عن ابن سينا أنه قال في كتاب المبدأ والمعاد : « سمعت أن طبيباً بلغ لدى ملوك السامانيين منزلة رفيعة بحيث كان يُسمح له بدخول حرم القصر الملكي ، واختبار بعض النساء . ففي ذات يوم كان ذلك الطبيب جالساً في الحرم مع أحد هؤلاء الملوك في مكان لا يسمح لأحد من الرجال أن يدخله ، فطلب الملك الطعام ، فحضرت الجوارى ، ولسكن واحدة منهن - وكانت الطباخة - ما كادت ترفع المائدة من فوق رأسها حتى انحني ظهرها وتقوس ، فاضطرت إلى إلقاء المائدة على الأرض ، وأرادت النهوض فلم تستطع ، فبقيت كما هي لا تبدي حراكاً ؛ لأن ريحاً غليظاً ( روماتزم ) حل بمفاصلها . فالتفت الملك إلى الطبيب ، وأشار إليه بأن يعالجها في الحال بأي طريقة ممكنة . ولما لم يكن هناك أمل في المعالجة الطبيعية المادية ؛ لبعده الأدوية ، وعدم إمكان الحصول عليها بسرعة ، لم يكن بد من أن يفكر الطبيب في العلاج النفساني ، فأمر بأن يسقطوا الخمار عن رأسها ، ويعروا رأسها ووجهها . وإنما أمر بذلك لكي تستنكر هذا الاعتداء ، فتخجل ، وتتحرك حرارتها ، فتبرأ من علتها .

(١) جهار مقاله ص ٨٢ ، ٨٣ .

ولكن على الرغم من ذلك لم تتغير حالتها ، ففكر الطبيب في عمل ما هو أشنع مما تقدم ، فأمر أن يسقطوا سروالها ، ففعلوا ، فاعتراها الخجل ، وتجددت حرارة في بطنها حلت ذلك الريح الغليظ ؛ فبرئت من إصابتها في الحال ، ووقفت معتدلة ، وعادت إليها صحتها<sup>(١)</sup> . «

وذكر كل من القفطى في كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » وابن أبي أصيبعة في كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » حادثة تشبه الحادثة السابقة ، إذ قالا : « في بعض الأيام تمطت حظية للرشيد ، ورفعت يدها ، فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها ، والأطباء يعالجونها بالتمرير والأدهان ، فلا ينفع ذلك شيئاً . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي : « قد بقيت هذه الصبية بعلتها . » فقال له جعفر : « لى طبيب ماهر هو جبرائيل بن بختيشوع ، تدعوه وتخطبه في معنى هذا المرض ، فاعل عنده حيلة في علاجه . » فأمر بإحضاره ، ولما حضر قال له الرشيد : « ما اسمك ؟ » قال : « جبرائيل » . قال : « أى شىء تعرف من الطب ؟ » . قال : « أبرد الحار ، وأسخن البارد ، وأرطب اليابس ، وأجفف الرطب الخارج عن الطبع . » فضحك الرشيد ، وقال : « هذا غاية ما يحتاج إليه في صناعة الطب . » ثم شرح له حالة الصبية فقال له جبرائيل : « إن لم يسخط على أمير المؤمنين فلها عندى حيلة . » قال له الرشيد : « ما هى ؟ » قال : « تخرج الجارية إلى هنا بحضرة الجميع حتى تعمل ما أريده وتمهل على ، ولا تعجل بالسخط . » فأمر الرشيد بإحضار الجارية . وحين رآها جبرائيل أسرع إليها ونكس رأسه ، وأمسك ذيلها ، كأنه يريد أن يكشفها ، فانزعجت الجارية ، ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها ، وبسطت يدها إلى أسفل ، وأمسكت ذيلها . فقال جبرائيل : « قد برئت يا أمير المؤمنين . » فقال

(١) جهار مقاله ص ٧٣ .

الرشيد للجزارية: « ابسطى يدك يمنة ويسرة . » ففعلت . فعجب الرشيد وكل من كان حاضراً . وأمر لجبرائيل في الوقت بخمسمائة درهم ، وأحبه ، وجمله رئيساً على جميع الأطباء<sup>(١)</sup> .

وإليك حادثة من نوع آخر تدل على مهارة محمد بن زكريا الرازي الطبيب (المتوفى حوالي سنة ٣٦٤ هـ)<sup>(٢)</sup> في العلاج النفساني .

ذكر النظامي أيضاً: « أن الأمير منصور بن نوح بن نصر الساماني أصيب بمرض شديد تمسكن من نفسه ، وطال عليه الأمد ، فصار مزمناً ، وعجز الأطباء عن علاجه . فأرسل الأمير في طلب محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور ليعالجه ، فحضر الرازي إلى بخارى ، عاصمة الدولة السامانية ، وقابل الأمير ، وشرع في علاجه . ولكنه لم يفلح بعد أن جرّب معه عدة أدوية مادية . فجاء يوماً إلى الأمير ، وقال: « أيها الأمير سأحاول غداً علاجك بطريقة أخرى ، ولكن هذا يستدعي أن تضحى بالحصان الفلاني من خيلك ، وبالبعغل الفلاني من بغالك ، وكان الحصان والبعغل معروفين بشدة السرعة في العدو . »

« ولما كان الغد أخذ الرازي الأمير ، وذهب معه إلى حمام خارج القصر ، وأعد الحصان والبعغل للركوب إعداداً تاماً ، وتركهما في حراسة خادمه عند باب الحمام ، وأمر ألا يدخل الحمام أحد من خدم الأمير أو حشمه أو غيرهم ، ثم أخذ الأمير وأجلسه في فناء الحمام المتوسط ، وأعطاه جرعة من شراب أعده ، وصب عليه ماء فاتراً ، وتركه حتى تتحرك الأخلاط التي بمفاصله ، ثم خرج ولبس ملابسه كاملة وأتى

(١) إخبار العلماء ص ٩٤ ، وعيون الأنباء ج ١ ص ١٢٧ ، وقد ذكرت هذه الحادثة برواية أخرى في كتاب ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ج ١ ص ١٥٢-١٥٣ على هامش المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيبي .

(٢) أي قبل مولد ابن سينا بتسع سنوات أو عشر .

إلى الأمير وفي يده سكين ، ووقف أمامه ، وأخذ يسبه ويلعنه ، ويكيل له السباب والشتائم كيلاً . ثم قال له : « لقد أرسلت إلى خدمك وحشمك لإرغامى على الحضور لمعالمك ، فشدوا وثاقى ، وهددوني بالقتل إن لم أحضر معهم . لست ابن زكريا إن لم أعقبك على هذه الأعمال . » عند ذلك ثار الأمير ثورة عنيفة ، وبدت آثار الغضب عليه ، ونهض من مكانه ، وجلس على ركبتيه ، فسحب الرجل سكينه ، واقترب من الأمير ، وزاد في تهديده ووعيده . فاشتد غضب الأمير ، وأخذ منه كل مأخذ ، فنهض ووقف على قدميه . وما حرّكه بمدعجزة التمام عن الحركة إلا غضبه من الرازى ، وخوفه على حياته هو . فما كان من الرازى - حين رأى الأمير وقد نهض على قدميه - إلا أن ولّى هارباً ، وانطلق يجرى نحو باب الحمام ، فخرج وركب الحصان ، وأمر خادمه أن يركب البغل ، وانطلقا مسرعين جادّين في السير ، لا يلويان على شيء ، حتى وصلا مرّوا ، ومن هناك أرسل الرازى إلى الأمير خطاباً يقول فيه : « أطال الله بقاء الأمير ، وأدامه معافى البدن ، نافذ الأمر ! إن خادمكم المخلص قد شرع في علاجكم ، وبذل في سبيل ذلك قصارى جهده ، فرأى أن العلاج الطبيعى ( أى بالأدوية والعقاقير ) يطول أمده ؛ لقلة الحرارة الغريزية ، وضعف الجسم ضعفاً تاماً ، فعدلت عن ذلك ولجأت إلى العلاج النفسانى ، فحملتكم إلى الحمام ، وأعطيتكم الجرعة ، وتركتكم حتى تنضج الأخلاط في المفاصل ، ثم أغضبتكم بما فعلت ؛ كي أمدّ الحرارة الغريزية بمدد جديد تقوى معه على تحليل الأخلاط . وليس من الحكمة - بعد أن حصل ما حصل - أن يكون بينى وبين الملك أى صلة . »

« كتب الرازى هذا الخطاب وأرسله مع خادمه ، ولم يدر أن الملك قد برى من مرضه ، وأن شفاؤه كان سبباً في سريان موجة من الغبطة والسرور بين سكان بخارى . وقد سأل الأمير عما حدث من الرازى ، فأخبروه بذلك ، فأمر أن يبحثوا عنه

ففعّلوا ، ولكنهم لم يجدوه ، ولم يشعروا في اليوم السابع من تلك الحادثة إلا وقد حضر خادم الرازي راكبًا البغل ، ساحبًا الحصان . ولما مثل بين يدي الأمير قدم إليه الخطاب فقرأه وفهم الأمر ، فعذر الرازي ، وأمر أن تهدي إليه هدية سنوية<sup>(١)</sup> .

هذه الأمثلة تبين للقارئ الكريم مهارة العرب في العلاج النفساني ، أي العلاج بطرق أو وسائل نفسانية ، دون الالتجاء إلى الأدوية أو العقاقير الطبية ، سواء أكان المرض المعالج نفسيًا ، كما في مرض العشق والمالنخوليا ، أم كان جثانيًا ، كما في وجع المفاصل أو تورمها المعروف ( بالروماتزم ) ، وهو الذي يسميه المرحوم الشيخ حمزة فتح الله بالرثيمة .

ويؤخذ مما هو مدون بكتب الطب التي ألفها ابن سينا وغيره من أطباء العرب والمسلمين ، أن هؤلاء نجحوا في معالجة بعض الأمراض العقلية بأدوية مادية ، وبذلك يكونون قد نبغوا في أنواع العلاج الأربعة ؛ أي علاج الأمراض الجثمانية علاجًا ماديًا جثانيًا أو علاجًا نفسيًا ، وعلاج الأمراض العقلية علاجًا نفسيًا أو علاجًا ماديًا جثانيًا . ويكونون قد تولوا علاج الأمراض العقلية بشتى الطرق والوسائل العلمية ، قبل أن تتولى علاجها أوربة بهذه الطرق بما يزيد على سبعمائة سنة .

ولم يكن العلاج النفساني معروفًا في الشرق لدى العرب وحدهم ؛ فإن التاريخ يقص علينا أن اليابانيين عرفوا في القرن السادس عشر الميلادي كيف يعالجون الأمراض بوسائل نفسية . ومن المرجح أن الهنود كانوا على شيء من العلم بتأثير العوامل النفسية في نشأة الأمراض ومعالجتها . وليس يبعد أن يكون هؤلاء وهؤلاء أخذوا هذه الصناعة عن العرب ؛ فهم أسبق إلى توليها ، إذ كانوا يباشرونها بنجاح في القرون الميلادية العاشر والحادي عشر والثاني عشر . وكان اليابانيون والهنود

(١) جهار مقاله ٧٤ - ٧٦ .



متصليين بالعرب في العصور الإسلامية الزاهرة . وليس هنا موضع تفصيل لهذه الحقيقة التاريخية .

ولم تكن ممارسة الطب النفساني على أيدي أطباء العرب قائمة على أساس من التجربة فحسب ، ولكنها قامت على أساس نظري فلسفي ؛ فقد أدركوا ما بين الجسم والعقل من علاقة وثيقة ، وعلموا أن التأثير في العقل بالوهم أو الإيحاء الذاتي يؤثر في الجسم بالمرض أو الشفاء .

وإليك ما قاله ابن سينا في هذا الصدد (١) :

« تأمل حال المريض الذي توهم أنه قد صح ، والصحيح الذي توهم أنه مرض ، فإن كثيراً ما يعرض من ذلك أن يكون إذا تأكدت الصورة في نفسه وفي وهمه ، انفعل منه عنصره ( = جسمه ) فكان الصحة أو المرض . ويكون ذلك أبلغ مما يفعله الطبيب بآلات ووسائل . ولهذا السبب يمكن الإنسان مثلاً أن يمدو على جذع تبق مطروحة في القارعة من الطريق ، وإن كانت موضوعة كالجسر وتحتها هاوية ، لم يجسر أن يمشي عليها ديباً إلا بالهويين ؛ لأنه يتخيل في نفسه صورة السقوط تخيلاً قوياً ، فيجيب إلى ذلك طبيعته وقوة أعضائه ، ولا يجيب ضده من الثبات والاستقرار ؛ فالصور إذا استحکم وجودها في النفس ، واعتقاد أنها يجب أن توجد فقد يعرض كثيراً أن تنفعل عنها المادة التي من شأنها أن تنفعل عنها . »

هذا نص قليل المبني كثير المعنى ، كلما قرأته استخرجت منه حقائق علمية ، لا تقل كثيراً عما يقوله المحدثون من علماء العلاج النفساني عن تأثير العقل في الجسم ، أو عن تأثير الوهم أو الإيحاء الذاتي في الصحة والمرض .

(١) كتاب الشفاء ج ١ ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

وقد تعجب إذا علمت أن مثال المشى على الجذع الذي ذكره ابن سينا هو المثال نفسه الذي يضربه المسيوكوي Coué الطبيب النفساني المعاصر لبيان تأثير الوهم في قوة الإرادة .  
وهالك نصاً آخر من كلام ابن مسكويه (١) :

« إن حذاق الأطباء لا يقدمون على علاج مرض جسماني إلا بعد أن يعرفوه ، ويعرفوا السبب والعللة فيه ، ثم يرومون مقابلته بأضداده من العلاجات ، ويتدثرون من الحمية والأدوية اللطيفة ، إلى أن ينتهوا في بعضها إلى استعمال الأغذية الكريهة ، والأدوية البشعة ، وفي بعضها إلى القطع بالحديد ، والسكي بالنار . »

« ولما كان النفس قوة إلهية غير جسمانية ، وكانت مع ذلك مستعملة لمزاج خاص ، ومربوطة رباطاً طبيعياً إلهياً ، لا يفارق أحدهما صاحبه إلا بمشيئة الله عز وجل ، وجب أن نعلم أن أحدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره ، فيصح بصحته ، ويمرض بمرضه . »

« وذلك أنا كما نرى المريض من جهة بدنه - لا سيما إن كان سبب مرضه أحد الجزأين الشريفين أعنى الدماغ والقلب - يتغير عقله ويمرض حتى ينكر ذهنه ، وفكره ، وتخيله ، وسائر قوى نفسه الشريفة ، ويحس هو من نفسه بذلك ، كذلك أيضاً نجد المريض من جهة نفسه - إما بالغضب ، وإما بالحزن ، وإما بالمشق ، وإما بالشهوات الهاجمة - تتغير صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ، ويصفر ويحمر ، ويسمن ويلحقه ضروب التغير المشاهدة بالحس . »

وهذا كلام صريح واضح يبين لنا أجلى بيان ما بين الجسم والعقل من علاقة ثابتة ، تظهر في تأثر كل منهما بالآخر في حالتي الصحة والمرض .

وهذا نص ثالث من كلام حجة الإسلام الغزالي :

(١) كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ١٤٥ . راجع أيضاً ما نقلناه عن ابن سينا في ص ٢٧ - ٢٨ من هذا الكتاب .

قال رحمه الله (١):

«الخاصة الأولى (من خواص المعجزات والكرامات) في قوة النفس في جوهرها بحيث يؤثر في هيولى العالم بإزالة صورة وإيجاد صورة، بأن يؤثر في استحالة غيرها (٢) ويؤثر في استحالة الهواء غيماً، ويحدث مطراً كالطوفان... أو ما يجرى مجرى ذلك، وهو ممكن، فقد ثبت في الإلهيات أن الهيولى مطيعة للنفوس، ومتأثرة بها، وأن هذه الصور تتعاقب عليها من آثار النفوس الفلكية، وهذه النفس الإنسانية من جوهر تلك النفوس وشديدة الشبه بها. فكذلك نفس الإنسان تؤثر في هيولى العالم، ولكن الغالب عليها أن يقتصر تأثيرها على عالمها الخاص، وذلك بدنها. وكذلك إذا حصلت في النفس صورة مكروهة استحالة مزاج البدن، وحدثت رطوبة العرق، وإذا حدثت في النفس صورة الغلبة حذى مزاج البدن واحمر الوجه، وهذه الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة التي تحدث في البدن من هذه التصورات ليست عن حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة أخرى، بل عن مجرد التصور.»

## ٢ - علاج الأمراض الخلقية عند العرب

لم يقف الأمر بفلاسفة العرب وعلمائهم عند هذا الحد، بل إنهم كما بحثوا في أسباب أمراض الجسم والعقل، وألوا بوسائل علاجها نظرياً وعملياً، كذلك تراهم قد أفاضوا وأجادوا في دراسة أسباب الأمراض الخلقية، وألوا بوسائل علاجها نظرياً وعملياً، إلاماً لا يكاد يوجد له نظير.

وفي الحق إنهم سباقون في هذا الميدان، فإننا لا نعرف فيما نعرف أن أمة من

(١) مقاصد الفلاسفة ص ٣١٤ .

(٢) هكذا في الأصل، وهل الصواب: في استحالتها إلى غيرها.

الأمم عنيت بالأخلاق والتربية الخلقية عناية الأمة العربية بها ، فقد وضعوا فيها المختصرات والمطولات ، من الرسائل الموجزة ، والكتب الضخمة .

وكان في مقدمة السباقين في هذا الميدان ابن سينا ، وابن مسكويه ، والراغب الأصفهاني ، والإمام الغزالي ، ومحيي الدين بن عربي .

فلا بن سينا رسالة قيمة في علم الأخلاق ، ولا ابن مسكويه كتابه المعروف « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » ، ولا راغب الأصفهاني كتاب « الذريعة إلى مكارم الشريعة » ، وللإمام الغزالي كتابه الجامع « إحياء علوم الدين » ، ولمحيي الدين بن عربي كتاب ينسب إليه يسمى « تهذيب الأخلاق . »

وليس من المعقول أن آتى في هذا المؤلف بمبادئ العرب في الأخلاق ، وآرائهم في التربية الخلقية ، ولا أن أحصى الأمراض الخلقية التي عرضوا لبحثها من جميع نواحيها ، فهذه موضوعات تستوعب مجلداً ضخماً على الأقل . فيكفي أن أقول : إن من الأمراض الخلقية التي أتوا في بحثها بالعجب العجيب : الغضب ، والحقد ، والحسد ، والبخل ، والشهه ، والرياء ، والكبر ، والخوف ، والعجب ، والغرور ، والجبين .

ويكاد يكون كل ما ذكره في علاج أمراض النفس طريفاً ظريفاً ، كافياً شافياً لغلة الباحث ، مشبعاً لرغبة المحقق المدقق .

وإنك لتجد فيما كتب ابن مسكويه ، والغزالي ، وابن عربي في هذا الموضوع مباحث قيمة يُخيل لمن يقرأها أنه يقرأ بحوثاً طريفة ، كتبت بأسلوب عصري علمي دقيق ، وعبارات منقاة مصفاة .

وللاستدلال على ما أقول أضع بين يدي القارئ نماذج مما كتب بعض هؤلاء العلماء الأعلام في مرض الغضب ، الذي أكثر المحدثون فيه المقال ، وبينوا أنه في مقدمة الانفعالات المضرّة بالجسم والعقل ، المبعدة للسلوك عن جادة الصواب :

يقول العلامة ابن مسكويه في بيان تأثير الغضب في الجسم والعقل :  
« الغضب في الحقبقة هو حركة للنفس يحدث لها غليان دم القلب شهوة للانتقام ،  
فإذا كانت هذه الحركة عنيفة أججت نار الغضب وأضرمتها ؛ فاحتدّ غليان دم القلب ،  
وامتلأت الشرايين والدماغ دخاناً مظالمًا مضطرباً يسوء منه حال العقل ، ويضعف فعله ،  
ويصير مثلاً الإنسان عند ذلك - على ما حكته الحكماء - مثلاً كهف مليء حريقاً ،  
وأضرم ناراً ، فاختمق فيه اللهب والدخان ، وعلا التأجج والصوت المسمى وحي النار ،  
فيصعب علاجه ، ويتعذر إطفأؤه ، ويصير كل ما يدينه للإطفاء سبباً لزيادته ، ومادة  
لقوته ؛ فلذلك يعمى الإنسان عن الرشد ، ويصم عن الموعدة ، بل تصير المواعظ في  
تلك الحال سبباً للزيادة في الغضب ، ومادة اللهب والتأجج ، وليس له في تلك الحال  
حيلة ، وإنما يتفاوت الناس في ذلك حسب المزاج (١) . »

ويقول في بيان تأثير الغضب في السلوك :

« فإن صاحب هذا الخلق الذي ذمناه تصدر عنه أفعال رهيئة كثيرة يجور فيها على  
نفسه ، ثم على إخوانه ، ثم على الأقرب فالأقرب من معامليه ، حتى ينتهي إلى عبئده  
وإلى حرمه ، فيكون عليهم سوط عذاب ، ولا يقيلهم عثرة ، ولا يرحم لهم عبرة -  
وإن كانوا برآء من الذنوب ، غير مجترمين ولا مكتمسين سوءاً ، بل يجرم عليهم ، ويهيج  
من أدنى سبب يجد به طريقاً إليهم ، حتى يبسط لسانه ويده ، وهم لا يمتنعون منه ،  
ولا يتجاسرون على رده عن أنفسهم ، بل يدعون له ، ويقرون بذنوب لم يقترفوها ؛  
استكفافاً لشره ، وتسكيناً لغضبه ، وهو مع ذلك مستمر على طريقته ؛ لا يكف يداً  
ولا لساناً . »

« وربما تجاوز في هذه المعاملة الناس إلى البهائم التي لا تعقل ، وإلى الأواني التي

(١) تهذيب الأخلاق ص ١٦١ ، ١٦٢ .

لا تحس، فإن صاحب هذا الخلق الرديء ربما قام إلى الحمار والبرذون، أو إلى الحمار (١) والمصفور، فيتناولها بالضرر والمكروه، وربما عض القفل إذا تعسر عليه، وكسر الآنية التي لا يجد فيها طاعة لأمره، وهذا النوع من رداءة الخلق مشهور في كثير من الجهال، يستعملونه في الثوب، والزجاج، والحديد، وسائر الآلات.

« أما الملوك من هذه الطائفة فيغضبون على الهواء إذا هب مخالفا لهوامهم، وعلى القلم إذا لم يجر على رضاهم؛ فيسبون ذلك، ويكسرون هذا. وكان بعض من تقدم عهده من الملوك يغضب على البحر إذا تأخرت سفينة فيه، لا يضطربه وحركة الأمواج حتى يهدده بطرح الجبال فيه وطمه بها. وكان بعض السفهاء في عصرنا يغضب على القمر، ويسبهه، ويهجوّه بشعر له مشهور، وذلك أنه كان يتأذى به إذا نام فيه. »

« وهذه الأفعال كلها قبيحة، وبعضها مع قبحة مضحك، يهزأ بصاحبه، فكيف يمدح بالرجولية والشدة وشرف النفس وعزتها، وهي بالذمة والفضيحة أولى منها بالمدح؟ وأي حظ لها في العزة والشدة؟ ونحن نجد في النساء أكثر منها في الرجال، وفي المرضى أقوى منها في الأصحاء، ونجد الصبيان أسرع غضبا وضجراً من الرجال، والشيوخ أكثر من الشبان. »

« ونجد رذيلة الغضب مع رذيلة الشره؛ فإن الشره إذا تعذر عليه ما يشتهي غضب، وضجر على من يهين له طعامه وشرابه، من نسائه، وأولاده وخدمه، وسائر من يلبس أمره. والبخيل إذا فقد شيئاً من ماله تسرع بالغضب على أصدقائه ومخالطيه، وتوجهت تهمة إلى أهل الثقة من خدمه ومواليه. »

« وهؤلاء الطبقة لا يحصلون من أخلاقهم إلا على فقد الصديق، وعدم النصيح، وعلى الندم السريع، واللوم الوجيع. وهذه حال لا يتم معها غبطة ولا سرور، وصاحبها

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب « الحمام ».

أبدأ محزون كئيب ، منغص بعيشه ، متبرم بأموره ، وهي حال الشقي المحروم<sup>(١)</sup> . «  
« أما أسبابه المولدة له (أى للغضب) فهي العجب ، والافتخار ، والمرء واللجاج ،  
والمزاج ، والتميه ، والاستهزاء ، والغدر ، والضيم ، وطلب الأمور التي فيها لذة ،  
ويتنافس فيها الناس ، ويتحاسدون عليها ؛ وشهوة الانتقام غاية لجميعها ؛ لأنها بأجمعها  
تنتهى إليه . »

« ومن لواحقه الندامة ، وتوقع المجازاة بالعقاب عاجلا وآجلا ، وتغير المزاج  
(أى أحوال الجسم) وتمجج الألم ؛ وذلك أن الغضب جنون ساعة ، وربما أدى إلى  
التلف باختناق حرارة القلب فيه ، وربما كان سببا لأمراض صعبة ، مؤدية إلى التلف . »  
« ثم من لواحقه مقت الأصدقاء ، وشماتة الأعداء ، واستهزاء الحساد الأرزال من  
الناس . ولكل واحد من هذه الأسباب علاج يبدأ به حتى يقلع من أصله . فإذا  
تقدمنا لحسم هذه الأسباب وإماتها فقد أوهنا قوة الغضب وقطعنا مادتها ، وأمنّا  
غائلتها<sup>(٢)</sup> . »

فهل بعد هذا لقائل مقال ، أو لصائل مجال ؟

وقد أسهب الإمام الغزالي في بيان أسباب الغضب ونتائجه ، وطرائق علاجه ،  
مستدلا على ما يقول بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وأقوال الصحابة والصالحين  
وأعمالهم . أما ما ذكر عن أسباب الغضب ونتائجه فيكاد يتفق مع ما ذكره ابن مسكويه  
فيها ، ولا يمتاز عنه إلا بمزيد التفصيل ، وكثرة الاستشهاد .

(١) تهذيب الأخلاق ص ١٦٨ وما بعدها .

(٢) الكتاب نفسه ص ١٦٢ . وفيما يلي هذه الصفحة من الصفحات بين ابن مسكويه  
علاج كل سبب من أسباب الغضب التي ذكرها ، وقد آثرت تركها اكتفاء بما أنقله عن الغزالي في  
الموضوع نفسه ؛ لأنه أكمل وأوضح ، ومتفق إلى حد كبير مع آراء ابن مسكويه .

ويعجبني قوله في مقدمة البحث :

«أما بمد : فإن الغضب شعلة نار ، اقتبست من نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفتدة . وإنها لمستكنة في طي الفؤاد ، استكنا الحجر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدفين ، في قلب كل جبار عنيد ، كاستخراج النار من الحديد ... ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وربما هلك من هلك ، وفسد من فسد (١) . »

وقوله في أثناء التحدث عن آثار الغضب :

« ومهما اشتدت نار الغضب ، وقوى اضطرابها أعمت صاحبها ، وأصمته عن كل موعظة ، فإذا وعظ لم يسمع ، بل زاده ذلك غضبا . وإذا استضاء بنور عقله ، وراجع نفسه لم يقدر ؛ إذ ينطق نور العقل ، وينمحي في الحال بدخان الغضب ؛ فإن معدن الفكر الدماغ . ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم في الدماغ ، يستولى على معادن الفكر ، وربما يتعدى إلى معادن الحس ، فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه ، وتسود عليه الدنيا بأسرها . ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود جوهه ، وحمى مستقره ، وامتلا بالدخان جوانبه ، وكان فيه سراج ضعيف فانمحي ، أو انطفأ نوره ، فلا تثبت فيه قدم ، ولا يسمع فيه كلام ، ولا ترى فيه صورة ، ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج ، بل ينبغي أن يصير إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق . فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ . وربما تقوى نار الغضب ، فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا ، كما تقوى النار في الكهف فينشق ، وتهدأ أعاليه على أسفله . »

« ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون ، وشدة الرعدة في الأطراف ، وخروج الأفعال عن التريث والنظام ، واضطراب الحركة والكلام ، حتى يظهر الزبد



على الأشدق ، وتحمر الأحداق ، وتقلب المناخر ، وتستحيل الحلقة . ولو رأى  
الغضبان في حالة غضبه قبح صورته، لسكّن غضبه؛ حياء من قبح صورته ، واستحالة  
خلقته . وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره ؛ فإن الظاهر عنوان الباطن ، وإنما قبح  
صورة الباطن أولاً، ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً ؛ فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن،  
فهذا أثره في الجسد<sup>(١)</sup> . »

وبهذا الأسلوب الطلي ، يمضى الإمام ؛ فيبين أثر الغضب في اللسان والأعضاء  
والأطراف والقلب .

وأما ما ذكره في وسائل علاج الغضب ، فليس له فيه نظير ؛ لذا أرى من المفيد  
أن أذكرها هنا موجزة ملخصة :

يرى رحمه الله أن علاج الغضب يكون قبل وقوعه بمعالجة أسبابه ، وبعد وقوعه  
بتهدئة النفس بالفكر والعمل .

أما أسبابه<sup>(٢)</sup> المهيجة له فيرى أنها الزهو، والعجب، والمزاح ، والهزل، والهزء ،  
والتعمير ، والمهارة ، والمضادة ، والغدر ، وشدة الحرص على فضول المال والجاه .

وللتخلص من الغضب يجب إزالة هذه الأسباب بأضدادها : « فينبغي أن تمت الزهو  
بالتواضع ، وتمت العجب بمعرفةتك بنفسك ... وتزيل الفخر بأنك من جنس غيرك؛  
إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ... وإنما الفخر بالفضائل ... وأما المزاح  
فتزيله بالتشاغل بالمهات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه ... وأما الهزل فتزيله  
بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة ، والعلوم الدينية . وأما الهزء فتزيله بالتكرم  
عن إيذاء الناس ، وصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعمير فبالحذر عن القول

(١) الكتاب نفسه ج ٣ ص ١١٦ .

(٢) راجع الإحياء ج ٣ ص ١١٩ وما بعدها .

القبیح ، وصيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال  
بالتقناة بقدر الضرورة طلباً لعز الاستغناء ، وترفعاً عن ذل الحاجة . «

« وكل خلق من هذه الأخلاق ... يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة .  
وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها ، لترغب النفس عنها ، وتنفر عن قبحها ،  
ثم المواظبة على مباشرة أضرارها مدة طويلة ؛ حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على  
النفس ؛ فإذا انحوت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل ، وتخلصت أيضاً  
من الغضب الذي يتولد منها . »

ويقول رحمه الله في معالجة الغضب بعد وقوعه :

« إنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل . » ويريد بالعلم التفكير في  
الغضب وآثاره ، ويذكر له ست صور تتلخص فيما يأتي :

(١) أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ ، والعفو ، والحلم ،  
والاحتمال فيرغب في ثوابه ، وينتظف غيظه .

(٢) أن يخوف نفسه بمقاب الله ، وهو أن يقول : قدرة الله على أعظم من قدرتي  
على هذا الإنسان ؛ فلو أمضيت غضبي عليه ، لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة ،  
حين أصير أحوج ما أكون إلى العفو ؛ فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة :  
« يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أحقك فيمن أحق . »

(٣) أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام ، وتشمر العدو لمقابلته ، والسعي في  
هدم أغراضه ، والشهامة بمصائبه ، وهو لا يخلو من المصائب . فيخوف نفسه بعواقب  
الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة .

(٤) أن يتفكر في قببح صورته عند الغضب ، وفي مشابهة صاحبه للكب  
الضاري ، والسبع العادي ، وم مشابهة الحلیم الهادي للأنبياء والأولياء والعلماء

والحكماء . ويخير نفسه بين أن يتشبهه بالكلاب والسباع وأراذل الناس ، وبين أن يتشبهه بالأنبياء والعلماء في عاداتهم؛ لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان بقي معه مسكة من عقل .

(٥) أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ؛ فيحقر من شأنه ؛ فإذا قال له الشيطان إن سكوتك يحمل منك على العجز ، وصغر النفس ، والذل والمهانة ، فيقول لنفسه : « ما أعجبك ! أتأنفين من الاحتمال الآن ، ولا تأنفين من خزي يوم القيامة ؟ وتحذرين من أن تصغرى في أعين الناس ، ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة والنبين ؟ » فمهما كظم الغيظ فيجب أن يكظمه الله ، وذلك يعظمه عند الله ، فما له وللناس .

(٦) أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده . فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ، ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه ؟ .

هذا هو العامل التفكيرى ( أو الإدراكى كما يقول المحدثون من علماء النفس ) من عاملى تسكين الغضب . أما العامل الثانى فهو العملى ( أو النزوعى كما يقال الآن ) ، وهذا يتضمن القول والفعل .

أما القول فأن تقول بلسانك : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » . أو تقول : « اللهم رب النبي محمد اغفرلى ذنبي ، وأذهب غيظ قلمي ، وأجرنى من مضلات الفتن . » هكذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عائشة أن تقول عند الغضب .

والغرض من هذا وما يشبهه أن تنصرف النفس عند الغضب ، ويتغير مجرى تيار الفكر . « فإن لم يتحقق ذلك فاجلس إن كنت قائماً ، واضطجع إن كنت جالساً ، واقرب من الأرض التى منها خلقت ، لتعرف بذلك ذل نفسك ، واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون ، فإن سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة الحركة ، فقد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الغضب جمره توقد في القلب ، ألم تروا إلى  
انتفاخ أوداجه ، وسمرة عينيه ، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس ،  
وإن كان جالساً فليتم . »

هذا ابن الصحراء وريب السماء يتكلم كأنما يتكلم بلسان العلم الحديث - أستغفر الله  
لقد قلبت الوضع ، فإنما العلم الحديث هو الذي يترجم عن تلك الحكمة المحمدية ،  
المنبعثة عن موهبة ربانية من لدن حكيم عليم .

إن هذا الذي أرشد إليه الرسول منذ نحو أربعة عشر قرناً هو ما يسميه المحدثون (١)  
(تغيير الحالة الجسمية الظاهرية) . وحجتهم في ذلك أن كل انفعال تصحبه حالات  
جسمانية ظاهرية وباطنية تلائم ، وأن تغيير هذه الحالات قد يؤدي إلى ضعف الانفعال  
وإخماد ثورته .

أما تغيير الحالة الظاهرية فيدعو إليه الحديث الشريف دعوة صريحة كما ترى .  
وأما تغيير الحالة الباطنية فالغرض منه « تهدئة أجهزة الجسم الباطنية التي تكون في  
حالة ثورة واضطراب عند الغضب . وفي ذلك يقول الإمام مستدلاً بكلام الرسول : (٢)  
« فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل ، فإن النار لا يطفئها إلا الماء » ، فقد  
قال صلى الله عليه وسلم : « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء ، فإنما الغضب من النار . »  
إن هذا الكلام منطوق جميل ، صادر عن نفس نبوية طاهرة ، أدبها ربها فأحسن  
تأديتها ، وأنطقها بالحق والحقيقة التي لم يتنبه لها العلم الأوربي الحديث إلا منذ نصف  
قرن من الزمان .

(١) راجع موضوع ضبط الانفعالات بقلم المؤلف في كتاب « في علم النفس » ج ٣ ص ٢٠٥  
وما بعدها .

(٢) الإحياء ج ٣ ص ١١٥ .

وقد تنبه هذا المؤلف الملمه إلى أن للغضب كغيره من الانفعالات اتجاهين :  
اتجاه نحو الشر ، وذلك حيث يضر ولا ينفع ، واتجاه نحو الخير حيث يرمى إلى الدفاع  
عن النفس والذود عن العرض ؛ فحقر من شأن الغضب إذا اتجه اتجاهاً مضرأ ،  
وحمل عليه تلك الجملة الشعواء التي قصصنا عليك قصتها ، وحض على تشجيعه وإجابة  
داعيه إذا اتجه نحو الخير .

يقول رحمه الله في هذا الموضوع (١) :

« ثم إن الناس في هذه القوة على ثلاث درجات في أول الفطرة : من التفريط  
والإفراط والاعتدال ؛ فأما التفريط فيفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم ، وهو  
الذي يقال فيه إنه لاجمية له ، ولذلك قال الشافعي رحمه الله : « من استغضب ولم يغضب  
فهو حمار . » فمن فقد قوة الغضب والجمية أصلاً فهو ناقص جداً . وقد وصف الله سبحانه  
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والجمية فقال : « أشداء على الكفار رحماء  
بينهم » . وقال لنبيه الكريم : « جاهد الكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم » . وإنما  
الغلظة والشدة من آثار قوة الجمية وهو الغضب . »

« وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين  
وطاعته ، ولا يبقى المرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار ، بل يصير في صورة  
المضطر . » وهذا هو المرض النفساني الذي يجب أن يقضى عليه . فكلا الطرفين  
مذموم ، والواجب اتباع جانب الاعتدال والتوسط .

ثم إنه يتحدث عن ثمرة الجمية الضعيفة فيقول (٢) :

« وأما ثمرة الجمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه : من التعرض للحرم والزوجة

(١) الإحياء ج ٣ ص ٢١٥ (٢) ص ١١٦ من الكتاب نفسه .

والأمة ، واحتمال النذل من الأخساء ، وصغر النفس ، والقماء ، وهو أيضاً مذموم ؛  
إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم ، وهو خفوة . »

« قال صلى الله عليه وسلم : « إن سعدا لغيور ، وأنا أغير من سعد ، وإن الله أغير  
منى . » وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب . ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت  
الأنساب ؛ ولذلك قيل : « كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها . »  
« ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات . وقد قال  
صلى الله عليه وسلم : « خير أمتي أحداؤها . » وقال تعالى : « ولا تأخذكم بهما رأفة  
في دين الله . » بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه ؛ إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط  
الغضب على الشهوة ؛ حتى يفض على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة . »

أيها القارئ ناشدتك الله والعلم والحق أن تقرأ كل ما كتبه حجة الإسلام  
الغزالي عن الغضب ، وكظم الغيظ ، والحلم - في الجزء الثالث<sup>(١)</sup> من كتابه الجامع « إحياء  
علوم الدين » ؛ فإنك واجد فيه ما يهديك إلى تهديئة غضبك ، ولين قلبك إن لم يكن من جماد .  
وإني لو اتق من أن قراءتك لهذه الفصول ستحملك على قراءة فصول أخرى في  
علاج أمراض النفس ، دمجها يراع ذلك المؤلف البارع الذي بارك الله في عمره ،  
فأخرج للمالم كنوز الإسلام ، وأباح لهم ذخائره ، وأبان لهم عن مآثره ، وكشف  
عن مزايا فضائله ، حتى قال أحد الأوربيين : « لو كان الإسلام كما وصف الغزالي لكنت  
أول المسلمين . »

ونختتم هذا الفصل بإيراد بعض نصوص من رسالة<sup>(٢)</sup> ابن عربي الممتعة عن مرض  
الغضب أيضاً :

(١) ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) طبعت هذه الرسالة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى من ص ١٢٦ إلى ص ١٨٩ .

يقول رحمه الله في بيان آثار الغضب<sup>(١)</sup> :-

« فأما النفس الغضبية فيشترك فيها أيضاً الإنسان وسائر الحيوان ، وهي التي يكون بها الغضب والجراءة ومجبة الغلبة . وهذه النفس أقوى من النفس الشهوانية ، وأضر لصاحبها إذا ملكته وانقاد لها ؛ فإن الإنسان إذا انقاد للنفس الغضبية أكثر غضبه ، وظهر خرقه ، واشتد حقدته ، وعدم حلمه ووقاره ، وقويت جراته ، وأسرع عند الغضب إلى الانتقام والإيقاع بمغضبه ، والوثوب على خصومه ، فأسرف في العقوبة ، وزاد في التشفي ؛ فأكثر السب وأخش فيه . فإذا استمرت هذه العادات بالإنسان ، كان بالسباع أشبه منه بالناس ، وربما حمل قوما على حمل السلاح ، وربما أقدموا على القتل والجراح ، وربما وثبوا بالسلاح على إخوانهم وأوليائهم وعبيدهم وخدمهم عند الغضب من اليسير من الأمور . وربما غضب من هذه حاله ولم يقدر على الانتقام من خصمه فيعود بالضرب والألم على نفسه : فمنهم من يلطم وجهه ، وينتف لحيته ، ويعض يده ويسب نفسه ، ويذكر عرضه . »

« وأيضاً فإن من تملكه النفس الغضبية يكون محبباً للغلبة ، متوثباً على من آذاه ، مقدماً على كل من ناوأه ، طالباً للترؤس من غير وجهه . فإذا لم يتمكن من الرياسة من وجهها توصل إليها بالحيل الخبيثة ، فاستعمل كل ما يمكنه من الشر . وهذه الأفعال تورط صاحبها ، وتوقعه في المهاوى والمهلك ؛ فإن من وثب على الناس وثبوا عليه ، ومن خصمهم خصموه ، ومن أقدم عليهم أقدموا عليه ، ومن تشتر لهم قصدوه بالشر . وربما تسفه الإنسان على خصمه وكان أسفه منه ، فإن ناله بسوء قابله بأكثر منه . وقد يغلب على من هذه حاله الحسد والحقد والقحة واللجاج والجور . »

وقد تحمل هؤلاء محبة الغلبة وطلب الرياسة على اكتساب الأموال من غير

(١) مجموعة الرسائل ص ١٣٥ وما بعدها .

وجها وأخذها بالغضب والغلبة والظلم . وربما قتلوا على محبة الغلبة من يقاومهم ، وربما فعلوا ذلك من غير روية ، فيؤول الأمر بهم إلى البوار والاستئصال .  
ويعضى فى بيان مراتب النفس الغضبية فيقول (١) :-

« فأما من ساس نفسه الغضبية وأدبها وقمعها كان (٢) رجلاً حليماً وقوراً عادلاً محمود الطريقة ؛ فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس فى غيظهم وسفاهة بعض هو اختلاف أحوال النفس الغضبية ؛ إذا كانت مذلة مقهورة كان صاحبها حليماً وقوراً ، وإذا كانت مهملّة مستولية على صاحبها كان صاحبها غضوباً سفياً ، ظلوماً غشوماً . وإذا كانت متوسطة كان صاحبها متوسط الحال ، رتبته فى الحلم كرتبة النفس الغضبية ، حتى تنقاده ، فيملكها ويستعملها فى المواضع التى يجب استعمالها فيها . »

« فإن لهذه النفس فضائل محمودة ؛ وذلك لأن الأنفة من الأمور الدنية ، ومحبة الرياسة الحقيقية ، وطلب المراتب العالية - من الأخلاق المحمودة ، وهى من أفعال النفس الغضبية . فإذا ملك هذه النفس بالتهذيب والتأديب ، واستعملها فى الأمور الجميلة ، وكفها عن الأفعال المكروهة كان حسن الحال محمود الطريقة . »  
ويقول رحمه الله فى علاج النفس الغضبية (٣) :-

« فأما النفس الغضبية فإن الطريق فى قمعها وتذليلها هو أن يصرف الإنسان همه إلى أن يتفقد السفهاء الذين يسرع إليهم الغضب فى أوقات طيشهم وحدثهم وتسفههم على خصومهم ، وعقوبتهم بخدمهم وعبيدهم ، فإنه يشاهد منهم منظرًا شنيعاً ، يأنف منه الخاص والعام . فإن تذكر مشاهد فى أوقات غضبه ، وعند جنائبات خدمه

(١) المجموعة ص ١٣٦ - ١٣٧

(٢) هكذا فى الأصل ولعل الصواب (فيكون) .

(٣) المجموعة ص ١٦٥



وعبيده، وعند ذنوب إخوانه وأودائه، وفي جميع محاوراته ومعاملاته<sup>(١)</sup>— ما كان استتبعه من السفهاء انكسرت بذلك سورة غضبه، وأحجم عما يهم بالإقدام<sup>(٢)</sup> عليه من السب والوثوب، فإن لم يكف بالسكينة أقصر، ولم ينته<sup>(٣)</sup> إلى غاية الفحش . «  
ويقول في موضع آخر<sup>(٤)</sup> : —

« وينبغي لمح الكمال أن يشعر نفسه أن الغضبان بمنزلة البهائم؛ يفعل ما يفعله من غير علم ولا روية؛ فإذا جرى بينه وبين غيره محاوراة أدت إلى أن يغضب خصمه ويسفه عليه، اعتقد فيه أنه في تلك الحالة بمنزلة البهائم والسباع، فيمسك عن مقابلته، ويحجم عن الاقتصاص منه . ألا يعلم أن الكلب لو نبج عليه لم يكن يستحسن مقاتلته<sup>(٥)</sup> على نبجه؟ وكذلك البهيمة لو رحمته لم يستحسن عقوبتها؛ لأنها غير عالة بما تصنعه؟ إلا أن يكون جاهلاً سفيهاً؛ فإن من السفهاء من يغضب على البهيمة إذا رحمته، ويوجعها ضرباً إذا آذته . وربما عثر السفيه فشم موضع عثرته، ورفضه برجله . فأما الحكيم الوقور فلا يستحسن شيئاً من ذلك . وإذا استشعر من خصمه أنه بمنزلة البهائم صار هذا الاستشعار منه طريقاً إلى ضبط النفس الغضبية وذمها . وإن آذاه مؤذٍ بغير سفه فيؤدي ذلك الأذى إلى حال تغضبه أنف أيضاً من الغضب، مع استشهاده أن الغضبان والبهيمة سواء، فيعدل حينئذ إلى مقابلة مؤذيه بما يقتضيه الرأي من حيث لا يظهر فيه غضب ولا سفه . »

(١) هنا في الأصل زيادة « فإنه إذا تذكر ما كان استتبعه من السفهاء » وهي زيادة لا داعي لها كما هو ظاهر . (٢) في الأصل (من الإقدام) .  
(٣) في الأصل « ولو تنبه » ولا معنى له .  
(٤) المجموعة ص ١٨٠ . (٥) في الأصل مقابلته .

وبهذا الأسلوب الطريف الممتع يذكر ابن عربي في عدة مواضع من رسالته وسائل أخرى لمعالجة الغضب وحده ، ولعلاجه مع غيره من الرذائل ضمناً .

فمن أراد لذلك مزيد بيان فعليه أن يقرأ هذه الرسالة القيمة من أولها إلى آخرها؛ فهي - وإن كانت صغيرة الحجم - كبيرة القيمة عظيمة النفع .

ومن هذا البيان يظهر لك أن الطريقة التي يتبعها ابن عربي في علاج الأمراض الخلقية هي الطريقة المسماة : « تجديد التربية Re Education » التي سنتحدث عنها فيما يأتي .

# الفصل الخامس

## العلاج النفساني

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

(١) في أوربّة

لم تنشط حركة العلاج النفساني بطرق علمية في أوربا إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، حيث ظهر في فيينا شخصية كبيرة كان لظهورها أثر بارز في عالم الطب النفساني، ذلك هو الدكتور فرانز أنطون مِسْمَر<sup>(١)</sup>، الذي سميت باسمه «النظرية المسمرية Mesmerism» وتسمى أحياناً نظرية «المغناطيسية الحيوانية Animal Mgnatism». ولا يتسع المقام لشرح هذه النظرية بالتفصيل . فيكفي أن أقول إن هذا الرجل كان يعتقد - كما اعتقد البابليون من قبل - أن الأجرام العلوية والكواكب تؤثر في الإنسان وغيره من الكائنات السفلية، بقوة مغناطيسية تنبعث منها موجات متلاحقة ، ماتزال سائرة في طريقها حتى تصل إلى الأجسام الأرضية ، ومنها الإنسان ، فتحتل جسمه ، وتؤثر في حياته الجسمية والعقلية .

ثم إن مِسْمَر يقرر أنه إذا كان من الممكن حبس هذه القوة المغناطيسية في المريض، ومنعها من التشمع ، أو إذا أمكن توجيه موجات مغناطيسية قوية مصطنعة إلى جسمه - فإنه قد يبرأ مما عسى أن يصيبه من مرض.

(١) Franz Anton Mesmer

وبهذه الطريقة عالج مسمر بعض المرضى ، وكان منهم فروالين أوسترلاين Osterline ، التي شفاها من مرض عصبي حاد كان يصحبه قيء ، وإغماء ، وخبل ، وضيق في التنفس ، وألم في الأذن ، وشلل .

وكان مسمر يستخدم في علاجه قضباناً من الحديد المغطس يلمس بها جوانب المريض ، ثم استخدم بعد ذلك أنامله للغرض نفسه .

وقد وصلت أخبار مسمر إلى لويس الخامس عشر ، فاستدعاه إلى باريس حيث حظى بشهرة عظيمة ، وتعلقت به الجماهير ، وفتنوا به ، وآمنوا بطريقته . ولم يفكر عليه أمره إلا العلماء الذين تشبعوا بروح المادية ، ولم يقيموا النظرية مسمر وزناً . وقد ظهر أمر مسمر رغم معارضة العلماء والفلاسفة .

وفي سنة ١٨١٤ م قدم من الهند إلى باريس راهب برتغالي يسمى أبي فاريا Abbé Faria ، وتولى بهامهنة المعالجة بالتنويم الصناعي ، وأخذ يهر الناس بصناعته ، وينوم من يتقدم منهم إليه بكلمة واحدة يكرر النطق بها هي : دورمي Dormez ؛ يعني « نَمْ » . ومع ذلك لم يُعْن الناس بأبي فاريا عنايتهم بأمر مسمر .

وفي سنة ١٨٤١ م أتجه البحث اتجاهاً جديداً على يد الدكتور بريد Braid الإنجليزي ، أحد أطباء منسشتر ، الذي وصل - بعد مباحث متعددة ، ودراسة عميقة دقيقة لطريقتي مسمر وفاريا - إلى أنه ليس من الضروري أن يستعمل الطبيب المغناطيس ، بل يكفي أن ينوم المريض بأى وسيلة من الوسائل . وقد وجد أن حصر انتباه المريض بالنظر إلى جسم مضيئ مثلاً مدة طويلة يوصل إلى هذه النتيجة . وقد سمى بريد هذه العملية Hypnosis أى التنويم . وهي مشتقة من كلمة يونانية هي Hypnos أى النوم . وقد عالج بريد بهذه الطريقة كثيراً من الأمراض الجثمانية وغيرها كالرثيمة ، والشلل ، والصرع ، والتهاب العمود الفقري ، والصمم ، وقصر النظر ، وبعض أمراض القلب .

وقد قرر بعد طول تجارب أن التنويم ليس إلا نوعاً من أنواع الإيحاء ، وبذلك يكون قد أثبت تأثير الإيحاء بعد التنويم في معالجة الأمراض العقلية والجثمانية .

وقد بلغت صناعة التنويم المغناطيسى أوج عظمتها على يد الدكتور شاركوت Charcot ، الطبيب الفرنسى ، الذى عارض بريد ، وقرر أن التنويم فى الواقع تأثير مباشر فى الأعصاب ، وأن النوم حينئذ حالة من حالات الصرع ، فهو حالة مادية ليس للناحية العقلية فيها شأن يذكر .

وظهرت بعد ذلك مدرسة نانسى بفرنسا ، وعلى رأسها ليوبولت وبيرنهائم Liébeault and Bernhiem فأقرت بعد البحث رأى بريد . ومن ذلك الحين كانت طريقة العلاج بالتنويم بطريقة علمية مبنية على أساس نفسى هو : التأثير بالإيحاء أو الاستهواء . ويعزى إلى بيرنهائم أنه أول من لفت الأنظار إلى قوة الإيحاء الذاتى قياساً على قوة الإيحاء الخارجى ، وأنه صرح بأن من الممكن علاج جميع أمراض الإنسان بالإيحاء الذاتى أو الخارجى .

جاء بعد ذلك دى بوا DeBios السويسرى ، فجعل العلاج النفسانى بالإيحاء والتضريب أو التحريض صناعة يعتمد بها ، ونصح للأطباء أن يدرسوا علم النفس ، وأن يطبقوا ما يمكن تطبيقه من مبادئه فى أثناء علاج المرضى .

وظهر فى فرنسا فى عصرنا الحالى مسيو إميل كوى Emile Coué ، الذى بذل جهوداً جبارة فى إذاعة مذهبه ، ويتلخص فى قوة تأثير الإيحاء الذاتى أو الخارجى فى السلوك . وقد عالج بنفسه كثيراً من المرضى بالشلل ، والرثية ، وضيق التنفس . وستتاح لى فرصة أخرى للكلام على هذه الطريقة .

## (ب) في أمريكا

### علاج العلماء المسيحيين

ترك أوربة مؤقتاً ونذهب إلى أمريكا، فنجد حركة علاجية نشيطة هي حركة: «العلم المسيحي Christian Science» التي يسمي زعمائها «العلماء المسيحيين Christian Scientists» ويرجع الفضل في نشأة هذه الحركة ونموها إلى السيدة إدي Eddy ، التي عمدنا تاريخ حياتها بمادة قيمة تفيد المعنيين بعلم النفس والعلاج النفساني. وقد كانت إصابتها بمرض عصبي مبدأ لتدوين تلك الصفحات المجيدة التي سطرته في تاريخ الديانة المسيحية ، وتاريخ العلاج النفساني معاً .

كان مولد هذه الشخصية البارزة، التي قدر لها أن تكون زعيمة فرقة دينية مسيحية ذات شأن ، في سنة ١٨٢١ - أي منذ قرن وربع قرن - في مزرعة وضيعة من مزارع (نيوهامبشير<sup>(١)</sup>) بأمريكا ، بلد العجائب والمفاجآت . وكانت منذ فجر حياتها فريسة لمرض عصبي وبيل ، فكثيراً ما كان يعتريها صرع عنيف ، يعقبه ارتخاء في الأعصاب ، أو حالة غيبوبة تشبه حالة النوم . ولما ناهزت الخامسة والثلاثين من عمرها زلقت رجلها على الجليد في فصل الشتاء ، فسقطت على الأرض مغشياً عليها ، فأصبحت برضوض في ساقها ، وانتهت إصابتها إلى مرض يسمى: «بارابليجيا Paraplegia» وهو شلل موضعي في العمود الفقري . وقد حاول الأطباء أن يعالجوها فلم يفلحوا ، وبقيت طريحة فراشها عدة سنوات في حالة مرض ويأس .

ولما بلغت الأربعين حدث حادث غير مجرى حياتها ، وفي الوقت نفسه غير كياناتها

(١) New Hampshire

العقلي تغييراً تاماً ؛ ذلك هو: أن الطبيب كويمبي Quimby أفلح في علاجها علاجاً نفسياً سريعاً هيناً ذهب بمرضها ، وكان هذا العلاج مبدأ تلك الحركة العلاجية الدينية التي حمل لواءها رجال العلم المسيحي .

ومن غريب ما يروى عن ( كويمبي ) أنه كان في أول أمره صانع ساعات، عُرف بمحذّة الذكاء ، وقوة الملاحظة ، واشترك في جلسات تنويم مغناطيسى كان يتزعمها منوّم فرنسى في مدينة ( پورت لاند )<sup>(١)</sup> . ثم أخذ ( كويمبي ) نفسه يمارس التنويم المغناطيسى ، غير أنه لاحظ في أثناء تلك الجلسات ، وعند ممارسته التنويم ، أن النصائح التي كان يلقبها المنوّم على النائم المريض كانت مقصورة على غرس فكرة الشفاء في نفس المريض ، وأن هذه الفكرة وحدها كفيلة بسير المريض نحو الشفاء . أما ما كان يتناول من أدوية فعديم القيمة .

كانت هذه الملاحظة سبباً في أن يغيّر ( كويمبي ) طريقته في المعالجة ، وأن يعنى أولاً وقبل كل شيء بأن يبث في روح المريض الثقة بالنفس ، كي يقتلع من ذهنه آثار الخوف من المرض ، وعند ذلك نبتت فكرة «العلاج النفساني» أى العلاج بالإيحاء المجرد بدون أدوية .

وقد أحدثت هذه الفكرة في نفس السيدة ( إيدى ) أعمق الآثار ، فتحمست لها ، وقررت أن تعمل مع الدكتور كويمبي ، وتظل أمينة سر له . ثم عكفت على دراسة بعض مسودات مشوّهة ، كان كويمبي قد دوّنّها في موضوعى الدين والعلاج النفساني . وبعد موت ذلك الزعيم فجأة ، استولت على مذكراته ، وشرعت في تبليغها ، والتعليق عليها ، وأذاعت في الناس في كل مكان أنها تحمل رسالة عظيمة ترمع أن تؤديها للعالم .

ولما لم تصادف نجاحاً في ممارسة العلاج النفساني الذي رفعت من شأنه رأت أن  
تكتفي بشرح نظريات كويمبي ، وتترك تطبيقها عملياً لغيرها . وبعد تحمل كثير من  
ألوان الشقاء والمحنة نجحت في تأسيس مدرسة طبية في بلدتي لين Lyn وماس Mass ،  
ثم في بوسطن Boston . وكانت تتقاضى أجوراً باهظة على مهنتها التي قصدت منها إلى  
جعل تلاميذها ذوي قدرات ممتازة على العلاج ، وادعت لنفسها الحق في السيطرة على  
أرباحهم مدى الحياة . وقد جنت أموالاً كثيرة من مدرسة بوسطن ، ومن علاج  
المرضى ، ومن ربيع الكتب والمجلات التي كان تلاميذها يشرفون على إصدارها .  
وكان من أمرها أنها كانت «تعالج الغائبين» بطريقة ساذجة هي : التفكير في شفائهم من  
أمراضهم .

وقد تمكنت مؤسّسة مذهب « العلم المسيحي » من التغلب على ما قام في  
طريقها من صعاب جمّة ، بفضل ما أوتيت من نشاط ، وثقة بالنفس ، وإيمان ثابت  
لا يتزعزع . وانتهى بها الأمر إلى أن قامت بحركة جديدة هي المسماة « بحركة الفكر الحديث  
The new thought movement » . وشرحت السيدة (إيدي) مذهبها - الذي نال ذلك  
الخط الوافر من الانتشار - في كتابها المسمى : « العلم والصحة Science and Health »  
الذي طبع سنة ١٨٧٥ ، ثم أعيد طبعه أكثر من مائتي مرة . وتقول السيدة إيدي إن  
كتابها هذا الذي ألّفته في العلم الحديث هو الحق المطلق ، وإنه هو روح الفلسفة  
الربانية التي لافلسفة غيرها ، وزعمت أنه « حينما يتكلم الرب فإنها تستمع لقوله » ؛ تريد  
بذلك أنها ملهمة فيما تقول .

ويقول جانيه في نقد هذا الكتاب : إنه كتاب يصعب على الإنسان أن يقرأه  
 ويفهمه ؛ لأن أسلوبه غريب غامض ، لا يتضمن إلا بعض مبادئ فلسفية عادية  
ساذجة ، شرحت مراراً وتكراراً ، بعبارات مليئة بالاستعارات والمجازات .



وقد خصص الجزء الأكبر من الكتاب لشرح فلسفة جريئة من النوع الروحاني،

تتلخص في ثلاث مبادئ هي :

(١) الله هو الكل في الكل ، وهو خير بطبيعته .

(٢) الخير الأسمى في هذا العالم هو العقل .

(٣) متى ثبت أن الله والروح هما الكل في الكل ثبت أن المادة هي لا شيء ،

أي هي العدم .

هذا وإن الناحية السلبية من فلسفة «إيدي» أهم وأبعد مدى من الناحية الإيجابية؛

يظهر ذلك من مقمها الشديد لفكرة المادة، التي لا تنفك تقرر أنها عدم محض فلا وجود

لها؛ ولذا لا تحاول أن تشرحها ، بل تعمل على طمس معالمها ، وإخراجها من دائرة

الفكر .

وهناك أشياء كثيرة أخرى مثلها مثل المادة في العدمية ؛ فالإثم والفقر والمرض

تثير كلها ضجر هذه المصلحة الدينية ؛ ولذا لا تحاول التعرض لها بشرح أو تعليل ،

بل تعمل على إبعادها من دائرة الشعور . ولا تكتفي هذه السيدة بإنكار وجود

هذه الأشياء ، بل تحاول أن تبين السر في اعتقاد الناس بوجودها ، فتعزو ذلك إلى

الخطأ في الإدراك ، أو إلى سلوك العقل الإنساني مسلكاً معوجاً شاذاً .

يقول بعض الناس إن الورم مثلاً مؤلم ، ولكن هذا خطأ سخيف لا مسوغ

له ، لأن المادة بدون العقل ليست مؤلمة ، فالواقع أن التورم بما يصحبه من التهاب

وتضخم في الجسم ينشأ عنه اعتقاد بوجود الألم ؛ فلو ذهب هذا الاعتقاد من النفس

لذهب معه الألم ، وبرئ منه الإنسان ؛ فليست المادة هي التي تصاب بالألم ، وإنما

الذي يصاب بالألم هو العقل المريض .

ولا يدل الاعتقاد العالمي العام في الموت على شيء حقيقي ، فسنعلم في نهاية الأمر أن الموت ليس إلا حلمًا خالداً يأتي في عالم الظلمات ، ويختفي في عالم النور .

والنتيجة الحتمية لهذا المذهب أن علاج المرض سهل هيّن ، فليس هناك داع إلى تشخيص المرض ؛ لأن طريقة العلاج واحدة - مهما يكن نوع المرض أو سببه . وليست هناك حاجة إلى تشريح الجسم ، أو تناول أدوية مادية ، فهذه عديمة القيمة ، ولا يستطيع العقل السليم إدراك فائدتها . وليس هناك داع إلى اتخاذ الاحتياطات الصحية ، وللمريض أن يأكل ما يشاء ، ويشرب ما يريد - ولو كان مصاباً بسوء الهضم ؛ فإن الله لم يجعل للإنسان سلطاناً على لحم البحر فقط ، بل جعل له سلطاناً على لحم معدته أيضاً .

ولكى نبث في روح المريض والطبيب معاً الثقة بالنفس ، يجب أن نعمل على أن نجتث من أعماق نفسيهما جذور الاعتقاد بوجود المرض . إن الأطباء ينكرون على الناس الانغماس في خيالاتهم وأوهامهم ، ونحن نربي الأطفال على عدم الاعتقاد بالمفاريت والجان ، فلماذا نقول بوجود الأمراض التي وجودها أدخل في باب الوهم والخيال ؟

لذلك كله يجب أن نقضى على هذه العلاجات الطبية المادية العديمة الفائدة ، التي لا تستند إلى تفكير سليم ، وأن نقضى على تلك الخرافات والمخاوف والأوهام ، وأن نفرس في نفوس الناس بدلاً منها عقائد صحيحة إيجابية ، أساسها أن العقل هو المسيطر على الجسم ، وأن له عليه السلطان المطلق التام ، وأن نعلم حق العلم أن هذه العقيدة هي الأداة الفعالة التي لها أعظم الآثار في العلاج .

هذه هي المبادئ التي أذاعها هؤلاء العلماء ، وأقاموا على أساسها مذهباً دينياً ، رفيع البناء ، ثابت الأركان ، وأدخلوا بها السرور على ملايين من الناس .

وعلى الرغم من هذا كله لم يسلم هذا المذهب من النقد المر، والتجريح الصريح. يقول الدكتور جانيه: «مما لا شك فيه أن «الأطباء العلماء» لم يكونوا يفهمون حق الفهم معنى كلمة من الكلام الذي كانوا يتشددون به؛ مثلهم في ذلك مثل هؤلاء المرضى المساكين الذين تولوا علاجهم.»

وخلاصة القول:

(١) أن مذهب العلم المسيحي ليس مذهباً فلسفياً بمعنى الكلمة، ولكنه طريقة علاجية.

(٢) أن التفكير في علاج المرضى وشفائهم كان أهم ما عُنيت به السيدة «إيدى» صاحبة هذا المذهب.

(٣) أنها قد اهتدت آخر الأمر إلى اليقين بأن عقيدة المريض تؤثر في سير مرضه.

(٤) أنها حاولت فيما بعد أن تقيم عقيدتها هذه على الدليل المنطقي الفلسفي لتثبت دعائمها، وتقوى روحها، وتقوى في غيرها من أتباعها روح الثقة بالنفس، وعدم الاعتداء بالشر. ولكنها سلكت مسلكاً وعرأ مليئاً بالأخطار، لم تنج منه إلا بعد أن تعثرت عدة مرات، وبذلت جهوداً جبارة في مقاومة مصادفها من صعوبات متنوعة.

(٥) أن مردّ هذه الفكرة إلى تجارب كويمبي الذي عالج السيدة «إيدى»، وشرح لها مذهبه، وترك لها مذكراته التي ورد فيها «إني أتمسك بإنكار المرض وإخراجه من عالم الحقيقة، وأقرر أن القول بوجوده خطأ محض، مثله في ذلك مثل الأساطير الخرافية التي يتناقها الناس من جيل إلى جيل، حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ من عقائدهم الحيوية.

(٦) أن كويمبي يبني إنكاره لوجود المرض على أن للعقل السلطان المطلق على كل صورة من صور المادة، التي ليس لها في نظره إلا وجود وهمي وضيع المنزلة.

(٧) أن كويمبي أنشأ مذهباً فلسفياً روحانياً Idealistic مهتماً هو أشبه ما يكون بالنظام الفلسفي الذي وضعته تلميذته .

ونضيف إلى ذلك كله أن كويمبي أخذ بعض مبادئه ومعارفه عن المنوم الفرنسي بوين Poyen الذي نقل مذهب دلور إلى أمريكا .

وأن مذهب العلم المسيحي قد تأثر إلى حد ما بمذهب المغناطيسية الحيوانية فيما ذكر «العلماء» عن العقل الباطن ، وعن علاقة الطبيب بالمريض ، وعن أثر قوة الإرادة في العلاج ، وعن نقل الأفكار من الطبيب إلى المريض ، وفيما انطوى عليه هذا المذهب من آراء خاصة بتشخيص المرض « من بُعد » وعلاج الغائب .

أما ما يلاحظ من حملة هؤلاء العلماء على المغناطيسيين فلا قيمة له ، ولا يقدر في وجود علاقة وثيقة بين المذهبيين ؛ فضلاً عن أنه نزاع عائلي داخلي ؛ فمن المحقق - كما يقول جانيه - أن مذهب العلم المسيحي في أمريكا وليد مذهب المغناطيسية والتنويم المغناطيسي ؛ يدلنا على ذلك تاريخ حياة كويمبي العلاجية التي ذكرناها فيما مضى .

### ( ح ) العلاج الجثمانى أو الطبيعى

في الوقت الذي ينادى فيه العلماء المسيحيون بتجنب تناول الأدوية المادية ، وبالعلاج المرضى بوسائل نفسية أو روحانية بجملة ، نجد فريقاً من الأطباء يذهبون إلى الطرف الآخر ، فيعالجون الأمراض العقلية والشذوذ الخلقى بمواد كيميائية أو عقاقير طبية يصفونها للمريض ؛ معترفين أنها تؤثر في الجسم أولاً ، وتشفيه من علله وأمراضه ، ثم يتعمد تأثيرها إلى العقل فيزول ما به من أمراض . وإنهم ليستندون في عقيدتهم هذه إلى أدلة منطقية لها ما يبررها . يقول هؤلاء إن الاضطرابات العقلية على اختلاف أنواعها ، ما هي إلا اضطرابات في سلوك الإنسان ، وما سلوك الإنسان إلا مجموعة

العمليات التي تصدر منه أو فيه ، وبعض هذه العمليات تقوم بها الأطراف أو الفم أو اللسان ، وبعضها تقوم به الأجهزة الباطنية ، فكيف يمكن أن نعرف بأن العمليات الخارجية، التي تصدر عن المصاب بمرض عقلي نتيجة لحركة أطرافه أو لسانه أو شفثيه - مستقلة استقلالاً تاماً عن العمليات الباطنية التي تحدث في الجسم نفسه - ذلك الجسم الذي يبحث في وظائفه علم وظائف الأعضاء ؟

ثم أليس النجاح في ملاءمة العمليات الخارجية للبيئة الخارجية ، ضرورياً للحصول على السعادة في الحياة ؟ وأليس هذا النجاح متوقفاً على وجود تلاؤم وانسجام بين العمليات الخارجية أو السلوك الخارجي ، وبين العمليات الباطنية التي تقوم بها الأجهزة الداخلية ؟ وأليست الصحة العقلية متوقفة على هذين الأمرين ؛ أي على ملاءمة العمليات الخارجية للبيئة الخارجية ، وعلى انسجام الأعمال الخارجية مع الأعمال الباطنية ؟

فالخلل في السلوك الخارجي معناه في النهاية خلل في الأجهزة الباطنية ، فإذا رأينا شذوذاً في السلوك علمنا أن ذلك يرجع إلى نقص أو خطأ في الحياة الجسمية . ولا بد من أن نعد المجنون مثلاً مصاباً بمرض جنائى مهما يكن مظهره ، ومنظره الصحى . وإذا رأينا من يصاب بمرض عقلي منذ عهد البلوغ أو المراهقة ، ويحتفظ بمظهره الصحى إلى عهد الشيخوخة ، فلا بد أن نجزم بأن هذه مشكلة غامضة يعجزنا عن حلها جهلنا بمدى حياة الإنسان العادية ، وبالأَسباب التي تقصر العمر العادى ، وتقلل من النشاط الحيوى . فمن يدري أن هذا الذى تظهر عليه علامة الصحة الجسمية - مع مرضه العقلي - غير مصاب بمرض جسمى مجهول ، بحيث لو برى منه لكان منظره الخارجى أبهى وأجمل ، ولعاش مدة أطول ، ولاستمتع بنشاط حيوى أعظم وأغزر؟ ومن يدري؟ فلعلنا نخدع أنفسنا حينما ننظر إلى ما يستمتع به المجانين أو مرضى العقول من صحة جيدة نظرة إعجاب !

هذه خلاصة مذهب السلوكيين في علاج الأمراض العقلية . ومن الحق أن نقول إنهم منطقيون، حين يبنون رأيهم في هذا العلاج على مذهبهم السلوكي ؛ فهم لا يعترفون بوجود أمراض عقلية بالمعنى الذي نفهمه ، وإنما يعترفون بوجود خلل أو شذوذ في السلوك الذي يهتمون بدراسته ، ولا يأبهون بدراسة عقل أو شعور .

فما نسميه نحن مرضاً عقلياً يسمونه شذوذاً في السلوك ، ويقولون إنه راجع إلى خلل أو اضطراب في الحالة الجسمية الباطنية ، فإذا عولجت هذه الحالة الجثمانية الباطنية علاجاً ناجحاً صح الجسم ، وذهب الشذوذ .

على أننا يمكن أن نبرر هذا المذهب المادي من جهة أخرى فنقول :

من الثابت الذي لا جدال فيه أن الجسم والعقل متصلان تمام الاتصال ، يؤثر كل منهما في الآخر بالصحة أو المرض . ومن الثابت أيضاً أن العلماء المسيحيين ومن إليهم قد نجحوا إلى حد ما في علاج أمراض الجسم بوساطة العقل ؛ أي أن وسيلتهم في العلاج هي التأثير في الجسم بوساطة العقل . وإذا ثبت هذا وذاك فلم لا يمكن العكس وهو أن نعالج الأمراض العقلية بوساطة الجسم ؟

الحق أن هذا دليل مقبول تؤيده التجارب الحديثة ، وتؤيده تجربة ابن سينا في شفاء المصاب بالملانخوليا التي سبق شرحها ، بل يؤيده ما قيل منذ القدم من أن العقل السليم في الجسم السليم .

فن المرجح (على الأقل) أن جميع الأمراض الجثمانية - مهما يكن نوعها - لا بد أن يكون لها أثر في الحياة العقلية التي لا تكون كاملة إلا حين يؤدي الجسم وظائفه الحيوية على الوجه الأكمل .

وكثيراً ما يطبق الأطباء هذا المبدأ ، فيبحثون في جسم المصاب بمرض عقلي ، لعلمهم يجدون فيه خللاً أو عطباً أدى إلى ما يظهر من شذوذ في السلوك أو التفكير .

وقد وجدوا بالبحث أن كثيراً من مرضى العقول يشكون من اضطراب الهضم وسوء عملية التغذية ، وأن فريقاً آخر لا يتناولون طعاماً كافياً ، وأن فريقاً ثالثاً يميلون إلى البطنة ؛ فمن الضروري في معالجة هؤلاء أن يوضع لهم نظام خاص للطعام والشراب .

وقد اختبرت حال الدورة الدموية فوجد أن الإصابة بمرض عقلي يصحبها ازدياد في النبض ، وتغير في ضغط الدم ، وارتفاع أو انخفاض في درجة الحرارة في بعض أجزاء الجسم ؛ يدل عليه احمرار بعض الأجزاء أو اصفرارها . فإذا نظمت الدورة الدموية ، ونظم توزيع الدم على جميع أجزاء الجسم ، ساعد ذلك على التخفيف من حدة المرض العقلي .

ومما لا يكاد يشك فيه الآن تأثير إفرازات الغدد الصماء في الحالات النفسية ، فقد وجد أن تغير هذه الإفرازات أو إحداث اضطراب فيها بالزيادة أو النقص يصحبه تغير ظاهر في الحياة العقلية ، وبالعكس ؛ فقد وجد أن الإصابات العقلية يصحبها تغيرات في هذه الإفرازات تشبه ما يحدث لها حينما تكون هذه الغدد في حالة عطب أو اضطراب . والنتيجة الحتمية لذلك أنه من الممكن أن يساعد تعديل الإفرازات الغدية على شفاء مرضى العقول .

ويكاد يكون من المجمع عليه بين الأطباء أن تحذير الأعضاء الخارجية أو الباطنية أو تسممها يؤدي إلى اضطراب الحياة العقلية . ويميل فريق منهم إلى القول بأن كثيراً من الأمراض العصبية يرجع إلى تسمم باطني ذاتي ينشأ عن اضطرابات في المعدة أو الأمعاء ، وأن من وسائل علاج المريض القضاء على هذا التسمم بأى وسيلة طبيعية . كل هذه الأبحاث الفسيولوجية تؤيد ما ذكرناه آنفاً ، وسندكره فيما يأتي من توثيق الصلة بين الجسم والعقل .

## الفصل السادس

### العلاج النفساني في القرن العشرين

( ١ ) تمهيد

لقد نهض العلاج النفساني في هذا القرن نهضة مباركة على أيدي طائفة من مهرة الأطباء ، وفي مقدمتهم (مورتن برنس) و (جانيه) ثم فرويد وآدلر ، ويونج .

لقد أدرك فرويد ومن نحا نحوه أن هناك ناحية من نواحي العقل لا يشعر بها الإنسان يسمونها بالعقل الباطن ، الذي جعلوه مأوى الرغبات والنزعات والأفكار التي لم تسمح لها الظروف الاجتماعية وغيرها بالتحقق . وقد دلّتهم التجارب أن كبت هذه الرغبات وانحدارها إلى أعماق العقل الباطن هو السبب في معظم الأمراض العقلية ، وكثير من الأمراض الجثمانية أو العصبية . وقد قرروا بعد البحث الدقيق أن سبب شفاء المريض من هذه الأمراض بالتنويم المغناطيسي أو الصناعي يرجع في الواقع إلى إخراج تلك الذكريات أو الرغبات أو الانفعالات القديمة المكبوتة في غياهب العقل الباطن إلى دائرة الشعور ، أو ما يسمى العقل الظاهر . وقد وجدوا أن كثيراً من هذه المخاوف والنزعات المكبوتة يرجع منشؤها إلى عهد الطفولة ، وأنه من الممكن العلم بها وإخراجها من العقل الباطن إلى حيز العقل الظاهر بطريق التحليل النفساني .

وأن هناك ثلاث وسائل أساسية لذلك هي : (١) تداعي المعاني المطلق (٢) تداعي المعاني المقيد (٣) تأويل أحلام المريض أحلام نوم كانت أم أحلام يقظة ، يضاف إلى ذلك دراسة أمور ثانوية ؛ كهفوات اللسان والقلم أو شذوذ السلوك .



ولما للتحليل النفساني من الأهمية البالغة في العلاج النفساني أرى لزماً على أن أبين فيما يلي نشأة هذه الطريقة وتطورها مع شيء من التفصيل فأقول :

لقد خطا علم التحليل النفساني منذ مستهل القرن العشرين خطوات فسيحة تحت لواء ( فرويد ، وأدلر ، ويونج ) ، وقد كان لهؤلاء وأتباعهم الفضل في مقاومة الاتجاه الجثماني في المباحث النفسية ، وفي العلاج النفساني ، ذلك الاتجاه الذي قوى وشاع أمره في القرن التاسع عشر ، والذي تحدثنا عنه في الفصل السابق .

وكان لحركة هؤلاء غرضان هامان مترابطان هما :

(١) البحث في الحياة العقلية على أساس نفسي لا على أساس جثماني .

(٢) العلاج النفساني بوساطة العقل والعمليات العقلية ذاتها ، لا بوسائل مادية

خارجة عن كيان النفس .

رأى زعماء هذه الحركة من الأطباء أن بعض اضطرابات عقلية ، وأنواعاً من الشذوذ العقلي أو الخلق لا يمكن رجعها إلى خلل في المخ أو الجهاز العصبي بوجه عام ، فقررُوا أن الاضطراب أو الشذوذ في الحياة العقلية يرجع إلى العقل نفسه ، أي إلى العادات التفكيرية والسلوكية المعيّمة ، أي إلى ضعف الإرادة ، أو إلى السرعة في تقبل الإيحاء ، أو عدم التوازن الانفعالي الوجداني . وعلى هذا الأساس قامت هذه الحركة ونهضت ، وظهر أثرها في عالم العلاج النفساني .

ويتصل تاريخ هذه الحركة بتاريخ العلاج بالتنويم المغناطيسي الذي أذاع أمره مسمر سنة ١٧٨٠ م ، وسار في طريقه إلى أن ظهرت مدرسة باريس بزعامة شاركوت ، ومدرسة نانسي بشمالى فرنسا ، فنشبت بين المدرستين خلاف في مدى الاعتماد على التنويم المغناطيسي في العلاج النفساني .

وقد ظل الخلاف بين المدرستين ، واشتد الصراع بينهما رديحاً من الزمن ، وفي

أثناء ذلك ظهر أمر (مورتن برنس) Morton Prince (١٨٥٤-١٩٢٩) في بوسطن بأمریکا، الذى اتبع طريقة التنويم المغناطيسى فى علاج انقسام الشخصية، وقام بتجارب خاصة بانقسام الشعور أو تصدعه .

وظهر فى باريس پيمير چانيه<sup>(١)</sup> P.Janet ( ولد سنة ١٨٥٩ م ) فعنى بدراسة ما يسمى باللاشعور أو العقل الباطن ، وعملياته المختلفة، التى سماها ( الأعمال العقلية الآلية ) وقد تفرغ فى أواخر القرن الماضى لمعالجة الأمراض العصبية ، واتبع طريقة شاركوت فى معالجة الهستيريا بالتنويم المغناطيسى ، وقد وجد أن المريض يستطيع أن يتذكر فى أثناء النوم بعض حوادث ماضية ، لا يستطيع تذكرها فى حالة اليقظة ، ومن هذه الصدمات الانفعالية الحادة التى قاساها المريض فيما مضى . ووجد أيضا أنه إذا أمكن أن يوحى إلى المريض وهو نائم أن هذه الصدمات قد انتهى أمرها، ولم يبق لها أثر الآن فإن الأعراض الهستيرية المتصلة بتلك الصدمات تذهب .

وقد سار چانيه فى طريقه يدرس أنواعا أخرى من الأمراض العصبية ؛ كأنواع المخاوف والقلق النفسى، وقد سمي هذا أمراض الضعف العقلى . Psychoasthenia ، وعالجها بطريق تجديد التربية Ré Education. وكان يرى أن جميع الأمراض العصبية ترجع إلى انحطاط عام فى النشاط العقلى ، يعجز معه المريض عن بذل نشاط إرادى عملى فى سبيل التغلب على مشكلات الحياة .

وقد كان لظهور جانيه آثار بارزة فى تقدم علم النفس والعلاج النفسانى. ولكن نجم فرويد لم يلبث أن تألق، فأفل بتألقه نجم جانيه ، واحتل الميدان مدرسة التحليل النفسانى التى تزعمها فرويد .

( ب ) فرويد

ولد هذا الزعيم سنة ١٨٥٦ في تشكوسلوفاكيا ، ولكنه قضى السنوات الأولى من حياته في فيينا . وبجامعتها بدأ دراسة وظائف الأعضاء ، ثم عنى بدراسة الطب ، واهتم بالجهاز العصبي وأمراضه . وبلغته شهرة شاركوت ، فذهب إلى باريس سنة ١٨٨٢ م . ودرس مع شاركوت سنة كاملة ، وأعجب بطريقته في معالجة المستريا بالتنويم الصناعي ، وتأثر بإشارة عابرة صدرت عن شاركوت ، مؤداها أن « لجميع الاضطرابات العصبية علاقة بحياة المريض الجنسية » ، فعلمت هذه الإشارة بذهنه ، وكان لها أبلغ الآثار في نظرياته التي استحدثها فيما بعد .

عاد فرويد إلى فيينا ، وبدأ يمارس معالجة الحالات العصبية بالتنويم الصناعي ، ولكنه لم يلبث أن أدرك في هذه الطريقة بعض صعوبات . أهمها : أن كثيراً من المرضى لم يمكن تنويمهم ، وأن النجاح في هذه الطريقة لم يكن مطرداً . فدعا ذلك إلى الرجوع إلى فرنسا مرة ثانية والاتصال بزعماء مدرسة نانسي ، الذين ادعوا أن طريقة التنويم نجحت في جميع الحالات . ولشد ما دهش حينما سمع من بعض أعضاء هذه المدرسة أن نجاح الطريقة كان مقصوراً على زائري المصححات العقلية العامة ، دون المرضى الذين كانوا يترددون على العيادات الخاصة .

عاد فرويد إلى فيينا فحاول تطبيق الطريقة عينها على خواص المرضى فكان نجاحه محدوداً ؛ ولذا تطلع إلى ابتكار طريقة أفضل منها .

وهنا يحتل الميدان شخصية معروفة ذلكم هو بروير الثيني Breuer الذي أخذ عنه فرويد أكثر مما أخذ عن شاركوت ومدرسة نانسي .

كان هذا الطبيب يفكر مثل فرويد في ابتكار طريقة أخرى غير التنويم الصناعي

لعلاج الأمراض العصبية ، وقد تحقق أمله حين طالبتة مريضة كان يعالجها بالتنويم أن يسمح لها أن تسترسل في حديثها أثناء نومها، حتى تقص قصص حياتها ، وتحدث عن مشكلاتها الانفعالية ، وقد قررت أن ذلك يريحها فيما بعد . وكان هذا مفتاح الطريقة المرجوة ؛ فقد وجد بروير بعد اتباع هذه الطريقة عدة جلسات أن حالة المريضة قد تحسنت ، وأن حياتها العقلية صارت عادية .

وقد وجد هو وفرويد أن هذه الطريقة التي هي مزيج من التنويم المغناطيسي والسماح للمريض بالتحدث عن نفسه ومتاعبه الوجدانية - قد نجحت في معالجة أشخاص آخرين ، فنشرا نتائج بحثهما سنتي ١٨٩٣-١٨٩٥ م ، وفي الوقت نفسه تقريباً نشر جانبيه نتيجة أبحاثه الخاصة بعلاج المستريا ، وذكر أن التنويم يمكن أن يتخذ وسيلة لإيقاظ ذكريات المريض الماضية ، ومعرفة السبب في مرضه ؛ وبذلك كانت طريقة جانبيه ماثلة لطريقة فرويد وروير ، غير أن الأخيرين امتازا بإدراك ما لمجرد استمرار المريض في سرد حوادث ماضية من تأثير في شفائه ، وقد سميا الطريقة الجديدة طريقة التنظيم العقلي<sup>(١)</sup> ، أو طريقة التنفيس<sup>(٢)</sup> .

ولسبب ما ترك بروير الميدان ، وبقي فيه فرويد يتغلب على صعوبات الموقف. وقد هداه تفكيره إلى ترك التنويم الصناعي ، والاكتفاء بالسماح للمريض أن يقص قصص حياته بملء حريره، بطريقة تداعي المعاني المطلق . ورأى أن هذه الطريقة بطيئة ، فاستعان على معرفة اتجاه المريض النفسي بوسائل أخرى ، فعمد إلى تحليل أحلامه وتأويلها، ووضع نظريته المشهورة الخاصة بوظيفة الأحلام، وهي أنها تحقق في عالم النوم الرغبات المكبوتة التي أخفق الإنسان في تحقيقها في عالم اليقظة . ثم ابتكر طريقة أخرى وهي دراسة هفوات لسان المريض ، وأخطاء قلمه ، وشذوذ سلوكه ، وما

يصدر عنه من ضروب المزاج والتنسكيت . وقد اتخذ من هذه جميعها وسائل لدراسة عقل المريض الباطن ، واستخراج ما فيه من الرغبات الدفينة والميول المكبوتة التي سماها العقيد النفسية . وقد قرر في نفسه بعد هذه المباحث نفسها أن مرد جميع الأمراض العقلية والعصبية إلى انحراف الغريزة الجنسية عن الطريق السوى ، وقد بهر العالم بهذه النظرية . ولما كانت طريقة فرويد في العلاج النفساني تستند إلى رأيه في تكوين العقل كان لزاماً علينا أن نذكر رأيه هذا على سبيل الإيجاز فتقول :

يرى فرويد أن للعقل ثلاث مناطق يسميها : (١) النفس السفلى أو هو ، (٢) النفس أو الذات أو أنا (٣) النفس العليا أو الضمير . وأن للذات ثلاث مناطق وهي : (١) الشعور (٢) شبه الشعور (٣) اللاشعور .

فالنفس السفلى أو البدائية تتضمن الغرائز والنزعات البدائية الفطرية في حالاتها الساذجة ، وهي المؤثر الأول في سلوك الإنسان الممجى أو الطائش الذي لا يخضع لقانون ولا لتقاليد . والمسيطر على هذه النفس هو مبدأ اللذة والألم ؛ أي أنها تحمل الإنسان على العمل لإرضاء النزعات الفردية ، والحصول على اللذة ، وتجنب الألم .

أما الذات أو النفس الاجتماعية فتنشأ باتصال النفس السفلى بالعالم الخارجي أو البيئة وامتزاجهما وتوافقهما وانسجامهما . وهذه النفس هي التي يريد الإنسان حينما يقول (أنا) وهي تتأثر بالواقع والحقيقة ، أي أن المسيطر عليها هو القانون والتقاليد والنظم الاجتماعية .

ولهذه الذات ثلاث مناطق هي : (١) الشعور ويتضمن الأفكار والرغبات التي يعلم بها الإنسان ، وتشغل نفسه في وقت ما (٢) شبه الشعور ويتضمن الأفكار والرغبات التي لا تشغل النفس ولكنها صالحة لدخول حظيرة الشعور لأسباب عادية بحكم تداعي المعاني ؛ أي تواردها على الذهن تبعاً لتغير الظروف ، وتقلب الأحوال .

أما المنطقة الثالثة فهي منطقة اللاشعور أو العقل الباطن ، وتتضمن الرغبات الدفينة في أعماق النفس ، والعقد النفسية المكبوتة ، والذكريات الماضية التي أرغمت على الانحدار من الشعور إلى اللاشعور ، والإيواء إلى حظيرة العقل الباطن ؛ لأنها لا تلائم الحياة الاجتماعية ، ولا توافق آداب المجتمع ، ولا تقاليد البيئة .

ويتكون العقل الباطن نتيجة للصراع بين النفس السفلى وبين عالم الحقيقة والواقع . ومعنى ذلك أن الإنسان يولد مزوداً برغبات شخصية تتجمع في رأى فرويد حول اللبيدو<sup>(١)</sup> أو النزوع الجنسي بوجه خاص ، ولكن هذه الرغبات لا يمكن تحقيقها بحكم نظم البيئة والتقاليد الاجتماعية ، فتبقى مغلوطة على أمرها ، محجوبة عن الظهور . وعلى مر الزمن تنضم إليها رغبات أخرى لا تتحقق ، فتكون في العقل الباطن عقداً أو مجموعات من الرغبات المكبوتة ، يتكون كل منها من رغبات أو انفعالات متشابهة متصلة بشيء أو شخص معين . وتظل هذه كامنة في غياهب هذا السجن «اللاشعور» ، ولكنها تنهز أية فرصة لمحاولة تحطيم أبواب السجن ، والخروج من عالم الخفاء إلى عالم الظهور ، فلا تتمكن من ذلك ؛ لأن هناك رقيباً يمنعها من الخروج ، وهذا الرقيب هو القانون الاجتماعي ، أو رغبة الإنسان في العيش في بيئته عيشة ملاينة وسلام .

فإذا قويت هذه الرغبات ولم تجد لها منفذاً تغلبت على الرقيب وخرجت قهراً عنه ، وتخلصت من القيود والأغلال ، وحطمت كل ما يقوم في وجهها . وفي هذه الحال تظهر على المرء أعراض الجنون أو المرض العصبي ، أو يقوم بأعمال شاذة غريبة . ولكنها إذا وجدت لها منفذاً - ولو بالاحتيال على الرقيب - سعت في الخروج بالتحايل ، رأفة بكيان السجن (العقل الباطن) ، ورغبة في الاتصال بالعقل الظاهر والعيش معه عيشة وئام وانسجام .

• Libido (١)

واحتيالها على الرقيب يشتد وينجح في أوقات ضعفه أو غفلته عن الرقابة وقتياً ؛  
أى حين يخف ضغط العقل اليقظ ، كما في حالة النوم والتنويم والمرض ، فحينئذ تلبس  
هذه الرغبات غير ملابسها ، وتنسك أمام الرقيب ، وتنتحل شخصيات غير شخصياتها ،  
وتخرج إلى العقل اليقظ بأزياء أخرى ؛ كما هي الحال في الأحلام الرمزية ، والخيل ،  
والوهم ، وانقسام الشخصية . وقد تظهر كما هي غير مشوهة في أثناء التنويم المغناطيسي ،  
وتظهر آثار اللاشعور في الشعور أيضاً بالنسيان ، وهفوات اللسان ، وغلطات القلم ،  
والأعمال الشاذة ، والهفوات الاجتماعية ، والخوف من الظلمة أو صغار الحيوان (١) .

أما الضمير أو النفس العليا فيمتص من المبادئ والمثل العليا الخلقية والدينية ، وله  
السيطرة على الذات ، والرقابة على علاقتها بالنفس السفلى ، وكثيراً ما يكون الحكم  
المتغلب في حسم النزاع بينهما .

وينشأ الضمير من الذات ، أى أن ناحية منها تتطور ، وتتصل بالمثل العليا ،  
ويكون لها السلطان على النواحي الأخرى .

ويبدأ تكون النفس العليا باتصال الطفل بأبويه اللذين يقدسهما ويمدهما مثلاً  
أعلى له ، ثم تتطور هذه النفس ، وتسمو بالتعلم والتهديب الروحاني الخلق .

ويرى فرويد أن الغريزة الجنسية هي الغريزة الرئيسية المؤثرة في حياة الإنسان ،  
وسلوكة منذ ولادته ، وأن كبتها هو السبب فيما يعترى الإنسان من أمراض جنسية ،  
وعلل نفسية ، وشدوذ اجتماعي .

ولها مظاهر تختلف باختلاف مراحل نمو الإنسان ، ففي السنة الأولى من الحياة  
تتجه نحو مصّ الأشياء . وفي الثانية تتجه نحو أعضاء الجسم واللعب بها . وفي الثالثة

(١) راجع الفصل الثالث عشر بقلم المؤلف في الجزء الأول من كتاب « في علم النفس »

ففيه مزيد بيان لهذا الموضوع .

تتجه إلى الفضلات التي تخرج من الجسم . وفي الرابعة والخامسة تتجه إلى الأبوين فيولع الابن بأمه ، والبنت بأبيها، وقد تتكون عقدة أوديب في نفس الابن ، وعقدة الكترا في نفس البنت . وتتضمن عقد أوديب رغبات وميولا جنسية مكبوتة في نفس الابن متصلة بأمه . وتتضمن عقدة الكترا وجدانات وشعورا جنسيا تكتب في نفس البنت متصلة بأبيها .

### ( ح ) بين فرويد وآدلر

حوالى سنة ١٩١٢م حدث انقسام في مدرسة فرويد؛ فانشق عليه بعض أعضائها لخلاف بينهم في الرأي . وكان من أشهر الخارجين على الزعيم آدلر ويونج . أما الفرد آدلر الفييني ( ولد سنة ١٨٧٠م ) فكان من أتباع فرويد المعجبين به ، ولكنه خرج عليه سنة ١٩١٢ ، وخالفه مخالفة صريحة في رأيه في الغريزة الجنسية، والرغبة المنبعثة عنها التي سماها فرويد اللبيدو Libido ، ثم أسس مدرسة جديدة سماها: « مدرسة علم النفس الفردي Individual Psychology . »

ويقوم مذهب آدلر على أن الشعور بالضعمة أو النقص هو سبب جميع العلل العصبية والعقلية ؛ فإن وجود هذا الشعور لدى أى شخص من الأشخاص غير مرغوب فيه ولا يمكن احتمالها ؛ لأن كل فرد مطبوع على حب السيطرة والرغبة في الظهور ، ولذا كان من الضروري التخلص من هذا؛ إما بالانتحار ، وإما بادعاء الرفعة والعظمة ، وإما يعمل ما يرفع الشخص في أعين غيره من الناس ؛ تعويضا عما يشعر به في قرارة نفسه من نقص . وقد ينتهى به الأمر إلى النجاح في الحياة ، والنبوغ في أى ناحية من نواحيها ، أو إلى الفشل وخيبة الأمل ؛ تبعاً لظروفه وحياته الخاصة ، ومنهج تربيته . وعلى هذا فغريزة إعلاء النفس أو حب الظهور هي الغريزة الفعالة التي لها الشأن الأول في حياة الفرد . أما الغريزة الجنسية فلها أثر لا ينكر في توجيه سلوك الإنسان ،



ولكن منزلتها ثانوية إذا قيست بمنزلة غريزة حب الظهور ، التي تعد مصدر النجاح والنبوغ - إذا سارت سيرها الطبيعي ، ونالت مأربها ، أو سبباً في الخيبة والفشل والشذوذ في السلوك - إذا انحرفت عن جادتها الطبيعية ، ولم تنل مأربها .

ويعزو أدلر خيالات الفرد وأوهامه إلى رغبة النفس في التخلص من ألم الشعور بالنقص ؛ فهذه الأوهام يبني قصوراً في الهواء ، ويجعل نفسه بطلاً من الأبطال ، وينفّس عن نفسه كربة الشعور بالمعجز .

وإلى هذا الشعور نفسه ترجع محاولة الفرد التغلب على صعوبات الحياة ، والحصول على الجاه والاستمتاع بالمناصب الاجتماعية الراقية .

ولكن أسلوب الحياة الذي ألفه منذ الطفولة قد يحول بينه وبين ما يشتهي ، ويقعد به عن الوصول إلى ما يريد ، وهنا تقع الكارثة ، فينشأ الاضطراب العصبي ، والأمراض العقلية ، أو يسلك المرء في الحياة مسلكاً شاذاً .

ويقرر أدلر أن كل فرد ينشأ على اتباع نمط أو أسلوب معين في السلوك والتفكير منذ طفولته الأولى . ويقول إن العوامل التي تعمل على تكوّن هذا الأسلوب تشمل :  
(١) طريقة معاملة الأسرة للطفل . (٢) منزلة الطفل في الأسرة ؛ كأن يكون وحيداً أو أصغر الأولاد أو أكبرهم . (٣) منزلة الأسرة الاجتماعية والاقتصادية . (٤) نوع الطفل إن ذكراً أو أنثى .

وأسلوب الحياة الذي يألفه الفرد منذ حداثته يكاد يبقى كما هو ملازماً له طول حياته ، ويتمثل في مزاج الفرد ووجهة نظره نحو نفسه ، ونحو العالم الذي يعيش فيه ، بل نحو الحياة نفسها ، وهو الذي يحدد آماله ومطامعه في الحياة ، ويجعله يسلك مسلكاً خاصاً في مقاومته المشكلات ، وبخاصة مشكلات الحياة الاجتماعية ، ومشكلات الوظيفة أو المهنة التي يتولاها ، ومشكلات الحياة الزوجية .

ولهذا كله يرى أدلر أن الغرض الأساسي الذي يجب أن يرمى إليه الطبيب من دراسة المصاب بمرض عقلي ، وتحليل نفسه هو : أن يكشف عن أسلوبه في الحياة ، وعن الهدف الخالص الذي كان يهدف إليه وهو طفل - ولا يزال يرمى إليه الآن - لتحقيق شخصيته ، والتخلص من شعوره بالنقص .

ومن الممكن معرفة هذين الأمرين بالإلمام بمنزلته من الأسرة ، وبمعرفة ما يجب أو يكرهه من الأشياء والأشخاص ، وأبطال التاريخ أو الروايات الذين يقدهم ، ونوع المهنة الذي مال إليها وهو طفل ، ولا يزال يميل إليه حتى الآن ، وكذلك هيئته عند الوقوف والمشى والجلوس والتسليم على الناس بيديه ، والهيئة التي يستقر عليها عند النوم . وقد قرر أدلر أن النوم مع مد الرجلين دليل على الرغبة في العظمة ، وأن النوم مع ثنيهما ، وإصاق الفخذين بالبطن ، وتغطية الرأس - دليل على الخمول وعدم الرغبة في العظمة ، وأن النوم على البطن دليل على الميل إلى العناد والسلوك السلبي . ويتخذ أدلر تأويل الأحلام وسيلة لمعرفة نمط المريض في الحياة ، ولا يرى أنها وسائل لتحقيق الرغبات المكبوتة كما يقول فرويد ، فهي في نظره متصلة بالمستقبل أكثر من اتصالها بالماضي ؛ إذ أنها في الغالب تمثيل لعمل هام سيقوم به الشخص في المستقبل ؛ فالرجل المتردد مثلا الذي يفكر في الزواج يرى في النوم أنه يحاول أن يعبر الحدود الفاصلة بين مملكتين ، وأنه يؤمر بالوقوف ، وإلا عرض نفسه لعقوبة السجن ، فهذه الرؤيا تتصل بمشكلة لم يبت فيها من مشكلات المستقبل ، وهي مشكلة الزواج ، وتمثل مسلك صاحبها في حل مثل تلك المشكلة وغيرها ، وهو مسلك عادي بالنسبة له ، درج عليه منذ صغره ، ولازمه حتى كبر ، فكان نمطه أو أسلوبه في الحياة ، وهو مسلك التردد .

والغرض الأساسي الذي يجب أن يرمى إليه الطبيب في معالجة معوج السلوك

الذى انقطع حبل الصلة والانسجام بينه وبين بيئته هو أن يبصره بنفسه ، ويحمّله بأناة ورفق على أن يتأكّد من وجود عقدة الضمّة كامنة في نفسه ، ويبين له المسلك الذى يسلكه في الحياة، لستر هذه العقدة، والوصول إلى الرفعة ، والحصول على المكانة السامية التى تتوق إليها نفسه .

ومع أنه ليس من الممكن تغيير أسلوب الفرد ومسلكه في الحياة بعد مضي عهد الطفولة ، فمن الممكن توجيهه توجيهاً حسناً، بحيث يصبح أكثر اتصالاً بالواقع، وأشدّ ملاءمة للحياة الاجتماعية ، وأكثر انسجاماً مع البيئة .

وليس للعقل الباطن في رأى آدلر تلك المنزلة الرفيعة التى له في رأى فرويد ، وليس بينه وبين العقل الظاهر تلك الحواجز التى يتصورها فرويد . وإن نمط الحياة الذى يدرج عليه الفرد منذ طفولته الأولى يصير محتملاً من نفسه ما وراء الستار - مادام غير مفهوم أو غير معلل . فإذا فهم وعرف سببه أو منشؤه أصبح شعورياً . ووظيفة المحلل النفساني تكاد تنحصر في نقل هذا المسلك من اللاشعور إلى الشعور ؛ بجعله مفهوماً أى معروف السبب والمنشأ لدى المريض .

يقول ودويرث؛ ماخصاً رأيه في مبادئ آدلر النفسانية، وطريقته في العلاج النفساني: « للمرء أن يقول إن آراءه أسهل من آراء فرويد؛ أسهل من حيث إنها تُفهم وتُدرك بسهولة ويسر ، ومن حيث إن من الهين تطبيقها . ولقد برهنت طريقة آدلر على عظم قيمتها ، وسمو منزلتها ، وبخاصة في معاونة الأطفال على التغلب على ما يعرض لهم من المشكلات، وبذلك حظى مذهب آدلر بمنزلة رفيعة وسلطان نافذ في ميدان التربية» (١)

(٥) بين فرويد ويونج

ولد يونج بزوريخ بسويسرا سنة ١٨٧٥م ، وبعد أن درس علم النفس التحليلي ، ومارس التحليل النفساني عدة سنوات اتصل اتصالاً شخصياً بفرويد، وقويت الرابطة

بين الرجلين بتبادل الرسائل ، والاشتراك في بعض المؤتمرات العلمية . وقد أعجب فرويد بتلميذه الناشئ؛ حتى جعله رئيساً لجامعة التحليل النفساني الدولية . وكان فرويد يعتقد أن تنحيه عن رئاسة هذه الجامعة الحديثة العهد ربما يكون سبباً في إقبال الجمهور والعلماء عليها .

ولم يمنع تقدير فرويد لتلميذه من أن ينشق على أستاذه ، وأن يقرر أن مذهبه لم يزل فحماً لم ينضج بعد ، على الرغم من أنه فتح جديد ، بل ثورة عنيفة في عالم المباحث النفسية . وقد أخذ يونج بعد خروجه على أستاذه يكون له مذهباً خاصاً في علم النفس ، يخالف مذهب أستاذه في مواضع كثيرة ، وقد بلغ الخلاف بين الرجلين أشده في أمرين هما :  
(١) أسباب الأمراض العصبية العقلية .

(٢) أثر اللبيدو في الحياة . واللبيدو كما تعرف هو الانفعال الخاص المتصل بالغزيرة الجنسية .

أما سبب الأمراض العصبية فهو - في رأى فرويد - عقدة أوديب التي تتكوّن في دور الطفولة ، ويؤدي انفجارها في دور الشباب أو الرجولة إلى ظهور أعراض الأمراض العصبية . ولا يوافق يونج على هذا ، بل يرى أن عقدة أوديب قد تكون من الأسباب المعرضة للإصابة بالأمراض العصبية ، أما السبب المثير أو المباشر فقد أمهله فرويد بعض الإهمال ؛ ومعنى ذلك أن مجرد تكوّن أى عقدة من العقد النفسية في عهد الطفولة لا يكفي لأن يكون سبباً مثيراً للإصابة بمرض عصبي أو أكثر فيما بعد ، بل لابد من إضافة سبب أو أسباب أخرى مباشرة ؛ أى أن الفرد قد يحمل في أعماق نفسه في عهد الطفولة عقدة نفسية ، نتيجة لفشله في تهيئة نفسه لأن يمدش في بيئته الخاصة عيشة انسجام وتوافق ، ومع ذلك لا يقع فريسة لمرض عصبي ، إلا إذا اعترضته مشكلة جديدة من مشكلات الحياة ، يعجز عن حلها ؛ لأن هذه المشكلة تتطلب من الفرد

بذل جهود جديدة لمقاومتها ، ولكنه لا يجد في نفسه مقدرة كافية على مقاومتها ؛ لأنه قد تعود وهو صغير أن يقف مكتوف اليدين أمام مشكلات الأسرة ، فهو في حياته الحاضرة يرجع إلى ما تعود في حياته الماضية من ضعف العزيمة والاكتفاء بحل مشكلاته في عالم الخيالات والأوهام ، فهذا الرجوع إلى الماضي أو التأثر به يبعده عن إدراك مشكلات الحاضر ، ويحول بينه وبين حلها ، فلا يكون هناك انسجام بين سلوكه وبين مقتضيات الحياة ، وحينئذ يقع فريسة للمرض العصبي . وإذا فرضنا أن المشكلة الحالية تنحل من تلقاء نفسها كان ذلك داعياً إلى أن يسلك الفرد في حياته مسلكاً عادياً طبيعياً دون الرجوع إلى عاداته التي ألفها في عهد الطفولة فلا يلجأ إلى الأوهام والخيالات ، ولا يكون هناك داع للإصابة بمرض عصبي .

لهذا كله يقرر يونج أن صعوبة التوافق والانسجام بين الفرد وبين بيئته الراهنة هي السبب الحقيقي أو المباشر المثير للإصابة بالأمراض العصبية ، وفي ذلك يقول : « نَحَّ العقبات من طريق الحياة ينقطع دابر أشباح الطفولة في الحال ، وتعود آثار الماضي كما كانت من قبل خامدة هامة عديمة التأثير . ولكن لتتذكر أنها وإن خمدت فإنها لا تزال نشيطة إلى حد ما تؤثر في الحياة في كل زمان وفي كل مكان ؛ لذا تراني لا أبحث عن سبب المرض العصبي في الماضي ، ولكن في حوادث الحاضر ، وإني أسأل : ما هو الواجب الضروري الذي لا يقدم المريض على القيام به ؟ والغرض من هذا السؤال وما يشبهه أن يعرف الطبيب ما عسى أن يكون في سلوك المريض من ضعف يقعد به عن مقاومة بيئته والعيش فيها معيشة توافق وانسجام . »

هذا وإن يونج يسلك مسلك فرويد في علاج الأمراض العقلية ، فيحلل نفسية المريض بتحليل أحلامه ، ويتركه يقص قصص حياته بطريقة تداعي المعاني المطلق ، غير أنه يبدأ بدراسة مشكلات المريض في حياته الحاضرة ، ويبدل جهده في تعرف

عناصر الضعف في نفسه، التي حالت بينه وبين التغلب على هذه المشكلات . ولا يفسر أحلام المريض على أساس أنها تحقق رغباته الجنسية الماضية المكبوتة - كما يقول فرويد - ولكن على أساس أنها تدل على ما يمكنه عقله الباطن من موقفه أمام مشكلات الحاضر، أو وجهة نظره نحو الحياة الحاضرة .

والغرض من التحليل النفساني في رأى يونج أن يُعلم المريض بأسلوبه البدائي الذي ألفه في مقاومة مشكلات الطفولة ، ويجعله قادراً على إدراك ما بين عقله الباطن وعقله الظاهر من صلة وارتباط ، وبذلك يدرك حاضره ، ويفهم ماضيه ، وتتكوّن لديه شخصية متكاملة العناصر، ليس بين ماضيها وحاضرها تنافر أو تخالف .

أما فكرة يونج الخاصة بالليبدو فتقوم على إنكار قصوره على الرغبات الجنسية، وعلى اتساع معناه بحيث يشمل المعنى الذي يراه فرويد والمعنى الذي يقصده آدلر من الرغبة في الحصول على العظمة أو القوة . وبذلك يجمع بين رأبي زميليه ، ويؤلف بينهما ، ويفهم من الليبدو معنى عاماً يساوى ما يقصده شوبنهاوير « بالرغبة في الحياة Will to Live » ، أو ما يقصده بيرجسون بالدافع الحيوى Elan Vital .

والذي يعنيننا من هذا كله أن يونج يرى أن أساس النشاط الإنساني هو الرغبة في الحياة بوجه عام ، وأن جميع الأمراض العصبية تنشأ أولاً وقبل كل شيء عن عجز المريض عن تحقيق هذه الرغبة ، وعدم استطاعته أن يوفق بين سلوكه وبين مقتضيات الحياة ، وأن هذا العجز يرجع إلى ما ألفه الفرد في حياته الأولى من عجزه عن توجيه إرادته توجيهاً صحيحاً صادقاً نحو حل ما اعترضه من مشكلات ، وأن علاج المريض وشفاءه من مرضه يتوقف على إلمامه بماضيه ، وإدراك مبلغ تأثيره في حاضره ؛ فإن هذا وذاك كفيلاً بحل العقد النفسية ، والتوفيق بين الماضي والحاضر ، واستكمال أسباب الصحة العقلية .

## الباب الثاني

أسباب الأمراض العقلية وطرائق علاجها

وَاللَّيْلِ

أَيْضًا وَنَوَافِلُهَا وَنَوَافِلُهَا وَنَوَافِلُهَا



## الفصل السابع

### صحة العقل ومرضه

إني أدرك تمام الإدراك ما يعترض الباحث من صعوبات حينما يريد أن يضع تعريفاً دقيقاً جامعاً مانعاً لأمر من الأمور ، أو لاصطلاح من المصطلحات العلمية . ولهذا لا أرى من الهين تحديد معنى الصحة العقلية ، فهو من الأمور الاعتبارية التي تتفاوت في فهمها العقول ، وتختلف الأذهان ، وما ذلك إلا لعدم وجود مقياس مضبوط به تقاس حالة الشخص ، ويعرف ما إذا كان صحيح العقل أو مريض النفس . ولم يصل الأطباء بعد لتعيين حد فاصل بين الصحة والمرض .

غير أن التعريف الصعب البعيد المنال هو التعريف المنطقي الجامع المانع ، أما التعريف الذي يتقبله العرف العام ، ويقع لدى الباحث العادي موقفاً حسناً فقد يكون سهلاً ميسوراً ؛ فلنا في ضوء هذا أن نقول في تعريف الصحة العقلية إنها : « قدرة الفرد على أن يسير في تفكيره وسلوكه بيئته واستعداده مسيرة مرضية » . وأن نقول تبعاً لذلك : « إن الشخص السليم العقل هو الذي يسلك في تفكيره وأعماله مسلكاً عادياً منسجماً - ولو إلى حد ما - مع استعداده من جهة ، ومع بيئته من جهة أخرى . » وإنما قلنا « واستعداده » لأن الحكم على السلوك لا بد أن ينظر فيه إلى استعداد الشخص ، وثقافته ، وسننه ، ونوعه . فإذا كان سلوكه منسجماً مع هذه الأمور حكماً عليه بأنه عادي - وإن كان يعد شاذاً بالنسبة لمستوى عقلي آخر ، أو بالنسبة لسلوك شخص مثقف ثقافة راقية . وبدهي أنه لا ينبغي أن نقيس سلوك الطفل بمقياس سلوك الرجل ، ولا أن نجعل سلوك الرجال وتصرفاتهم مقاييس للحكم على سلوك

النساء وتصرفاتهن . فكل يعمل على شاكلته . وسنزيد هذا الموضوع بياناً فيما يأتي :

هذا هو المعنى الإيجابي للصحة العقلية ، أما معناه السلبي فهو : خلو سلوك الشخص العقلي والعمل من أنواع الشذوذ التي يستنكرها العرف العام بالنسبة له ، وسنعرض لأنواع الشذوذ هذه عند الكلام على المرض العقلي . وبدیهی أن الصحة العقلية هي الأصل في الخلقة البشرية ؛ فالله تعالى قد خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وكرمه بالعقل الراجح ، والذكاء الفائق ؛ فالأصل في الإنسان باعتباره إنساناً أن يسلك في تفكيره وأعماله مسلكاً سليماً ملائماً لاستعداده وبيئته ، وألا يشذ عن هذا المسلك إلا لأسباب طارئة على نفسه ، خارجة عن كيانها الذاتي .

ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن الصحة العقلية أمر طبيعي في الإنسان ، وأن المرض أمر طارئ غير طبيعي .

وإذا سلمنا بأن الصحة هي الأصل لم يكن من المستساغ أن نسأل عن أسبابها ،  
فقدماً قيل : « إن ما جاء على أصله لا يسأل عنه . »

على أن لقائل أن يقول : لماذا لا نسأل عن سبب الصحة العقلية ؟ وما الذي يمنع من أن نسأل : « لماذا كان فلان هذا صحيح العقل قوى الجسم ؟ ثم نتلص الأسباب في أسلوب حياته الخاصة ونوع ثقافته ، والظروف التي أحاطت به ؟ ومن السهل أن نرد على هذا بأن البحث في أسباب الصحة لا يعنيننا ؛ لأن أحوال السليم العادي لا تستلفت الأنظار ، ولا تسترعى الانتباه . أما المريض فهو الذي يعنيننا أمره ، وتهمننا معرفة أسباب علته ؛ كي نعالجه فنكفي شره ، ونعود به إلى الحالة الطبيعية المألوفة في غيره من الأصحاء ، فيكون عضواً عاملاً من أعضاء المجتمع .

فلننتقل إذناً إلى البحث في المرض العقلي ؛ فقد يلقى البحث فيه ومعرفة حقيقته ضوءاً جديداً على معنى الصحة العقلية فنزداد علماً بحقيقتها . فمن الثابت المأثور : أن الأشياء تتميز بأضدادها :

ومن خير ما قيل في تعريف المرض العقلي : « أنه تجاوز المستوى العادي (١) تجاوزاً ملحوظاً في التفكير والانفعال أو العمل ، إما بالضعف ، وإما بالشذوذ . » ولا يدخل العرف العام في أعداد الأمراض العقلية حالات الاضطراب العقلي الوقتي الناشئ مثلاً عن صدمة انفعالية قوية مؤقتة ، أو عن تناول مواد مخدرة ، أو عن الإصابة بمرض جنماني شديد ، كالحمى التي يصحبها في الغالب أوهام وخيالات . ويضيق معنى المرض العقلي في رأى بعض خواص المفكرين فلا يشمل عندهم بعض حالات الضعف العقلي المحتمل ، ولا فقد بعض العناصر العقلية البسيطة ؛ فمن فقد عاطفته أو خمدت جذوة ذكائه ، لا يعد مصاباً بمرض عقلي في نظر هؤلاء الذين يقصرون الأمراض العقلية على الحالات العقلية البادية الشذوذ ؛ كالصرع ، والخور ، والميلانخوليا .

ويرى رجال القانون أن الشخص لا يوصف بأنه سليم العقل Sane إلا إذا قدر على التفرقة بين الصحيح والخطأ من الأعمال ، وعرف بقوة الذاكرة إلى حد معقول ، واستطاع أن يدير شئونه الخاصة بشيء من الحزم . وبناء على هذا الاصطلاح القانوني يدخل في الأمراض العقلية ضعف التفكير الذي يبدو في عدم تمييز الخطأ من الصواب من الأعمال ، وكذلك ضعف الذاكرة إلى درجة ملحوظة ، والمعجز عن التصرف في الشئون الخاصة تصرفاً معقولاً . أما علماء النفس والعلاج النفساني فيرون أن المرض العقلي يتسع فيشمل جميع حالات الشذوذ في التفكير والإدراك ، التي يترتب عليها شذوذ في الأعمال الإرادية والسلوك .

وتتمتاز الأمراض العقلية بهذا المعنى بأنها حالات خروج عن الحد المألوف في الحياة العقلية ، إما بالزيادة وإما بالنقص ؛ فجرد تقلب الانفعالات أو اضطراب التفكير أو السلوك

(١) راجع مقالة Insanity في قاموس علم النفس والفلسفة .

أمر عادى يعرض حتى لأصحاء العقول . ولكنه إذا جاوز حده، أو أصبح صفة ثابتة صار مرضاً عقلياً في حاجة إلى علاج . وكذلك خمود جذوة الانفعال ، أو انطفاء شعلة التفكير، أو ضعف الإرادة ضعفاً يبدنا يظهر في سوء التصرف أو اعتقال الإرادة<sup>(١)</sup> - كل هذه تعتبر أمراضاً عقلية إذا كانت عادية راسخة في النفس ؛ لأنها تمتاز بتدهور أو هبوط في الحياة العقلية .

ويستدل على المرض العقلي بأمرين : أحدهما باطنى، ويعرف من وصف المريض نفسه لانفعالاته وأفكاره ، والآخر خارجى وهو سلوك المريض أو أعماله الصادرة عن إرادته .

ومن الخطأ أن نعتد اعتماداً كلياً على الدليل الثانى ونهمل الأول ؛ فقد دلت التجارب على أن البواعث الشاذة قد تؤدي على سبيل المصادفة إلى سلوك مريض مقبول ، وأن الأحكام الصحيحة قد تكون نتيجة لشكوك وأوهام وتفكير سقيم ، وأن الميول الشاذة قد تقاوم أو تكبت فلا تظهر آثارها فى الخارج ، وأن التضارب بين الميول والرغبات النفسية المكبوتة الخفية وبين الظروف الخارجية كثيراً ما يكون سبباً فى الاضطراب أو المرض العقلى .

وينبغى ألا نحصر المرض العقلى فى اضطراب الناحية الإدراكية . نعم إن التفكير الشاذ المعوج ، والاستسلام للخىالات والأوهام من أهم مظاهر المرض العقلى التى يجب أن نعى بها . ولكن يجب ألا ننسى - مع ذلك - الشذوذ فى الحياة الوجدانية الذى يشمل : كثرة المخاوف ، والاستسلام الدائم للغضب ، والانغماس فى الفرح والحبور ؛ ولا جمود التأثير بالمثيرات العادية ، أو التباطؤ فى تلبيتها ؛ ولا تناول الأعمال القذرة التى ينفّر منها الذوق السليم وينكرها العرف ؛ ولا تقلقل الإرادة

وتقلباتها ؛ ولا التمداد في العناد والمشاكسة ؛ ولا انقسام الشخصية وتمزق شملها -  
فإن هذه كلها دلائل على أمراض عقلية ينبغي التنبيه لها ، والعمل على معالجتها .

فالمريض العقلي ليس مقصوداً على خلل في الناحية الإدراكية ، ولكنه يشمل  
الشدوذ في الناحيتين الوجدانية والنزوعية ، وفقد التوازن بين الميول النفسية والأفكار  
وبين السلوك والأعمال .

وينبغي أن يرجع في تقرير الشدوذ إلى أحوال الفرد وظروفه الخاصة ، ويدخل  
في هذه : (١) سنه (٢) مستواه العقلي (٣) نوعه (٤) منزلته الاجتماعية  
(٥) بيئته الاجتماعية .

فما هو عادى بالنسبة للطفل قد يكون شاذاً بالنسبة للرجل ؛ مثال ذلك : ما يلاحظ في  
الطفل من فرح ومرح زائد ، فهو طبيعي بالنسبة له . ولكنه إذا صدر عن شاب أو  
رجل فإنه يعد دليلاً على مرض عقلي .

وما هو مألوف بالنسبة للرجل قد يكون شاذاً بالنسبة للذكي . وما يقبل من المرأة  
قد لا يقبل من الرجل . وما نألفه من غير المثقف قد نستنكره من المثقف . وما هو  
شائع بين الناس في الأوساط المتأخرة في الحضارة ، قد يعتبر شاذاً في البيئات الراقية  
التي قطعت في سبيل الحضارة مراحل حاسمة . مثال ذلك : الاعتقاد الجدى في الشعوذة ؛  
فقد كان شائعاً مستساغاً في العصور الماضية ، وهو الآن مقبول بين القبائل المتأخرة  
في الحضارة . ولكنه يعد دليلاً على مرض عقلي إذا صدر عن رجل مثقف يعيش في بيئة  
راقية ؛ فإذا قال لك رجل من هذا الطراز إنه يعتقد أن أحد المشعوذين يقتفي أثره ويقصد  
به سوء بأعماله السحرية ، فاعلم أنه مريض العقل ، في حاجة ماسة إلى علاج نفسي .  
وهذا كله بين لا يحتاج إلى مزيد إيضاح .

# الفصل الثامن

## الأمراض العقلية

أسبابها - أقسامها - تشخيصها

بين المرض الجفماني ومرصه العقل :

المرض العقلي هو نقص أو ضعف في العقل، يظهر في نقص أو ضعف في التصرفات أو الأعمال العقلية، أو في عجز النفس عن القيام بوظائفها على الوجه الأكمل. ومن المعروف أن وظائف العقل تنحصر في الإدراك والوجدان والنزوع. فأى شذوذ في ناحية من هذه النواحي يدل على مرض العقل كما بيننا فيما سبق.

أما المرض الجفماني فهو ضعف في الجسم ينشأ عن خلل في تكوين أعضائه أو أجهزته، أو عن عطب يلحق هذه الأعضاء أو الأجهزة كلها أو بعضها، فيفسد تكوينها الطبيعي، ويجعلها عاجزة عن أداء وظائفها على وجه مرضي.

ولما بين الجسم والعقل من علاقة نرى أن المرض العقلي يصحبه في الغالب عجز بعض المراكز العصبية العليا عن أداء وظائفها، مع سلامة تكوينها، وعدم إصابتها بعطب مادي. وبالعكس؛ فإننا نرى أن إصابة تلك المراكز العصبية العليا التي في الدماغ بعطب مادي يؤدي إلى اضطرابات عقلية وشذوذ في السلوك.

ومن هذا يتبين لك - ولو على وجه إجمالي - الفرق بين المرض العقلي والمرض الجفماني.

ومن الأمراض العقلية ما هو يسير هيّن ؛ كضعف الذاكرة ، وشدة الخوف والتردد . ومنها ما هو وبيل وخيم العاقبة ؛ كالصرع والميلانخوليا ، والهوس ، والخبل والوسوسة ، وانقسام الشخصية ، والآبوليا ( اعتقال الإرادة ) ، والجنون بأنواعه وفنونه .

### لكل مرض عقلي سبب :

كما أن لكل مرض جثماني سبباً أو أكثر ، كذلك أصبح من المقرر الآن أن لكل مرض عقلي سبباً أو أكثر . وعلى الرغم من انتشار العلوم والمعارف الخاصة بالعقل ووظائفه وأسباب ضعفه الطبيعية ، فإننا نجد بعض الأشخاص حتى المتعلمين لا يزالون يعزون بعض الأمراض العقلية إلى عوامل خفية أو أسرار غريبة ، أو عوامل خارجة عن طبيعة المصاب نفسها ؛ فلا تزال فكرة حلول الجن أو الشياطين بالأجسام منتشرة بين العامة . وقد ذكر الدكتور ادورد استركر في كتابه (العلاج النفساني) أن مصابة بمرض عقلي قدّمها إليه لمعالجتها بعض أقاربها ، وحذروه أن يترك ستائر غرفة المريضة مرفوعة حينما يكتمل ضوء القمر ، خشية أن تقع أشعة البدر على المريضة فيزيد مرضها سوءاً . وهذه من بقايا العقيدة التي اعتنقها قدامى البدائيين ، ومؤداها أن المرض العقلي علاقة بضوء القمر : تلك العقيدة التي نشأ عنها تسمية الجنون «Lunacy» ، وهذه كلمة مشتقة من كلمة لاتينية هي Lune بمعنى قمر . فهذه العقيدة وما يشبهها من الخرافات والأوهام هي التي أثبت البحث الحديث خطأها ومخالفتها للواقع ، كما أثبت أن نصف الأمراض العقلية - على الأقل - يرجع إلى أسباب عامة لها آثار ظاهرة في جميع الأمراض على اختلاف أنواعها ؛ كالطاعون وغيره من الأمراض البوائية ، والسكر ، وتناول المواد المخدرة ، واضطراب الهضم ، واضطراب الغدد الصماء ، وما يحدث في الأعضاء والأجهزة الباطنية من عطب أو خلل .

① - أسباب الأمراض العقلية :

مما لا يحتمل الشك أن لمعظم الأمراض العقلية إن لم يكن لسببها أسباباً جسمية ، وأخرى نفسية . كما أن كثيراً من الأمراض الجثمانية يرجع إلى أسباب عقلية ؛ ذلك لأن الإنسان ليس إلا وحدة جسمية عقلية ؛ فمن الطبيعي أن ما يؤثر فيه يشمل هاتين الناحيتين الجسم والعقل . غير أن الإصابة الجثمانية ترجح في بعض الأحيان الإصابة العقلية فيوصف المرض بأنه جثاني . كما أن الإصابة العقلية قد ترجح الإصابة الجثمانية فيوصف المرض بأنه عقلي . فإذا وضعنا هذه الحقيقة نصب أعيننا استطعنا أن نعرف السر في اشتراك عوامل أو مؤثرات خاصة في إحداث الأمراض الجثمانية والعقلية معاً . وفي ضوء هذه الحقيقة نستطيع أن نقسم أسباب الأمراض العقلية إلى مجموعتين أو طائفتين هما : ( ١ ) الأسباب السابقة أو المعرضة للمرض <sup>(١)</sup> . ( ب ) الأسباب المثيرة التي ينشأ عنها المرض مباشرة <sup>(٢)</sup> .

( ١ ) الأسباب المعرضة :

--- إن الأسباب المعرضة - كما يفهم من اسمها - هي التي تجعل الإنسان مهياً للإصابة ، معرضاً لها . وهذه تحدث قبل الإصابة بالفعل التي تتوقف على سبب أو أسباب أخرى هي الأسباب المثيرة أو المباشرة . ولتوضيح ذلك نمثل بمرض من الأمراض الجثمانية وهو نيومونيا ( مرض يصيب أغشية الرئتين ) .

فمن الأسباب المعرضة للإصابة بها سوء التغذية ، وإدمان السكر ، والإسراف في تناول المواد الكحولية . ولكن الإنسان لا يصاب بالمرض بالفعل إلا إذا اتصلت الرئتان بالجرثومة أو الميكروب الذي ينشأ عنه المرض بالفعل .



قلبي ومن أهم الأسباب المعرضة للأمراض العقلية :

١ - الوراثة . (٢) السن . (٣) النوع . (٤) العوامل البيئية . (٥) المهنة .

(٦) الإصابة السابقة .

ولنتكلم عن كل من هذه بشيء من التفصيل :

(١) الوراثة : تعد الوراثة من العوامل الهامة التي تجعل الإنسان عرضة للإصابة

ببعض الأمراض العقلية . وقد وجد أن ربع عدد المصابين بأمراض عقلية أو ثلثهم

أو أكثر في بعض الحالات ينتمون إلى أسر تسمى فيها الأمراض العقلية أو

الاضطرابات العصبية ؛ ذلك لأن مرض العقل يرجع في الغالب - كما قلنا من قبل -

إلى ضعف كامن في الجهاز العصبي ، أو إلى فقد الاتزان في تكوين هذا الجهاز .

وهنا نحذر القارئ الوقوع في خطأين شاع بين الناس الوقوع فيهما ، وهما :

(١) الغلو في التعظيم من شأن الوراثة حتى ينسب إليها ما يجب أن ينسب إلى البيئة

من الآثار ؛ فن الواجب فحص الحالة فحصاً دقيقاً، ودراسة تاريخ المريض حتى لا ننسب

إلى الوراثة ما ينبغي أن ينسب إلى البيئة ، أو العكس . (٢) الاعتقاد بأن المرض

العقلي يورث كما هو أو بصفته الخاصة . وهذه عقيدة فاسدة ؛ إذ ليس من الضروري

أن يكون ابن المعتوه مثلاً معتوهاً ، أو ابن المخبول مخبولاً ؛ فالذي يورث ليس هو

المرض عينه الذي يصاب به الأصل ، وإنما هو الاستعداد العصبي العام ، أو حالة

المجموع العصبي على العموم . فإذا كان الأصل ضعيف الأعصاب ضعفاً مزمناً ، نتيجة

لإصابته بمرض عقلي ، فمن المرجح أن يكون الفرع ضعيف الأعصاب أيضاً ، وأن

يصاب بمرض عصبي سواء أ كان هو ما أصيب به الأصل أم كان غيره .

وليس من الضروري أن يصاب جميع الفروع بمرض عقلي ، أو يكونوا عرضة

لإصابات عقلية - إذا كان أصلهم قد أصيب بذلك ؛ فالمشاهد أن كثيراً من أفراد

الأسرة الواحدة ينجون من خطر الإصابة التي حدثت لغيرهم من أفرادها.  
(٢) السن : من الممكن أن نقول إن الفرد والأمة في هذا الصدد متشابهين ،  
فالدولة تولد صغيرة ، ثم تنمو شيئاً فشيئاً ؛ فإذا صمدت للعواصف التي تحيط بها في  
حياتها ، وخرجت من المحن سالمة إبان شبابها ، فمن المرجح أن تبقى قوية سليمة في  
عهد رجولتها ، حتى إذا ما بلغت القمة كانت عرضة للتدهور . وقد تبقى قوية سليمة  
دهراً طويلاً أو قروناً متعددة ، ولكن دروس التاريخ تعلمنا أن لكل زمان دولة  
ورجالا . وتتوقف مدة القوة والسلطان على أحوال الدولة والأسس التي قام عليها  
بناؤها ؛ فكما قوى الأساس وصاب البناء طال أمد الدولة ، ولكن أعاصير الزمن  
وصروف الدهر لا تفتأ تضعع من كيانهما ، وتضعف من شأنها ، حتى يأتي يوم تدرك  
فيه عصر الشيخوخة فيلحقها الفناء .

وهذا عينه هو شأن الفرد من بني الإنسان ، فهو يولد كاملاً سليماً ولكنه  
صغير ضعيف في حاجة إلى العناية والرعاية خشية أن يقع فريسة للأمراض الجسمية  
أو العقلية ، فإذا جاوز عصر الطفولة سليماً معافاً ، وقاوم أخطار المراهقة بنجاح ،  
وصمد لأحداث البلوغ ومشكلاته العقلية ، وثوراته النفسية - بشجاعة ، ثم ثبت لتجارب  
الحياة ، وتصرف نحوها تصرفاً حازماً سليماً متزنًا - أقول إذا تم للفرد ذلك كان من  
المرجح أن يعيش في العصور التالية في مأمن من الأمراض العقلية والصدمات  
النفسية الضعيفة .

وقد دلت التجارب على أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل محوطة بكثير  
من الأخطار ؛ إذ فيها تبذر بذور الشخصية . وقد تنبت فيها أصول أمراض عقلية  
لا تظهر آثارها إلا في عهد الكبر . ومن الثابت أن عصر المراهقة والبلوغ وما بعده  
بقليل من السنين أخطر أدوار الحياة العقلية ؛ إذ فيه تعظم نسبة الإصابة بالأمراض

العقلية ، وبخاصة جنون المراهقة Schizophrenia . ولما تؤذن شمس الحياة بالمغيب ، وتغلب جيوش الشباب جيوش المشيب ، ويبلغ الإنسان من الكبر عتياً ، يصير المرء عرضة لضعف الجسم والعقل . وقد يدركه الخجل إذا امتد به الأجل ، فيرد إلى أردل العمر؛ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً .

وكما تعترض الأمة في حياتها أزمات اتفاقية ترهق قوتها ، ومشكلات عويصة تفت في عضدها ؛ كالأزمات السياسية والاقتصادية - فكذلك تعترض الفرد في عصور مختلفة من حياته أزمات اقتصادية ، تترتب عليها أزمات انفعالية نفسية ، تضعف كيان عقله ، وترزّل أركان نفسه . وقد تودي بحياته في لحظة ، فيصبح كأنه لم يكن .

فسنّ الشخص له تأثير كبير في حياته . ومن الواجب الاعتداد به عند البحث عن سبب المرض ، وعند تشخيصه ، وعند علاجه .

(٣) النوع : إن نوع الشخص في ذاته أي كونه ذكراً أو أنثى ليس له تأثير في الاستعداد للمرض العقلي ، ولا في حدوئه بالفعل ، ولا في الحصانة العقلية . ومع ذلك فهناك أوقات معينة تكثر فيها إصابة النساء بالأمراض العقلية ، أو يشتد فيها تأثيرهن العصبي؛ كمدة الحمل ، ودور المراهقة والبلوغ ، حيث يبلغ النمو الجسمي مداه ، وحيث تحدث الانقلابات الانفعالية والوظيفية .

(٤) العوامل البيئية : هذه العوامل إما عامة وإما خاصة :

فالعامة هي التي تؤثر في الفرد باعتباره فرداً من أفراد أمة أو شعب ، أو أي مجموعة من الناس ، خاضعة لظروف معينة عامة ؛ فالحياة في المدن - بما يكثر فيها من جلبة أو ضوضاء - خليقة بأن تؤثر في الأعصاب ، وتجعل الإنسان عرضة للإصابة بالأمراض العقلية . والحرب وما تنطوي عليه من أخطار ومغامرات وأهوال - جديرة بأن ترزّل الأعصاب ، وتهز كيان النفس؛ سواء بالنسبة للجنود الذين يخوضون غمار الحرب

ويقاسون ويلاتها بالفعل ، وبالنسبة للمدنيين الذين يستولى عليهم الخوف ويحيط بهم الذعر ، فيحرمهم النوم الهادئ ، ويوقعهم في حيرة من أمرهم ، واضطراب في شئوهم . فتوالى هذه الاضطرابات العصبية ، وتكرارتك المخاوف والأحوال والأوهام - كثيراً ما جعل الجنود وغيرهم عرضة للجنون ، أو ذهب بحياتهم العقلية بالفعل .

وهذا من نتائج الحياة الحاضرة : حياة الحضارة والتنافس والضوضاء والبغضاء ؛ ولذا يقال : إن المرض العقلي هو مرض المدنية والحضارة ؛ يدل على ذلك قلة الأمراض العقلية بين القبائل والشعوب المتأخرة في الحضارة ، وكثرتها بين سكان المدن والمدنيين المستتمتعين بأكثر قسط من مظاهر الحياة المدنية الحديثة .

ومن المحقق أن العلاقات الاجتماعية الكثيرة ، والواجبات المدنية ، التي تفرضها على الناس ظروف الحضارة - من أشد العوامل تأثيراً في الحياة العقلية . ومن المحقق أيضاً أن كثيراً من الأمراض العقلية ينشأ في الغالب عن عجز أو نقص في انسجام الفرد مع بيئته الاجتماعية ، أو عن ضعف في تهيئته لمقاومة ظروف هذه البيئة ، وتلبية طلباتها ، والقيام بما تفرضه عليه من واجبات .

ولا ينبغي أن يستنبط من هذا أن حياة المدنية السائرة في طريق نموها على أسس قوية تعد في ذاتها من الأسباب المعرضة لضعف العقل أو المرض العقلي ؛ فالغرض أن من ينشئون في أحضان المدنية ، وتتكون لديهم استعدادات متنوعة مركبة متشابهة ، وتُفرض عليهم واجبات متزايدة متشابهة أيضاً - يكونون أكثر تعرضاً للاضطرابات العصبية والأمراض العقلية من أولئك الذين ينشئون في أحضان البداوة والتشرف ، فيكون تفكيرهم محدوداً ، وتتكون الواجبات التي تفرضها عليهم بيئتهم محدودة كذلك . مثل هؤلاء وأولئك كمثل الآلة الميكانيكية ؛ إذ كلما كثرت أجزاء الآلة ، وتعددت أجهزتها ، وتنوعت وظائفها ، وتعاونت الأجهزة بعضها مع بعض على أداء

الوظيفة الأساسية للآلة ، كانت أكثر تعرضاً للعطب والفساد من آلة ساذجة قليلة الأجزاء محدودة الوظيفة .

والمشاهد أن أوساط الناس الذين يمثلون في المجتمع المتمدين منزلة بين المنزلتين ، ويسلكون في الحياة مسلكاً وسطاً - هم أقل طوائف المجتمع تعرضاً لأخطار الأمراض العقلية . أما من يمثلون المنزلة الدنيا في المجتمع ، وهم أشد أفرادهم فقراً ، فهم أشد الطبقات تعرضاً لأمراض العقل ؛ لأن فقرهم يحملهم على أن يجهدوا أنفسهم في سبيل الحصول على أقواتهم ، وأن يخضعوا لظروف قاسية منها : نقص التغذية المقومة للصحة ، والميل إلى تناول المواد المخدرة ، والعيش في بيئات لا هي صحية ولا هي خلقية .

— ونجد كثيراً من مرضى العقول في الطرف الأعلى بين أفراد الطبقات الراقية الذين يعيشون عيشة سهلة ليينة ؛ ويعملون من الأعمال ما لا يستدعي تفكيراً ويميلون إلى الانغماس في الملهيات والشهوات ، لا هم لهم إلا العناية بقضاء رغباتهم الخاصة ، وإشباع نهمهم الحيواني .

أما العوامل البيئية الخاصة : فأهم من العوامل العامة (١) لما لها من بالغ الأثر في حياة الفرد العقلية و (٢) لأنه من الممكن إلى حد كبير جداً تجنبها . وتسكاد هذه تنحصر في فشلنا في إخراج أطفال مزودين بقسط مقبول من الصحة العقلية والاتزان الوجداني معاً ، ومن مظاهر ذلك الفشل :

- (١) عدم نجاحنا في معاونة الأطفال على التحرر من سلطان الآباء والأمهات .
- (٢) القسوة في تأديب الأطفال والشدة عليهم بدون مسوغ .
- (٣) تدليل الأطفال والاستسلام لرغباتهم استسلاماً تاماً .
- (٤) الإهمال في التربية الجنسية إهمالاً ترتب عليه انغماس الشبان في الأحلام

الجنسية ، وفشلهم في إعداد أنفسهم لحياة جنسية طيبة طاهرة .

(٥) الصراع الدائم بين الوالدين على مرأى ومسمع من أولادهم .

ومن المحقق أن لهذه العوامل البيئية الخاصة وما يشبهها آثاراً بليغة في حياة الأطفال العقلية ، حتى بعد أن يصيروا رجالاً ونساء . فمن الخطأ أن ننظر إليها <sup>شذراً</sup> ، ولا نعيدها أكبر قسط من عنايتنا .

٥ - المهنة : قد يكون للمهنة التي يتولاها الفرد أثر مباشر أو غير مباشر في إصابته بمرض عقلي ؛ فالمهن المختلفة التي لها علاقة بالمواد الكيماوية قد كثرت وتنوعت ، وأدى انتشارها إلى كثرة المواد السامة المعدنية أو السائلة أو الغازية ، التي تتأثر بها أجهزة العمال العصبية ، وتؤدي إلى إصابتهم بأمراض جنسية أو عقلية . ونذكر من بين هذه المواد السامة الرصاص الذي يؤثر في الأعصاب ، ويضعف العقل .

ومن المهن المعرضة للإصابات العقلية العمل في الحانات ، والملاحة البحرية ، والطب . وهذه المهن في ذاتها لا تجعل المرء عرضة للإصابات العقلية ، ولكنها مغرية تدفع أصحابها إلى تناول المواد المضرة بالعقل ؛ فالعامل في الحانة قد تدفعه ظروفه الخاصة إلى تذوق ما يقدمه للناس من المواد الكحولية ، والملاح قد يغريه بعده عن وطنه بالتجرد من قيود التعفف فينغمس في حمأة الرذيلة ، والطبيب قد يغريه الإلف ، وتدعوه التجارب ، ويحملة التعب على أن يتناول شيئاً من العقاقير الطبية المضرة التي يصفها للمرضى .

هذا وقد دل البحث على خطأ من يقولون إن تناول الأعمال الشاقة المتعبة من عوامل التعرض للمرض العقلي ؛ فالواقع أن العمل الشاق لا يكون من الأسباب المعرضة للأمراض العقلية إلا إذا صحبه قلق نفسي ، أو حرص شديد ، أو تفكير زائد على الحد المعقول في المستقبل ، وما يمكنه من احتمالات ؛ فإن هذه قد تحمل المرء على أن يغلو في إجهاد نفسه ، ويتعود عادات فكرية غير صحية ، ويتناول أعمالاً لا طاقة

له بها ، فيؤدى ذلك إلى انحلال قواه الجسمية والعقلية ، ويكون كالمبت الذى لأرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

٦ - الإصابة السابقة : إن مثل الأمراض العقلية فى ذلك مثل الأمراض الجثمانية ، فكما أن الإصابة ببعض الأمراض الجسمية مرة يسهل سبيل الإصابة بها مرة ثانية كأعراض القلب ، فكذلك الإصابة بمرض عقلى ، فقد تجعل المرء عرضة للإصابة بها مرة أخرى . وكما أن من الأمراض الجثمانية التى تحدث فى دور الطفولة ما يكسب الجسم مناعة وحصانة فلا يصاب به مرة أخرى ؛ كبعض الحميات والجدرى ، فكذلك بعض الأمراض العقلية التى تكسب العقل مناعة فلا يصاب بها مرة أخرى إلا فى حالات نادرة .

هذه أهم الأسباب المعرضة للأمراض العقلية ، ومن الواجب أن يعتمد بها :  
(١) عند تشخيص المرض و (٢) عند معرفة سببه المباشر و (٣) عند العلاج .  
وهذه فى الواقع أمور مترابطة يتصل بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً ، فمن عرف المرض وأدرك سببه سهل عليه علاجه علاجاً مرضياً .

ونحن إذا درسنا حياة كل فرد فى ضوء هذه الأسباب وجدنا أنه لا يكاد أحد ينجو من التأثير بسبب منها أو أكثر ، وعلى هذا نكون جميعاً تقريباً عرضة للإصابة بأمراض عقلية ، وهذا حق لا ريب فيه ؛ غير أن السواد الأعظم من الناس تشتد فيهم القدرة على المقاومة ، فتمتغلب على الأسباب المعرضة للمرض .

ونوجه نظر القارئ مرة أخرى إلى أن يعلم أن أى سبب مُعرض - مهما يبلغ من القوة والسلطان - لا يكفي مجرد وجوده لإحداث المرض بالفعل ، بل لابد أن يضاف إلى ذلك سبب أو أكثر من الأسباب المثيرة أو المباشرة ، التى هى القوى الفعالة المسؤولة مباشرة عن ظهور أعراض المرض ، وهى التى نحدثك عنها الآن :

(ب) الأسباب المثيرة أو المباشرة :

نعني بهذه الأسباب التي تحدث الأمراض العقلية ، أو تعد مسئولة عن حدوثها بصفة مباشرة ، ولذا تسمى : «بالأسباب المثيرة Exciting Causes». وهي بالطبع أهم من الأسباب المعرضة ؛ إذ بدونها لا توجد الأمراض ، ولكنها من حيث الترتيب الزمني متأخرة عن الأسباب المعرضة كما هو ظاهر .

وتوصف هذه الأسباب بأنها نفسية جثمانية ؛ أي أنها مزيج من عناصر جثمانية وعقلية ، فليست عقلية بحتة ، ولا جثمانية بحتة ، غير أن بعضها يغلب عليه الصبغة الجثمانية ، والبعض الآخر يغلب فيه التأثير النفسى أو العقلى . وكلمة « يغلب » هنا ضرورية في الحالين ؛ إذ لو قلنا بأن من الأسباب ما هو جثمانى بحت ، وما هو عقلى بحت ، لكان ذلك منافياً للحقيقة المقررة ، وهي أن الإنسان وحدة متماسكة لا تنقسم إلى جسم وعقل ، ولكنها مزيج من جسم وعقل ، فما يؤثر فيه لا بد أن يكون كذلك ؛ إذ من الثابت أن المؤثر لا بد أن يكون ملائماً للأثر، أى أن السبب والمسبب لا بد أن يكونا متجانسين .

فالحمى مثلاً من الأسباب المباشرة لبعض الأمراض العقلية ، ولكننا نجد بالبحث أنها تؤثر في الجسم أكثر مما تؤثر في العقل ؛ أى أن آثارها الجسمية أقوى من آثارها العقلية ؛ إذ هي تؤثر أولاً وقبل كل شيء في الأغشية الجسمية، وتؤثر بصفة ثانوية في الشعور فيضطرب ، وقد يعترى الإنسان نوع من الخبل والهذيان ، يصحبه - في كثير من الأحيان - ثورة انفعالية قوية هي التي نسميها « ثورة المحموم » . فالحمى سبب جثمانى عقلى ، ولكن يغلب فيه التأثير الجثمانى .

وقلق النفس من الأسباب العقلية والجثمانية المثيرة للمرض العقلى التي يغلب فيها التأثير العقلى ؛ أى أن مظاهره عقلية أكثر من أن تكون جثمانية ، فالقلق لا يستطيع



أن يضبط نفسه أو يحد من ذهنه ، أو يفكر تفكيراً سليماً ، ولكنه مع ذلك يتأثر تأثراً جثمانياً يظهر في امتقاع اللون ، وعنق النبض في الأوعية الدموية التي بالعنق ، وسرعة التنفس مع خفته ، إلى غير ذلك من المظاهر التي يراها الإنسان واضحة جلية فيمن يمتريه القلق النفسى الشديد؛ كما هي الحال فيمن يقف موقفاً خطائياً محرّجاً ، وحال من يشفق على مريض في حالة خطيرة ، أو من يتقرب أخباراً عن غائب .

في ضوء هذا التمهيد نذكر من بين الأسباب التي يغلب فيها التأثير الجثمانى :

- (١) الحمى وغيرها من الأمراض المعدية الحادة .
- (٢) التعب الشديد الذى يصل إلى درجة الإعياء .
- (٣) تخدر الأعصاب بتناول المواد والمقاير المخدرة .
- (٤) تخدر الجهاز العصبى وغيره من الأجهزة الباطنية ؛ فهذا قد يؤدى إلى اضطراب عملية الهضم ، وامتصاص الطعام الضرورى لتقوية الدم وتغذية أنسجة الجسم ، وأغشيته المختلفة ؛ وكثيراً ما يؤدى اضطراب عملية الهضم إلى اضطراب الأعصاب ومرض العقل .
- (٥) التسمم المزمن الناشئ عن بعض الأمراض الحادة ؛ كالسل ، والأنيميا ، ومرض السكر . فهذه وما يشبهها إذا عاناها المريض مدة طويلة فسممت جسمه ، واضطرتته إلى أن يقلل من نشاطه الحيوى - قد تكون من الأسباب المباشرة للسلوك العقلى الشاذ .
- (٦) الأمراض العصبية الحادة المزمنة التي تؤثر في المخ تأثيراً مباشراً ، فتضعف العقل أو تؤدى إلى أمراض عقلية وبيلة ، لما بين المخ والتفكير من علاقة وثيقة .
- (٧) التقرح الباطنى وخصوصاً في منطقة الدماغ ، فهذا قد يؤثر في المخ في دور الطفولة أو ما بعده ، فينشأ عنه شذوذ في السلوك العقلى .

(٨) ضربة الشمس الحادة ؛ فهذه قد ينشأ عنها اضطراب مستمر في توزيع الحرارة على الجسم ، وثورة انفعالية يطول أمدها . وهذا وذلك مما يؤدي إلى فقد الاتزان العقلي . هذا عرض موجز للأسباب المباشرة التي يغلب عليها التأثير الجثماني . ومن أراد مزيد بيان ، فليرجع إلى كتب الطب الجثماني ، فليس مما يعنيننا كثيراً عرضها عرضاً تفصيلاً سهياً .

الأسباب المباشرة التي يغلب فيها التأثير العقلي .

وتمتاز الأسباب التي ذكرناها آنفاً بأن آثارها مادية ، يسهل في كثير من الحالات على الطبيب الماهر تعرفها وتعيينها بالفحص الدقيق . أما الأسباب التي يغلب فيها التأثير العقلي ، فلكونها عقلية نفسانية أكثر من أن تكون جثمانية مادية ، نجد من الصعب تعريفها وتحديدتها ؛ فقد يحتاج ذلك إلى بحث طويل ، وتتبع لحياة المريض في أدوارها المختلفة ، وبخاصة في دور الطفولة الأولى ، التي أثبتت التجارب أن كثيراً من الأمراض العقلية والعقد النفسية تبذر فيه بذورها . ولا يستطيع تعرفها وتحديدتها على وجه مرضى إلا العالم النفساني الخبير ، الملم بطرائق العلاج النفساني المختلفة .

ولما كان معظم هذه الأسباب يرجع في النهاية إلى اضطرابات وجدانية أو انفعالية ، كان لزاماً علينا أن نتكلم بشيء من التفصيل والإسهاب عن الانفعالات وتأثيرها في الحياة العقلية فنقول :

إن الانفعالات على اختلافها ضرورية لتكوين الشخصية ، ولا بد منها للاحتفاظ بحياة عقلية عادية متزنة ، مثلها في ذلك مثل القلب الذي إذا أصحح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، والذي لا بد منه لتكوين الجسم ، وللاحتفاظ بحياة جسمية عادية منسجمة .

فإذا توقفت الانفعالات عن العمل ، ولم يظهر لها أثر في حياة الإنسان - كافي بمض

حالات الشيخوخة ، وانجمود العقلي - تبع ذلك توقف العقل عن العمل ، أو - على الأقل - فسدت الحياة العقلية ، واعتراها شيء من الجمود والجمود .

فكما أن عجز القلب عن أداء وظائفه يؤدي إلى موت الجسم ، كذلك عجز الانفعال عن أداء وظائفه يؤدي إلى موت العقل ، أو - على الأقل - إلى فساد الحياة العقلية وضمودها ، ولذا يقال : « إن الانفعال هو قلب العقل » .

ولا غرو ؛ فكل انفعال قوة دافعة فعالة ، عميقة التأثير في السلوك الإنساني والإحساس الفني والشعور الأدبي ؛ فلولا الانفعالات ما استطاع المصور أن يصنع صورة تخلب الأبواب ، ولا استطاع الممثل أن يصنع من الرخام أو المرمر تمثالا تهوى إليه الأفئدة ، ولا قدر الشاعر أن يصوغ من الألفاظ والعبارات قصيدة تلهب الخيال وتوقظ العاطفة ، ولا أمكن الكاتب أن يصدر قصة تهز المشاعر وتلعب بالأبواب ، ولا قدر الموسيقار أن يؤلف بين الأصوات والنغمات ، فيخرج منها ألحانا شجية تطرب الأسماع وتهز أوتار القلوب .

فاذا كان الخيال هو مصدر الفن ، فإن الانفعال هو السراج الوهاج الذي يضيء جوانب الخيال ، أو هو الشعلة الموقدة التي تلهب نار الخيال وتنير له طريق الإنتاج . وليس من باب المغالاة أن نقول إن الانفعالات هي الدوافع الحيوية التي تصدر عنها أعمال الإنسان وأحكامه ، دون شعور منه في كثير من الحالات . ومن المؤكد أنها هي وحدها المسيطرة على حياة الطفل . وإنك لو حللت أعمال الجماهير لوجدت أنها ترجع في النهاية إلى الثورات الانفعالية ، التي هي مصدر الثورات الاجتماعية ، ومثيرات الحروب الطاحنة ، وهي التي بسببها يفقد الملوك تيجانهم وعروشهم ، بل رؤوسهم ، وإذا كان بعض الساسة ينجحون في سياستهم بتفكيرهم وذكاؤهم فذلك قليل نادر ؛ إذ أن الغالب ألا ينجح الزعيم في حياته إلا إذا كان متوقفاً على العاطفة قوى الشعور

الوجداني . وإن الحضارة التي تقوم على التفكير المحض المجرد من التأثير العاطفي قلما تبقى طويلاً ، وإن بقيت أعوزها التقدم والرقى .

ومن البديهي أن القوة الانفعالية قد توجه الإنسان إلى الخير ، وقد توجهه إلى الشر ، وأن السلوك الناشئ عنها - سواء بالنسبة للفرد ، وبالنسبة للأمة - قد يكون نافعاً وقد يكون خطراً مضرراً ؛ فثورة انفعالية قوية قد تزلزل العقل وتهلك كيانه ، وثورة انفعالية حادة جامحة قد تودي بالأمة ، وتوردها موارد الهلاك ، وتجلب لها الخراب والدمار ، أو الذل والعار .

ولا سبيل إلى السلوك القويم إلا بتحكيم العقل ، وضبط الانفعالات الطائشة ، وتوجيهها للتوجيه السليم . ومع أن ذلك سهل ميسر ، فكثيراً ما يسبق السيف العذل ، ويندفع الإنسان في تيار الثورة ، ويسرع إلى العمل قبل أن يحكم عقله ، ويفكر في عواقب فعله .

ومع هذا فمن الممكن - بالتدريب والتعود - أن يكتسب الإنسان فضيلة ضبط النفس وكظم الغيظ ، وأن يكون سيداً لانفعالاته ، قابضاً على أزمته ، لا عبداً لها خاضعاً لسلطانها ؛ فإن الاستسلام للانفعالات ، والخضوع لسلطانها من صفات الطفل البارزة ، التي لا ينبغي للبالغ الرشيد أن يتصف بها .

ولو استطاع كل فرد أن ينجح في تهذيب انفعالاته ، وتحكيم فكره في وجدانه - إلى حد ما - ما أصاب العالم ما أصابه من نكبات متواليات ، ولتقدم النوع الإنساني بخطى واسعة في سبيل السلم والسعادة ، ولقل ما تعانیه البشرية الآن من أنواع الذل وألوان الشقاء ، بل لقلت الأمراض العقلية إلى أقصى حد ، وسلم الإنسان من كثير من الأمراض العقلية الوييلة .

نريد بعد هذا أن نعرض بعض حقائق لها علاقة بالانفعالات ، ولها آثار

ظاهرة في حياة الجسم والعقل معاً ، فمن هذه الحقائق :

(١) أن أى نزعة انفعالية مهما تبلغ من الضعف تترك وراءها ، أو تصحبها ، آثار جثمانية ملائمة لها قوة وضعفاً . وهذا هو ما يسمى بالآثر الجثمانى للانفعال .

(٢) أن الآثار الجثمانية - إذا استمرت قوية - تزيد في قوة الانفعال ، وذلك كما في حال الانفعال الحاد الثأر ، مثل الغضب الشديد الذى تصحبه ثورة جثمانية شاملة لجميع أجهزة الجسم تقريباً ، فالغضب يثير الجسم ، و ثورة الجسم تقوى الغضب ، وهكذا ، فيظل الإنسان لعبة في أيدي أجهزته الجسمية من جهة ، وأيدي انفعالاته من جهة أخرى حتى تهدأ نأرة الغضب ، أو تستنزف قوى الجسم ، فيعتريه خمود وهمود قد يخمد معه الانفعال نفسه . وهذا هو ما يسمى بالتأثير الجثمانى في الانفعال .

(٣) أن العقل الإنسانى مزود بقوة احتمال عظيمة يستطيع معها أن يحتمل النزوات الانفعالية القوية ، ويصمد لها مدة طويلة . ولكنه مع ذلك قد يضعف أمام الانفعالات الضعيفة التى تبقى مدة تقلقه ، وتستنفد نشاطه بالتدرج . وإن توالى ثورة هذه الانفعالات الضعيفة الطويلة الأجل قد يضعف العقل ، ويوهن قدرته على الاحتمال ، فيكون عرضة للانزها م أمام أى ثورة انفعالية حادة ، وإن قصر أجلها . فالانفعالات الضعيفة الطويلة الأجل أشد تأثيراً في العقل من الانفعالات الحادة الوقتية .

(٤) أن قوى النفس البشرية ونزعاتها الانفعالية ، يعوزها في الغالب الانسجام والتوافق ؛ وذلك راجع إلى اختلاف النزعات الغريزية وتضاربها في الاتجاه ؛ فالغرائز الفردية قد تعارض الغرائز الاجتماعية ، وغريزة حب الظهور قد تعارض غريزة حب الخضوع ، وغريزة حب التملك قد تعارض الغريزة الاجتماعية وهكذا . وقد ينشأ من تضارب هذه الميول تفكك في الشخصية ؛ فإن التضارب العقلى لا يستمر دائماً أبداً مقلقاً للنفس مهدداً لكيانها ، فإما أن يتم التوافق بين الرغبات المتخالفة ، فتتآلف

بالطريق العادي، وتنحل العقدة، وإما أن يشتد النزاع، ويستعصى التوفيق فتنتال بعض الرغبات مآربها على حساب الحياة العقلية، فيختل ميزان العقل والجسم، وتنشأ الأمراض العقلية أو الجسمية.

ومن الأمراض الناشئة عن هذا الصراع ما أصاب الجنود الذين عانوا ويلات الحرب الأوربية الأولى، وصعقتهم قنابلها، وأزعجهم قصف مدافعها، فكان هذا وذلك سبباً في أن فريقاً منهم أصبحوا ولهم أعين لا يبصرون بها، وفريقاً آخر أمسوا ولهم آذان لا يسمعون بها، وفريقاً ثالثاً صاروا ولهم أنوف لا يشمون بها. وكان ذلك بمثابة دفاع النفس عن كيانها، وحل الصراع بين غريزة الدفاع عن النفس والميل إلى الشجاعة والقيام بالواجب في ميادين القتال؛ ففقد البصر يجنب النفس رؤية المناظر الوحشية المؤلمة، وفقد السمع يجنبها سماع دوى المدافع والقنابل، وفقد الشم يحول بينها وبين شم الروائح الكريهة المنبعثة من جثث القتلى التي تبقى في الخنادق أو في العراء مدة طويلة؛ إذ لم يكن من الممكن دفنها.

وليس هذا الحل المؤلم للصراع النفساني بمقصود على الحياة غير العادية، كحياة الجنود في ميادين القتال، بل إنه قد يحدث في الأحوال العادية؛ فكثيراً ما يصاب الرجل أو المرأة بأمراض جثمانية، أو عقلية - نتيجة لعدم النجاح في مصارعة ظروف الحياة وتقلباتها، وذلك كما في حال من يخفقون في الحب أو في الزواج، أو من يفشلون في الحصول على مآربهم الشخصية؛ من مناصب اجتماعية، أو درجات مالية، أو زعامة سياسية، أو من يجزعون جزعاً شديداً لموت قريب أو حبيب، أو من يتألمون لتدنس شرفهم، وتلوث سمعتهم.

كل هذه وغيرها من متاعب الحياة التي لاحد لها، تسبب للإنسان القلق النفسي،

الذى إذا طال عليه الأمد أوهنَ قدرة العقل على المقاومة ، وانتهى أمره باضطراب الشخصية وغيره من الأمراض العقلية .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ما لكبت الانفعالات ، وسوء معاملة الأطفال ، والحجر على حريتهم في دور الطفولة من آثار سيئة في الحياة العقلية في عهد الكبر ؛ ذلك لأن كبت الانفعالات وعدم التنفيس عنها في الصغر قد يؤدي إلى تكون العقد النفسية ، التي تبقى كامنة في النفس ، إلى أن آثارها في عهد الكبر في توجيه السلوك توجيهاً شاذاً ، أو في الإصابة بأمراض عصبية أو عقلية وخيمة العاقبة .

### تقسيم الأمراض العقلية :

إن خير أساس نتخذه لتقسيم الأمراض العقلية هو السبب الرئيس الذى ينشأ عنه المرض ، فعلى هذا الأساس تنقسم الأمراض العقلية ثلاثة أقسام هي :

(١) الأمراض العضوية : وهي التي ترجع إلى خلل في تكوين المخ وأنسجته وأوعيته ، مثال ذلك : الأمراض العقلية المتى تنشأ عن الشيوخوخة أو الشلل الجزئى .

(٢) الأمراض الوظيفية : وهي التي يصحبها عجز عضو من الأعضاء عن القيام بوظيفته مع وجود خلل فيه ، مثال ذلك : الجنون بصوره المختلفة ، ومنها جنون المراهقة والهوس ، والصرع ، والخوريا ، والميلانخوليا .

(٣) الأمراض التسممية : وهي التي يصحبها تسمم في بعض أعضاء الجسم ، كالأضرار الناشئة عن التسمم بالمواد الكحولية . ولا داعى هنا للإطالة في تعداد هذه الأمراض ، وبيان أعراض كل منها . فمن أراد مزيد بيان في ذلك فليرجع إلى المطولات . فلنكتف بهذا العرض الموجز لأسباب الأمراض العقلية وأقسامها في رأى معظم أطباء العقول في العصر الحاضر . ولننتقل إلى موضع لا يقل أهمية في نظر هؤلاء الأطباء عن العلاج نفسه ، ذلك هو :

### اختبار المريض وتشخيص مرضه :

لم يعد الطبيب النفساني يكتفي بنظرة سطحية إلى المريض ، أو يقنع باختباره هو وحده اختباراً مقصوراً على حالته الحاضرة ، بل يرى من الواجب عليه أن يتبين الأمور الآتية ، ويدركها تمام الإدراك - قبل الشروع في العلاج ، وهي :

(١) كنه المرض بالضبط .

(٢) المراحل التي مر بها المرض منذ أن ظهرت أعراضه إلى أن وصل إلى ماوصل إليه الآن .

(٣) تاريخ حياة المريض بوجه عام ، وما عسى أن يكون قد حدث له من أحداث خطيرة ، أثرت في مجرى حياته العادي بوجه خاص .

(٤) تاريخ حياة الأسرة التي ينتمي إليها المريض ، ومدى شيوع هذا المرض أو مايشبهه بين أفرادها .

ومن الضروري ألا يعتمد الطبيب على المريض وحده في وصف مرضه ؛ فقد يدعي أنه سليم معافى ؛ وأن حياته العقلية عادية ، لا تشوبها شائبة شذوذ ، وأن خطواته في الحياة سديدة موفقة ، وأن «تدبيره لقتل مضطهديه ومعارضيه سائر في طريق النجاح» ؛ ولا غرو فالجنون كثيراً ما يعد نفسه من أعقل الناس ، وأصحهم تقديراً ، وأحزمهم تدبيراً . وكذلك لا يستطيع المريض أن يسرد تاريخ مرضه سرداً كاملاً مستوفياً ؛ لأن الصراحة قد تعوزه . والذاكرة قد تخونه ، والخيال قد يلعب دوراً مشوهاً للحقائق . ومن باب أولى لا يستطيع المريض أن يقص تاريخ حياته منذ نشأته ، ولا أن يذكر تاريخ أسرته ، ولا أن يبين من أصيب بمرضه منهم ومن لم يصب . فمن الواجب أن يرجع في ذلك كله إلى الأقارب والأصدقاء ، المتصلين بالمريض ، المتابعين لتطور مرضه وتقلبات أحواله ، العارفين بتاريخ حياته ، وتاريخ حياة أسرته ؛ فهؤلاء هم أقدر على



الوصف الدقيق المبين لما قد يخفى المريض أو يخفى عليه من أسرار ، وما يشد عن ذاكرته من حوادث .

وإنما كان من الضروري معرفة تاريخ المرض ، لأن لكل مرض عقلي تاريخاً معيناً وأدواراً خاصة ، لا بد من معرفتها لتعيينه بالضبط . ولا يكفي العلم بالأعراض ؛ لأن هذه متشابهة في أمراض مختلفة كما في أنواع الميلانخوليا . ومعرفة حياة المريض نفسه في الماضي كثيراً ما تكشف القناع عن سبب المرض ، كما في الأمراض الناشئة عن العقد النفسية التي تكونت في عهد الطفولة .

والإلمام بتاريخ الأسرة قد يساعد على تعرف كنه المرض ، وبذلك يكون له أثر قيم في المعالجة .

ومن المهم جداً في فحص حالة المريض النفسية الخاصة بالعناية بالمظاهر الآتية :

- (١) مظهر المريض العام ، وسلوكه ، وطرائق معاملته غيره .
- (٢) مجرى تفكيره العام ، والأفكار التي تتوارد على ذهنه .
- (٣) مدى ما بين أفكاره من تضارب أو انسجام .
- (٤) ما لديه من مبادئ أو أفكار تقلق نفسه وتشغل باله .
- (٥) مدى قدرته على دقة البحث وعمق التفكير، والجد في حل ما يعترضه من مشكلات الحياة .

(٦) مدى قدرته على سرعة التلبية أو التأثر بما يحيط به من مؤثرات طبيعية أو اجتماعية، والاستجابة لها .

(٧) مسلكه في الحديث وأسلوبه في التخاطب أو المناقشة .

ويتوقف النجاح في إدراك هذه الأمور تمام الإدراك على مهارة الطبيب المعالج وبعد نظره ، ودقته في مراعاة الأسس التي يقوم عليها العلاج النفساني التي نعرضها عليك الآن :-

+

## الفصل التاسع

### الأسس التي يقوم عليها العلاج النفساني

لا شك أن فهم الطرق المتبعة الآن في العلاج النفساني على وجهها الصحيح يتوقف على معرفة الأسس العلمية التي يقوم عليها العلاج بالطرق النفسانية المختلفة - سواء أكان علاجاً لأمراض نفسية أم كان علاجاً لأمراض جثمانية .

وأول هذه الأسس وأجدرها بالتقديم هو ما بين الجسم والعقل من علاقة ؛ فقد أصبح مما لا مجال للشك فيه الآن أن هناك علاقة وثيقة بين الجسم والعقل ؛ أى بين الحالات الجثمانية المادية والحالات العقلية أو النفسية . وقد أدرك هذه العلاقة أرسطو وأقرها بقراط ، وشرحها جالينوس ، وأفاض في بيانها وشرحها فلاسفة العرب ، ووقف على آثارهم الفلاسفة المحدثون ، وفي مقدمتهم ديكارت . ومعنى هذه العلاقة أن الأحداث العقلية تؤثر حتماً في الأحوال الجسمية ، وبالعكس ؛ أى الأحداث الجسمية تؤثر في أحوال العقل ؛ فالمرض الجسماني يؤدي حتماً إلى مرض عقلي من نوع ما . والأمراض العقلية تنشأ عنها أمراض جثمانية . وصحة الجسم بوجه عام ، والمجموع العصبي بوجه خاص - تؤدي إلى سلامة العقل . كما أن صحة العقل بمعنى سلامة التفكير ومطابقتها للمبادئ القويمة ، والفوائد الصحيحة - تؤدي إلى سلامة الجسم وخلوه من الأمراض ؛ فقديماً قيل : « العقل السليم في الجسم السليم » . والآن يقال أيضاً : « إن الجسم السليم لا يكون إلا مع عقل سليم » .

ويقتضى المقام أن أسهب قليلاً في الاستدلال على صحة هذه النظرية ، التي أصبحت

الآن جزءاً لا يتجزأ من علم النفس الحديث ، والحجر الأساسى من بناء علم العلاج النفسانى .

ولنبداً بذكر مجموعة من الأدلة تثبت تأثير الأحوال المادية الجسمية فى سير العقل ، والأعمال العقلية ، ثم نأتى بأدلة أخرى تثبت العكس ؛ أى تدل على تأثير الأحوال العقلية فى الجسم والوظائف الجسمية .

فن النوع الأول :

(١) أن أى خلل مادى مباشر، أو ضعف، أو اضطراب فى الجهاز العصبى المركزى- يتبعه خلل فى العقل أو التصرفات العقلية .

(٢) ما ثبت بوجه قطعى من أن الأغذية والعقاقير الطبية، والإفرازات الغدية ، والمواد المخدرة - تؤثر فى العقل ؛ فقد دلت التجارب على أن تغيير الأغذية تغييراً خاصاً يحدث تغييراً كبيراً فى الأمزجة . وقد لاحظ بعض الأطباء أن إطعام القتلة المجرمين نوعاً خاصاً من الطعام يخفف من ميلهم إلى الإجرام ، وأن تناول بعض العقاقير والأدوية باستمرار يؤدي إلى تغيير محسوس فى الأمزجة ، وتقدم فى الأخلاق ، وبعد عن الإجرام . ومن النتائج التى وصل إليها الأطباء فى العصر الحديث أنه من الممكن تنظيم الإفرازات الغدية ، وتكميل ما فيها من نقص ، ونقص ما فيها من زيادة، وذلك بحقن الدم بمواد تقوى الضعيف ، أو تضعف القوى من تلك الإفرازات . وبذلك يمكن تعديل الأمزجة ، وتغييرها إلى حد كبير جداً ، ويتحقق ما تنبأ به ديكارت فى القرن السادس عشر حيث قال : « إن العقل يتأثر بالأمزجة ، وبالحالة التى عليها أعضاء الجسم لدرجة أنه إذا كان من الممكن أن نجد وسيلة بها نجعل الإنسان على العموم أعقل وأقدر وأعلى منزلة مما وصل إليه حتى الآن ، فإنى أعتقد أنه من الضرورى أن نبحث عن هذه الوسيلة فى عالم الطب . »

(٣) ما يلاحظ من التعب العقلي بعد القيام بأعمال جسمية مرهقة .

(٤) ما ثبت من أن الأمراض الجثمانية الحادة ، والحميات الشديدة - تتبعها أمراض عقلية ، أو على الأقل ضعف عقلي حقيقي . ويرى الدكتور محمد ولاية بك أن لكل نوع من أنواع الجنون سببين أو أكثر من أسباب ثمانية هي : (١) تناول المواد السامة ، (٢) ضعف الأعضاء التي تقاوم تأثير هذه المواد السامة ، (٣) عدم تناول مواد زلالية ذات قيمة غذائية عالية أو عدم هضمها ، (٤) اختلال وظائف الهضم ، (٥) عدم وجود كميات كافية من الفيتامين في أنسجة الجسم ، (٦) قلة الأملاح المعدنية في الأنسجة ، (٧) اختلال وظائف الغدد الصماء ، (٨) أسباب أخرى متنوعة ؛ كارتجاج المخ ، وضربة الشمس ، وتناول المواد المخدرة .

(٥) التجارب المتنوعة التي أجراها العلماء على بعض أفراس الحيوان في المعامل السيكولوجية لإثبات هذه النظرية .

(٦) ما يلاحظ من أن تناول طعام شهى ، أو شراب لذيد - يريح النفس ، وأن الاستحمام بالماء البارد في الصيف ، وبالماء الفاتر في الشتاء - يهدئ الأعصاب ، ويسر النفس . ومما يثبت تأثير الأحوال العقلية في الأحوال الجثمانية :

(١) ما يشاهد من تأثير الحالات الوجدانية والانفعالات الحادة في الجسم بوجه عام ، كالأضطرابات المختلفة التي تحدث في أجهزة الجسم ، وكحمرة الوجه عند الخجل وصفرته عند الوجع ، والارتعاد عند الخوف ، وتقوس الظهر أو انحناء الكتف عند الحزن ، والحركة والغناء عند السرور .

(٢) ما لاحظ من تأثير تكرار الانفعالات الحادة في صحة الجسم . وأذكر بوجه خاص الخوف ؛ فكثير من الممثلين والممثلات مثلاً يعتبرهم الذعر عند الظهور لأول مرة أمام الجمهور ، فيغمى عليهم ، أو تعثرهم نوبات عصبية ، فيتلعثمون ، ويضطربون

اضطراباً شديداً . وكذلك الغضب الذي قد يودي بحياة الغضبان إذا خرج عن حدوده الطبيعية . وقد شرحنا ذلك فيما مضى شرحاً وافياً .

(٣) ما يشاهد من اضطراب الإنسان عند قيامه بعمل من الأعمال إذا فكر فيه وفي كيف يقوم به ؛ فالذي يحاول ملاحظة نفسه وهو يمشى - تضطرب حركات رجله . والذي ينتبه إلى نفسه عند القراءة ، أو الكتابة ، أو الخطابة ليعرف كيف يقرأ ، أو يكتب ، أو يخطب - لا يجيد القراءة ، ولا الكتابة ، ولا الخطابة . ومن يحاول أن يلاحظ كيف ينام ، أو متى ينام فقد يفارقه النوم ، ويلزمه الأرق .

(٤) ما دلت عليه التجارب دلالة لا تحتمل الشك من تأثير الإيهام ، أو الإيحاء أو الاستهواء في الصحة الجثمانية ؛ فقد أوهم بعض الأطباء شخصاً سليماً بأنه سقيم ، ف شعر بالمرض ، وظهرت عليه آثاره . وازداد مرضه بعد أن أخبروه أن صحته في تأخر وأن مرضه في تقدم . وما زالوا به حتى أوهموه أنه من الموت قاب قوسين أو أدنى ، فأشفي على الموت . ولكنهم رأفة به أوهموه أن صحته أخذت في التحسن ، فتحسنت صحته فعلاً . وما زالوا به يوهمونه أن صحته في تقدم إلى أن عادت إلى ما كانت عليه .

فالأفكار الموحى بها من الغير ، أو من النفس لها تأثير عظيم في سير المرض ؛ فإذا كانت مؤيدة له قوته ، وإن كانت معارضة له أضعفته ، ثم ذهبت به .

تقول الدكتورورة اليزابث سيقرن في كتابها « العلاج النفساني » ص ٨٩ في بيان العلاقة بين الأمراض العقلية والأمراض الجثمانية :

« إن التجارب الخاصة التي قمت بها في تشخيص الأمراض العقلية قد أقنعتني بصحة قاعدة عامة هي : أن لجميع الاضطرابات التي تحدث في الوظائف العقلية - سواء منهما ما كان شعورياً وما كان غير شعوري - علاقة وثيقة باضطرابات جثمانية خاصة . »

ثم مضت فوضّحت هذه القاعدة توضيحاً تاماً ، فبيّنت أن كل عضو من أعضاء الجسم يصبح مرضه مرض نفساني ؛ فقالت مثلاً : إن هناك علاقة بين مرض القلب والاضطرابات الوجدانية ، وبين مرض الطحال والكسل والخمول ، وبين اضطرابات المعدة والكآبة وضيق الصدر والتضجر ، وبين مرض السكّية أو عجز الأمعاء عن القيام بوظيفتها والتراخي أو التباطؤ في السلوك وعقم التفكير وضيق أفقه ، وبين مرض الكبد وسوء الظن وضيق الصدر والخشونة في معاملة الناس ، وبين وجع الركب والتردد ، وبين وجع الساق أو القدم وعدم القدرة على الابتكار ، وبين الروماتزم والعناء والتراخي في تحديد الغرض من العمل والسعي نحوه .

ومهما يكن في هذه القاعدة من صحة أو خطأ في التفاصيل ، فإنها تدل بوجه عام على أن هناك رابطة وثيقة بين الأمراض الجثمانية والأمراض النفسانية ، أو بعبارة أخرى على أن ارتباط الجسم بالعقل ارتباط لا مرية فيه .

وهذا هو الأساس الأول من أسس علم العلاج النفساني الذي لولاه ما كان من الممكن علاج المرض الجثمي بوسائل نفسية ، ولا علاج الأمراض النفسية بوسائل جثمانية .

الأساس الثاني : أن بعض حالات عقلية غير صحية تصبح عادية ، فتصححها - على مر الزمن - اضطرابات في وظائف الجسم ؛ فقد يقع المرء فريسة للأوهام والخيالات والفرع لأوهي الأسباب ، أو الشك ، أو القلق النفسي ، أو الوسوسة ، أو توهم المرض بدون داع معقول ، أو إدامة التأمل الباطني أي مراقبة النفس وهي تقوم بعملها - فإذا تمكنت بعض هذه الحالات في النفس بمرور الزمن ، واشتدت وطأتها ، صارت أمراضاً عقلية حقيقية تنشأ عنها أمراض جثمانية ، أو ضعف جثمي عام .

الأساس الثالث : أنه إذا أمكن أن يستبدل بهذه الحالات العقلية المريضة

حالات عقلية صحية خفت وطأة الآلام والاضطرابات الجثمانية الآنف الذكر ، ولا تزال تخف حتى تزول . فكل منا يعرف ما يعترى الإنسان عند الخوف ، أو الحزن ، أو الغضب من اضطرابات في الأجهزة الباطنية وتغير في حال الجسم الظاهرية ، ويعرف أيضاً أنه إذا تكررت هذه الانفعالات ، ووقع الإنسان فريسة لها ، فقد تجر وراءها أمراضاً جثمانية . فإذا استطاع المرء أن يخفف من حدة هذه الانفعالات ، بضبط النفس أو أى وسيلة أخرى من وسائل ضبط الانفعالات ، فإن هذه الاضطرابات تقل ، وتخف وطأة الأمراض المترتبة عليها ، ولا تزال تخف حتى تزول .

١ الأساس الرابع : أن الصدمات الانفعالية العنيفة قد تحدث في الحال خلافاً ذريعاً في وظائف الجهاز العصبي تكون له آثار باقية في المراكز العصبية العليا ، وقد تكون هذه الآثار أسباباً لأمراض عصبية عقلية سيئة العاقبة .

١ الأساس الخامس : أن العلم بالخوف والرغبات أو العقد الوجدانية المكبوتة التي تنشأ عنها أمراض عقلية ، وإخراجها من العقل الباطن إلى العقل الظاهر - من شأنه وحده أن يخفف من حدة تلك الأمراض ، وقد يكون سبباً في زوالها .

١ الأساس السادس : أن الأمراض التي يثبت بالتحليل النفسي ، أو بأى طريقة أخرى أنها أمراض عقلية ناشئة عن اضطرابات نفسية ينبغي أن تعالج بوسائل نفسية أيضاً ؛ فليس من الحزم في شيء أن نحاول علاج مرض نشأ عن مخاوف صدمت الطفل في طفولته ، أو عن وخز الضمير ، أو عن تعنيف الوالدين أو المدرس له تعنيفاً شديداً - أقول ليس من الحزم في شيء أن نعالج مثل هذه الأمراض بالعقاقير أو الأدوية المادية - نعم إن هذه قد تفيد أحياناً ، ولكن العلاج لا يتم على الوجه الأكمل إلا إذا كان من جنس المرض . فالعلاج النفساني هو العلاج المباشر للملائم للأمراض النفسانية .

ولله در ابن مسكويه حيث يقول في هذا الباب (١) :

« إن حذاق الأطباء لا يقدمون على علاج مرض جثماني إلا بعد أن يعرفوه ، ويعرفوا السبب والعلّة فيه ، ثم يرومون مقابله بأضداده من العلاجات ، ويتدنون من الحمية ، والأدوية اللطيفة إلى أن ينتهوا في بعضها إلى استعمال الأغذية الكريهة والأدوية البشعة ، وفي بعضها إلى القطع بالحديد والكي بالنار . ولما كانت النفس قوة إلهية غير جثمانية ، وكانت مع ذلك مستعملة لمزاج خاص ، ومربوطة به رباطاً طبيعياً إلهياً لا يفارق أحدهما الآخر إلا بمشيئة الخالق عز وجل ، وجب أن نعلم أن أحدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره ، فيصح بصحته ، ويمرض بمرضه . ونحن نرى ذلك مشاهدة وعيانا بما يظهر لنا من أفعالها ؛ وذلك أنا كما تجدد المريض من جهة بدنه ، لا سيما إن كان سبب مرضه أحد الجزأين الشريفين أي الدماغ والقلب يتغير عقله ويمرض ، حتى ينكر ذهنه ، وفكره ، وتخيله ، وسائر قوى نفسه الشريفة ، ويحس هو من نفسه بذلك - كذلك أيضاً نرى المريض من جهة نفسه إما بالغضب ، وإما بالحزن ، وإما بالعشق ، وإما بالشهوات الهاججة - تتغير صورة بدنه حتى تضطرب ، ويرتعد ، ويصفر ، ويحمر ، ويهزل ، ويسمن ، ويلحقه ضروب التغير المشاهدة بالحس . فيجب لذلك أن نتفقد مبدأ الأمراض إذا كان من نفوسنا ، فإن كان مبدؤها من ذاتها ، كالفكر في الأشياء الرديئة ، وإجالة الرأي فيها ، وكاستشعار الخوف ، والخوف من الأمور العارضة والمتربة والشهوات الهاججة قصدنا علاجها بما يخصها ، وإن كان مبدؤها من المزاج ( الجسم ) ومن الحواس ، كالخور ، الذي مبدؤه ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهية ، وكالعشق الذي مبدؤه النظر مع الفراغ والبطالة - قصدنا أيضاً علاجه بما يخص هذه . »

(١) كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ١٤٥ ، ١٤٦



وبعبارة أخرى يجب أن ننظر في سبب المرض ، فإن كان نفسانياً عالجنه علاجاً نفسانياً ، وإذا كان جثمانياً عالجنه علاجاً جثمانياً . وهذا القدر متفق عليه بين جميع الأطباء في العصر الحاضر . أما علاج المرض الجثمي بطريقة نفسانية ، أو علاج المرض النفساني بطريقة جثمانية فمختلف فيهما ؛ فالماديون يرون علاج جميع الأمراض بالأدوية والعقاقير الطبية، والروحانيون يرون علاج جميع الأمراض بالعقيدة، أو الإيحاء، وما إليها من الطرق النفسانية . ويبالغ بعضهم في ذلك ، فيقرر أن الجروح والحروق والسمعات، وما يشبهها من الإصابات الجسمية البحتة - يمكن أن تعالج بوسائل روحانية . ويستدلون على ذلك بما هو مشاهد من أن بعض الحيوان تجرح ، أو تحرق، أو تكسر عظامها ، ثم تبرأ من إصابتها بعد مدة من الزمن دون أن تعمل لها عمليات جراحية .

أذكر أني قابلت في صيف سنة ١٩٢٢ فريقاً من العلماء المسيحيين ، فتحدثت معهم في هذا الموضوع . وقد أكدوا لي أنه لن ينتصف هذا القرن إلا وقد أصبح العلاج النفساني الطريقة المتبعة لعلاج جميع الأمراض - مهما يكن نوعها وسببها - وإني وإن كنت أرى في هذا التأكيد شيئاً من المبالغة أرى في الوقت نفسه أن العلاج النفساني يسير قدماً بخطى فسيحة نحو الكمال .

## الفصل العاشر

### طرق العلاج النفساني

أرى لزاماً علىّ قبل التكلّم عن طرق العلاج النفساني المتبعة الآن أن أذكر أن هنالك شروطاً يجب أن تستكمل لكي يتم ذلك العلاج على الوجه الأكمل . فمن أهم هذه الشروط خمسة يجب أن تتحقق في المريض وهي :

- (١) أن يعلم حقيقة مرضه ، ويعرف الأسباب التي أدت إليه .
- (٢) أن تكون لديه رغبة صادقة في الشفاء ؛ فقد وجد أن من سئموا الحياة ، ورغبوا عنها - لسبب ما - لا يفلح علاجهم ، مهما يبذل الطبيب لهم من جهد وعناية .
- (٣) أن يكون قوى الأمل في نجاح العلاج ، مؤمناً تمام الإيمان بإمكانه على الأقل .
- (٤) أن يثق بالطبيب المعالج ثقة تامة غير قابلة للمناقشة .
- (٥) أن يعاون الطبيب في العلاج ، ويطيعه إطاعة تامة ، ويعمل بإرشاده بكل دقة .

ويجب أن يتحقق في الطبيب أربعة شروط هي :

- (١) أن يكون ملماً بعلم الأمراض العقلية بفرعيه ؛ أي علم تشخيص الأمراض العقلية<sup>(١)</sup> ، وعلم العلاج النفساني<sup>(٢)</sup> ، وأن يكون ملماً كذلك بعلم الطب ، وعلم النفس العام ، ولو بصورة إجمالية .
- (٢) أن تكون لديه خبرة عملية كافية اكتسبها من كثرة تجاربه ، وطول

(١) Psychopathology (٢) Psychotherapy or Psychotherapeutics

مرانه ، وتعلمه على بعض الأطباء المهرة في العلاج النفساني ؛ وذلك ليكون حاضر البديهة ، سليم الحس ، صادق الحدس ، قوى الشعور ، نافذ البصيرة ، حسن الأسلوب .  
(٣) أن يكون واثقاً بنفسه ، وبمعارفه ، وبقدرته على المعالجة ، وبملاءمة طريقتة للمرض الذى يعالجه .

(٤) أن تكون لديه شخصية قوية جذابة ؛ تجمع بين قوة الجسم ، وقوة العقل ، وقوة الخلق - بحيث تحمل المريض على التأثر بأرائه ، والعمل بإرشاده .

بقى شرط أساسى مشترك، يعد بحق أهم بكثير من الشروط الآتية الذكر ، ويعتبر نتيجة لتحقق كثير منها ، ذلك هو : وجود علاقة وثيقة ، ورابطة متينة بين الطبيب والمريض فى أثناء العلاج . وتسمى هذه الرابطة اصطلاحاً Rapport ، تلك الرابطة التى توحد بين روجيهما ، وتجمع بين نفسيهما ، فتجعلهما روحاً واحدة ، فتتأثر كل منهما بالأخرى تأثراً سريعاً فعالاً ، إذ بدون هذه الرابطة لا يمكن تأثر المريض بالطبيب ، ولا ثقته به ، ولا إدراك الطبيب لحالة المريض إدراكاً واضحاً ، ولا عطفه عليه عطفاً شاملاً .

هذه هى الشروط العشرة التى يجب تحقيقها ؛ لكي يكون العلاج علمياً دقيقاً مؤدياً للغرض .

والآن نتكلم عن وسائل العلاج وطرائقه فنقول :

إن وسائل العلاج إما عامة وإما خاصة ؛ فالعامة هى التى تتبع فى معالجة أى مرض من الأمراض العقلية أيا كان نوعه . وهذه عينها تتبع فى معالجة الأمراض الجثمانية :

فمن تلك الوسائل : التخفيف من حدة مخاوف المريض التى لا داعى لها ، وتهديئة أعصابه بالعطف عليه ، والرفق فى معاملته ، وتشجيعه : بالحط من شأن المرض ، والتنبؤ

بحسن العاقبة ، وتغيير البيئة التي يعيش فيها المريض تغييراً تاماً ، من شأنه أن يبعث السرور في نفسه ، ويقضى على مخاوفه ، ويذهب بمشاغله ، وأفكار المشجعة للمرض . وبدهى أنه مما يساعد على شفاء المريض : وجوده مع رفاق مؤنسين لا يدخرون وسعاً في إدخال السرور عليه ، وكذلك تغيير الأعمال التي يقوم بها أو تركها ، مع التعرض للشمس والهواء الطلق ، والاستمتاع بالمناظر الطيبة الجميلة ، والاستماع إلى الموسيقى الهادئة التي تشنّف الأسماع وتهدي الأعصاب .

أما المسائل أو الطرق الخاصة فهي التي تتبع في معالجة الأمراض العقلية بوجه خاص . وهذه كثيرة نكتفي بذكر أهمها ، وهي : (١) العلاج الجثماني ، (٢) والتنويم المغناطيسي أو الصناعي ، (٣) والتحليل النفساني ، (٤) والإيحاء ، (٥) والتحرير ، (٦) والتريمية من جديد ، (٧) والتنفيس .

(١) أما العلاج الجثماني و (٢) التنويم الصناعي فقد سبق الكلام عليهما . ولما يُتخذ التنويم وحده وسيلة للعلاج النفساني في الوقت الحاضر . وهالك بياناً لكل من الطرق الأخرى .

### (٣) التحليل<sup>(١)</sup> النفساني :

إن الغرض الأساسي من التحليل النفساني هو نقل الوجدانات أو الرغبات أو العقدة النفسية ، أو المخاوف المكبوتة من العقل الباطن إلى العقل الظاهر ؛ فإن نقل هذه المخاوف والذكريات التي لها علاقة بالمرض إلى العقل الظاهر ، وعلم المريض بها - قد يكون وحده كافياً لتخفيف حدة المرض أو زواله كما قلنا من قبل ، وكما قال ابن سينا منذ أكثر من تسعمائة سنة .

والمتمتع في ذلك عادة أن يستلقى المريض على فراش وتير مريح ، بحيث تنبسط عضلاته ، ويعطى نفسه أكبر قسط ممكن من الراحة والهدوء ، ثم يغمض عينيه ، ويلتفت إلى جهة غير التي بها الطبيب . ثم يأخذ في سرد تاريخ حياته سرداً حراً طليقاً بكل صراحة وأمانة ؛ فلا يخفي شيئاً ولا يخجل من ذكر شيء ، ولا يطاوع نفسه إذا سولت له كتمان أى صغيرة أو كبيرة من تجاربه الماضية . وما على الطبيب إلا أن يصنعى بكل يقظة وتأمل إلى ما يقوله المريض ، ويدون ما يرى من الهام تدوينه . فإذا تعلم المريض أو اضطرت أو تردد في الحديث اتخذ الطبيب ذلك دليلاً على أن هناك حادثة أو نقطة لا يريد المريض أن يبوح بها ، وهى في الوقت نفسه قد تكون مفتاح الداء وسر الدواء ، فحينئذ يوجه الطبيب إلى المريض من الأسئلة ما يحمله على استقصاء الحادثة ، وتوضيح النقط التي يميل إلى إخفائها ، أو الإجمال في ذكرها ، أو الإبهام في شرحها . وبعد أن ينتهى المريض من حديثه الذي قد يستغرق عدة جلسات يعود الطبيب فيحلل هذا الحديث . وبمهارته وحسن فراسته ، يعلم الميول والرغبات التي أدى الضغط عليها إلى المرض ، فيلفت نظر المريض إلى ذلك ، ويشرح له سبب المرض تمام الشرح . وبذلك يتم أمران هامان لها أكبر الأثر في الشفاء ، وهما (١) انتقال الأفكار والرغبات المسكوبة إلى حيز العقل الظاهر، و(٢) علم المريض بأسباب مرضه علماً تاماً . وقد يستعين الطبيب للحصول على هذين الأمرين بوسائل أخرى؛ كتوجيه أسئلة خاصة إلى المريض ومطالبته بالإجابة عنها ، وتحليل أحلامه في النوم أو اليقظة ، ودراسة أغلاط قلبه أو لسانه ، وتتبع سلوكه الشاذ كما قلنا من قبل .

(٤) الإيحاء<sup>(١)</sup> :

يعلم مما تقدم أن هذه الطريقة تعتبر نتيجة لتطور العلاج النفساني من مسمر إلى

Suggestion and Autosuggestion (١)

يريد ، ثم إلى ليوبولت ، ومدرسة نانسي ومسيو كوى . والغرض من الإيحاء : حمل المريض بالكلام أو غيره على أن يعتقد أن مرضه خفيف الوطأة ، سهل العلاج . حتى إذا ما تحسنت حالته ، قيل له إن مرضه آخذ في الزوال ، وفي النهاية يوحى إليه أن مرضه ذهب . ولا يخفى عليك ما للإيحاء من تأثير طبيعي في النفس ، وبخاصة إذا كان الموحى قوى الشخصية ، نافذ الإرادة ، مسموع الكلمة ، وكانت صلاته بالمريض وثيقة .

ومن الإيحاء ما هو خارجي ، وما هو ذاتي ؛ فالخارجي ما أتى من الغير أو من البيئة التي تحيط بالإنسان ، والذاتي ما كان من النفس مباشرة . ومن الخارجي ما هو عادي ، وهو ما يتم في أحوال عادية ، وما هو غير عادي ويسمى بالإيحاء التنويمي ، وهو ما يحدث في أثناء النوم الصناعي . ولست بحاجة إلى أن أطيل في شرح الإيحاء وبيان آثاره ، فمن المعروف أنه قد أصبح من أقوى الأسلحة المعنوية التي بها تحارب الأمم بعضها بعضاً ، فيتخذونه وسيلة لتقوية الروح المعنوية لدى جنودهم وأنصارهم ، وتثبيط همم الأعداء ومن ينتمى إليهم .

والظاهرة الغريبة التي لها تأثير في العلاج بالإيحاء الخارجي هي ظاهرة النقل<sup>(١)</sup> . ومعنى ذلك أن المريض عند تأثره بالإيحاء ، واتصاله بالموحى تمام الاتصال يأخذ عنه أفكاره ؛ فإذا فكر الموحى في أن المريض آخذ في التحسن ، وأن مرضه لا محالة زائل ، أو أنه قد زال بالفعل ، فإن هذه الأفكار تنتقل من الطبيب إلى المريض بالإيحاء ، فيترتب عليها شفاؤه . وهذا الشفاء يرجع كما قال ابن سينا إلى « طاعة الطبيعة للأوهام النفسانية . » وقد دلت الإحصاءات التي أمكن الحصول عليها حتى الآن على نجاح العلاج النفساني بالإيحاء إلى مدى بعيد جداً ، ولا سيما فيما يخص الأمراض التي لها علاقة بالاضطرابات العصبية ؛ كالأرق ، والصداع المزمن ، والصرع ، والهوس ، والوسوسة ،

وبعض أنواع الجنون؛ كالميلانخوليا التي نبغ في علاجها الرئيس ابن سينا ، وكذلك  
بعض العادات الشاذة ؛ كالفأفة ؛ والنوبات العصبية المتقطعة ، وبعض الأمراض  
الجثمانية ؛ كالشلل ، والرثية .

وقد أمكن بالالتجاء إلى الإيحاء أن تحيا بعض الأسر في بيئاتهم المنزلية حياة  
عقلية هادئة مطمئنة ، يسودها السلام ، ويممها الانسجام ، بعد أن كانوا يعانون  
صعوبات حمة في حياتهم ، من جراء ما كان يحدث بينهم من خلاف ، وما يعترهم من  
اضطرابات عصبية تذكر عليهم صفو حياتهم .

ويعزى إلى الإيحاء وتأثيره في النفس نجاح بعض طرق علاجية أخرى غير  
ما ذكرت وما سأذكر ، وذلك كالعلاج بالتعاون والرقى ، والأدعية والتوسلات الدينية  
وزيارة قبور الصالحين ، والتبرك بالأولياء أو بمخلفاتهم وآثارهم ، وكذلك الزّار ، وسحر  
السحرة ، وشعوذة المشعوذين من الذين يفسدون في الأرض ، وقليل ما يصلحون .  
وعلى أساسه أيضاً ينجح ما يسمى بعلاج العلماء المسيحيين ، وليس أدل على ذلك من  
الحادثة الآتية .

ذكر الدكتور بتس تاپلين في كتابه « التنويم الصناعي والعلاج النفساني »<sup>(١)</sup> ص  
٩٨ . أن فتاة متحمسة من أنصار العلماء المسيحيين اعترها مرض شديد ليلة  
من الليالي ، فكتبت خطاباً إلى سيدة من هؤلاء الناس تطلب إليها معالجتها غيبياً  
بطريقتهم الخاصة ، التي تقوم على الأدعية والاعتقاد ، وعينت لها الوقت الذي يمترها  
فيه المرض ، والتي تنتظر من السيدة أن تقوم فيه بمعالجتها . وقد أرسلت الخطاب  
بالبريد قبل الوقت المعين بمدة كافية لوصول الخطاب إلى السيدة . وجاءت الليلة المعينة ،

Hypnotic suggestion and psycho-Therapeutics by A. Betts (١)  
Taplin.

وفي الوقت المحدد أعدت الفتاة نفسها لتلقى إرشادات الشفاء ، وقد حدث أن اشتد عليها المرض ، ولكن لم تلبث أن شعرت بشيء من الراحة ، وفي الحال خفت حدة المرض ، وذهبت آثاره .

وقد ذكرت الفتاة هذه الحادثة بعد وقوعها مباشرة للدكتور تايلين ؛ لتبرهن له على صحة المعالجة الغيائية ، ولكنها شعرت بشيء من الخجل بعد ذلك بأيام قليلة، حينما عاد إليها خطابها عينه الذي أرسلته إلى السيدة ، وقد وجدته مغلقاً وكتب عليه عمال البريد من الخارج «غير معروفة . » ومعنى ذلك أن الخطاب لم يصل إلى السيدة ، فلم تقم بالمعالجة ، وأن الشفاء يرجع إلى صحة العقيدة ، وصدق الأمل في الشفاء .

ومن أشهر من عنوا بالإيحاء في عصرنا هذا الدكتور إميل كوى . وطريقته في ذلك أن يوحى إلى المريض أن يعتقد أن مرضه آخذ في الزوال ، وأنه متقدم بدون شك في صحته . ولتثبت هذه العقيدة في نفس المريض كان يطلب إليه بحنان ورفق أن ينطق بعبارات يعينها له ، فيقول لها مرات ، ملتزماً الهدوء في أول الأمر، مع رفع صوته قليلاً ، ثم يعود فيسرع في الكلام ، ويهبط بصوته قليلاً - كل هذا مع الإيحاء إليه أن يمتدح صحة ما يقول اعتقاداً جازماً .

ولم يكتف كوى بمعالجة المرضى بهذه الطريقة ، بل أخذ يجرى الأوصحاء على أن يتخذوا من الإيحاء الذاتي Autosuggestiou وسيلة للنهوض بأنفسهم ، وتوجيه سلوكهم توجيهاً صالحاً ، والتخلص من عيوبهم الخلقية والاجتماعية .

أذكر أن مسيو كوى هذا استدعى إلى مدينة إكستر بإنجلترا ، حيث كنا نتعلم ، فعمد عدة جلسات حضرت أنا وفريق من إخواني المصريين واحدة منها . وقد شاهدناه وهو يطبق مبادئه تطبيقاً عملياً . وبعد أن أقام بالمدينة عدة أيام ، كنا نسمع سكانها صفاراً كانوا أو كباراً يرددون عبارة علمهم إياها ، وطلب إليهم أن



يرددوها كل صباح وهي :

Day by day in every way I am getting better and better.

وعبارته بالفرنسية هي :

Tous les jours a tous les points de vue je vais mieux en mieux.

ومعنى ذلك : إني متقدم كل يوم من كل وجه .

(٥) التحريض<sup>(١)</sup> :

قد جعل دى بوا وديجيرين Dejerine التحريض طريقة فنية يعتمد بها . والغرض منه حمل المريض على أن يقوم بأعمال لا يمكنه القيام بها إلا عند زوال المرض ؛ كأن يحاول المصاب بالشلل أن يمشى ، أو من عنده رثية في أحد أعضائه أن يحرك هذا العضو حركة عادية ، وكأن يتشجع الجبان فيعمل أعمال الشجمان ، أو الخائف فيعمل أعمال من لا يشعرون بخوف . وهناك من التجارب الكثيرة ما يكفي للدلالة على نجاح هذه الطريقة .

فمن ذلك ما حكته الدكتورة سيمرن في كتابها « العلاج النفساني » ص ١٥٤ حيث قالت : « استدعيت لعلاج رجل قارب الكهولة ، كان قد لازم الفراش عدة أسابيع لتورم في أطرافه . وقد أزمه الطبيب الجثمانى أن يبقى في الفراش حتى يستريح ؛ لأن أطرافه من الضعف بحيث لا يسمح له بالتحرك . وقد تمكنت هذه الفكرة من نفس المريض ، لدرجة أنى وجدت من الصعب تحريضه على أن يقوم بحركة ما . وكل ما أمكننى أنى حملته على أن يعد وعداً صريحاً بمحاولة النهوض والحركة . ولكنه لم يف بوعدده ، فاضطرت أن أسلك معه مسلكاً آخر ، فقلت له إني مشغولة جداً ، ولا أستطيع الحضور لرؤيته إلا نادراً جداً ، ولكن إذا استطاع أن ينهض ويخاطبني

(١) ويسمى بالعربية التضريب أيضاً Persuasion

بالتلفون فمن الممكن أن أستمر في معالجته معالجة الغائب . ولكنه حاول التخلص من هذا العمل بتقديم أعذار كثيرة ، فقال : « إن التلفون بالطابق الأسفل ، وإنى أشك في إمكان الوصول إليه ، وليس من المستحسن مخالفة الطبيب الجهماني » . فرأيت أن أحرضه على النهوض والتمشى في الحجر قليلا مع الاستراحة بين فترات المشى ، فنجحت في ذلك ، ولو أنه كان من الصعب عليه أن يمشى ، لبقائه بالفرش مدة طويلة ساكناً لا يبدي حراكا . وقد أخبرته أنه في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم الثالث من الآن ستتحسن صحته ، ويكون قادراً على النزول إلى موضع التلفون للتكلم معي ، وأكدت عليه أنى سأكون في انتظار طلبه لى . وفي الساعة المعينة ظهرت بشارت النجاح ، فقد نزل المريض وخاطبني في التلفون ، وأخبرني - وهو مستبشر مسرور - أن صحته في تحسن مستمر ؛ فقد ذهبت أعراض المرض بسرعة ، ولم يعد يتألم ، ولم يبق أثر للتورم . وقد تم شفاؤه نهائياً في أقل من أسبوعين .

(٦) تجديد التربية<sup>(١)</sup> :

قد هذب هذه الطريقة جانت الفرنسي ، ومورتن برنس الأمريكى ، وغيرها . والغرض منها أن يخرج المريض من دائرة شعوره جميع الأفكار والمبادئ الخاطئة المعززة لمرضه ، المقوية له ، ويملا ذهنه بأفكاراً ومبادئ صحية صحيحة معارضة للمرض ، أو أن يغير وجهة نظره نحو المرض ، فيعرف أنه يرجع إلى أوهام ومخاوف لا داعى لها ، أو إلى تجارب مضت وانقضت فلا معنى لاستمرار التأثير بها ، أو إلى ذكريات ليس من الحزم الغلو في تقديرها والتعظيم من شأنها . ويمكن أن نقول على وجه العموم إن معنى تجديد التربية تغيير وجهة نظر المريض نحو مرضه تغييراً كلياً ، مبنياً على أساس فكرى منطقي ، وتهئية نفسه لحياة جديدة ملئت بالأفكار الصحيحة

والأعمال النافعة ، والمبادئ القويمة ، والعادات الصحيحة ، والآراء السديدة ، التي تصغر أمامها قيمة المرض ، بحيث يصير وهماً أو خيالاً أو هباءً في الهواء ، لا يحتمل البقاء . وهذا عينه ما يعنيه ابن سينا حين قال في علاج المريض بالمشق : « وإن كان العاشق من العقلاء فإن النصيحة والعظة له ، والاستهزاء به ، وتمنيفه ، والتصوير لديه أن ما به إنما هو وسوسة وضرب من الجنون مما لا ينفع نفعاً ، فإن العلاج ناجح في مثل هذا الباب . »

وهاك مثلاً للعلاج بتجديد التربية ، وهو مثل الطفل الذي يخاف الظلمة ويمتريه ذعر شديد حينما يذهب إلى مكان مظلم ، فنستطيع بهوادة ورفق أن نفهمه أن النور والظلمة متساويان ، فكل منهما ظاهرة طبيعية ، فالنور يأتي من الشمس أو القمر أو الصباح مثلاً ، فإذا ذهبت هذه كلها كانت الظلمة . ومن الممكن أن يصحبه والده إلى أمكنة مظلمة مرة بعد أخرى ، ولا يزال به يزوده بالأفكار الصالحة ، ويحرضه على الأعمال التي من شأنها أن تزيل الخوف من نفسه ، وتثبت فيها الشجاعة ، والثقة بالنفس .

وهاك مثلاً آخر : حالة الشخص الذي يأتي إلى الطبيب النفساني في حالة ذعر وهلع ، وشدة حيرة وفزع ، يقول إنه يخشى أن يفقد ذاكرته ، ويستدل على ذلك بأنه لا يستطيع أن يتذكر حادثة من الحوادث ، وبأنه ينسى ما يقرأ في الكتب ، وبما أن التذكر من وظائف العقل الأساسية - فهو يخشى أن يمترى عقله شيء من الخلل ، بل يخشى أن يُجَنَّ . هكذا يفكر لنفسه ، ولو علم أنه لا يحصر انتباهه فيما يرى أو يسمع أو يقرأ ، وأنه إذا حصر انتباهه في تجاربه لسهل عليه تذكرها بدقة . فضعف ذاكرته يرجع إلى ضعف انتباهه وقلة عنايته ، وضعف الانتباه أمر من السهل معالجته ، ولا يعد مرضاً من الأمراض الخطرة . فإذا نجح الطبيب في توجيهه مثل هذا المريض توجيهها صحيحاً ، وإقناعه بفساد آرائه ، وبأن المقدمات التي يذكرها لا تؤدي إلى

النتيجة التي يتخيلها - أقول إذا نجح الطبيب في ذلك فسرعان ما يبرأ المريض ، ويعود إلى رشده وصحته . وبهذه الطريقة أمكن أن يعالج علاجاً سريعاً نهائياً كثير من الأمراض الثانوية ؛ كالأرق . والوسوسة ، وضعف الإرادة ، والفرق الشديد من الحيوانات الغريبة ، والتلعثم في الخطابة أو التمثيل وما إليهما .

(٧) التنفيس<sup>(١)</sup> :

يراد بالتنفيس : إطلاق سراح الانفعالات أو الرغبات المكبوتة بأى وسيلة من الوسائل ؛ كإخراجها من العقل الباطن إلى العقل الظاهر ، والتفكير فيها مرة أخرى ، وإرضائها بالفعل ، والعمل بمقتضاها ؛ كأن يحصل الطفل على ما كان قد حرّمه من لعب أو منزلة لدى أبيه أو أمه أو أستاذه ، أو يحصل شخص على ما كان يرغب فيه من مال ، أو منصب ، أو شيء من الأشياء .

وقد ذكرنا فيما سبق أن ابن سينا قد نجح في علاج العاشق بهذه الطريقة ، وقال في القانون : « إن معرفة المعشوق إحدى سبل الشفاء »

وهنا يورد بعض العلماء اعتراضاً فيقول : «إننا لا ندرى في حالة التنفيس ما إذا كان النجاح في العلاج يرجع في الواقع إلى التنفيس نفسه ، أو إلى استعادة الذكريات الماضية ، ونقل الرغبات المكبوتة من العقل الباطن إلى العقل الظاهر ؛ فإن الأمرين كثيراً ما يحدثان معاً عند التنفيس ، وكلاهما له أثر في الشفاء ، وخصوصاً الأمر الثاني . »  
وهنا نقول في الرد على هذا الاعتراض : « إنه ليس هناك ما يمنع من أن يرجع الشفاء إلى الأمرين معاً إذا وجد معاً ، وإن التنفيس حينئذ يعد وسيلة للإسراع في العلاج . على أن التنفيس قد ينفرد بالعلاج إذا كان السبب شعورياً يعلم به المريض ولكنه يخفيه . »  
والتجارب تؤيد نجاح التنفيس نجاحاً باهر في علاج مثل هذه الحالة - إذا استخدم بمهارة ؛ كما في معالجة ابن سينا للعاشق التي شرحناها فيما مضى .

## خاتمة

### العلاج النفساني والتربية

يكفي ما ذكرته ملتزماً طريق الإيجاز عن نشأة العلاج النفساني ، وتطوره ، وأسسها ، وشروطه ، وطرائقه . والآن أنتقل إلى التحدث في موضوع آخر له من الأهمية ماله ، وهو يعنيننا نحن المربين بوجه خاص ، ذلك هو تطبيق المبادئ التي ذكرتها على التربية ، سواء أكانت في البيت ، أو في المدرسة ، أو في المجتمع العام .

ذكرنا فيما مضى أن هناك شروطاً لا بد من تحققها للنجاح في العلاج النفساني ، وهنا أقول إن هذه الشروط نفسها ضرورية للنجاح في التربية . وإني واثق من أن تحققها أو العمل بمقتضاها كفيل بأن يخرج لنا جيلاً ناهضاً ، سليم الجسم والعقل ، قوى الإرادة ، قويم الخلق . ومن البديهي أنه إذا نجحت المبادئ التي ذكرناها في معالجة المرضى ، وإعادة صحتهم العقلية إلى مجراها الطبيعي ، فإنها من باب أولى خليفة بأن تنجح في تقوية أحماء العقول ، وإرشادهم إلى خير الطرق ، وأقوم السبل إلى التخلص من عيوبهم النفسية الثانوية ، واستغلال نشاطهم الفطري ، والانتفاع بمواهبهم الطبيعية إلى أقصى حد ، واكتساب المعاديات والأخلاق النافعة ، والمواطف الراقية ، التي تجعلهم أعضاء عاملين ، نافعين لأنفسهم وأمتهم .

وإن خير ما نتذرع به للوصول إلى ما نقصد إليه هو: الإيحاء، الذي إذا استخدمناه

بمهارة أفادنا في تنبيه الناشئين إلى عيوبهم ، وإرشادهم إلى طرق التخلص منها .

وهذان لا يتمان على الوجه المرضي إلا إذا اتخذنا التشجيع رائدنا في كل ما نقول

ونفعل عند ما نقوم بواجب التربية ، وتحاشينا تثبيط هم أولادنا ، وتجنبنا وصفهم بالغباوة والبلادة والكسل ، وتشبيهمم بالبعال والحير ، وما إلى ذلك من الألفاظ النابية التي توحى إليهم بالتكاسل ، وضعف الأمل في التقدم ، وقلة الثقة بالنفس ، وتسد منافذ تفكيرهم ، وتغلق أبواب الرجاء في وجوههم . والواجب - بدلاً من ذلك - أن نحفز همهم ، ونحف من نواحي ضعفهم ، ونوحى إليهم - بلباقة وكياسة - أن ما بهم من ضعف أمره هين ، يسهل التخلص منه بالتنبه إليه ، والكر عليه ، ومحاولة القضاء عليه بالمثابرة ، وصدق العزيمة .

ومن هنا نرى من الخطأ ، بل من الحق أن نغلو في تقدير نواحي ضعفهم ، أو أمراضهم عقلية كانت أو جسمانية ، وأن نفرط في رفع شأنها وتعظيم أمرها ، ونحيطهم بأجواء وظروف من شأنها أن تزيد في أمراضهم ، وتضعف آمالهم في الشفاء ؛ كأن يلبس النساء الملابس السوداء ، ويجلسن حول المريض ، وعليهن علامات الكآبة الحزينة ، وأمارات الحزن الكئيب ، وينطقن بعبارات خافتة كلها تثير الخاطر ، وتريد في الألم ، وتدعو إلى اليأس ، وتضعف الأمل . ولو أنهن لبسن من الثياب مايسر الناظر ، وظهرن بمظاهر تحمل إلى النفس البشر والغبطة ، وتكلمن بعبارات تبعث الأمل والرجاء ، وأحطن المريض بجو يوحى إليه بالصحة والعافية ، والثقة والاطمئنان - أقول لو أنهن فعلن ذلك مع المريض لكان أدعى إلى هدوئه وراحته - إن لم يكن إلى سرعة شفائه من علته .

ولندكر دائماً ما لدراسة النفس والعلم بنواحي ضعفها من أثر في التربية ، فلنحاول ما استطعنا أن نرشد من ربي من الأطفال إلى عيوبهم كي يعرفوها حق المعرفة ، وأن نعاونهم على تعرف أسبابها ؛ فإن هذه المعرفة ضرورية في التربية ، كما هي ضرورية في العلاج النفساني .

ولا ننسى أيضاً أن اعتماد المتعلمين على أنفسهم من أهم المبادئ التي ترمى إلى تحقيقها التربية الحديثة ؛ فإن جميع طرق التربية الحديثة ترمى - فيما ترمى إليه - إلى أن يعتمد التلاميذ على أنفسهم في تربية أنفسهم ، لأن ذلك أجدى عليهم ، وأدعى إلى ثبات معلوماتهم في أذهانهم ، والانتفاع بها في حياتهم .

فما أحوجنا نحن المربين إلى دراسة علم العلاج النفساني ، والإلمام بمبادئه وطرائقه إلماماً خاصاً ملائماً لمهنتنا ؛ فإن هذه الدراسة - بالإضافة إلى أنها تساعدنا في معالجة أمراضنا وعيوبنا ، وإصلاح أنفسنا ، وتحسين أحوالنا الجسمية والعقلية والخلقية - تفيدنا أيضاً في معاونة مرضى العقول والأخلاق من تلاميذنا على التخلص من أمراضهم ، وفي تشجيع الأطفال العاديين ، وإرشادهم إلى أقوم الطرق وأسهلها لتربية استعداداتهم ، والانتفاع بمواهبهم ، واكتساب الصالح من العادات والعواطف النافعة لهم في حياتهم .

والحق أننا لو طبقنا قوانين العلاج النفساني ومبادئه في التعليم ، والحياة المدرسية لكان الجو المدرسي جوّاً صحياً صالحاً ، يفيض غبطة وسروراً ، ولتنسم التلاميذ نسيم الأمل والتفاؤل ، وأقبلوا على الدراسة بنفوس راضية ، وقلوب مطمئنة ، ولكانت علاقتهم بالمدرسين علاقة إخلاص ووفاء ، ومودة وصفاء : علاقة حنان وعطف ومعاونة من جانب المدرس ، واحترام وطاعة من جانب التلميذ ، ولاعترف المدرس بشخصية التلميذ ، والتلميذ بشخصية المدرس ، ووثق كل منهما بنفسه وبالأخر ، ووجدت بين الشخصيتين رابطة تعاون وتآلف ، لا أثر فيهما للتنافر والتخالف ، ولسار الجميع نحو الغاية المنشودة آمنين مطمئنين ، فرحين مستبشرين .

وليس الزعيم السياسي ، والمصلح الاجتماعي بأقل حاجة إلى تطبيق مبادئ العلاج النفساني من الطبيب والمدرس ؛ فإن علاج عيوب المجتمع ، واتجاهاته الخاطئة ،

وأمرضه الاجتماعية - يجب أن تخضع للمبادئ نفسها التي يخضع لها علاج عيوب الفرد  
وأمرضه الخاصة . ومعنى ذلك أن على المصلح الاجتماعي أن يدرس أمراض المجتمع  
وعيوبه دراسة وافية ؛ كي يعرف أسبابها الحقيقية ، والظروف الخاصة التي نشأت عنها ،  
فإن معالجة هذه الأمراض لا تفلح إلا إذا سبقها تشخيص صحيح لها ، ومعرفة تامة  
بأسبابها ، والظروف التي أوجدتها . وقد يكون من الضروري للوصول إلى ذلك  
الغرض تتبع تاريخ الأمة ، ودراسة الحوادث الماضية ، التي عسى أن تكون مسئولة  
عن نشأة هذه الأمراض كلها أو بعضها .

وبعد تشخيص الأمراض ، والعلم التام بأسبابها ، وبالظروف والملابسات التي ساعدت  
على نشوئها يستطيع المصلح الاجتماعي أن يشرع في إصلاح المجتمع ، ومعالجة أمراضه .  
وليس العلاج المسكن الظاهر المؤقت بنافع ؛ لأنه لا يؤدي إلى نتائج حاسمة دأمة . وإنما  
العلاج النافع المؤدى إلى الأغراض المنشودة هو العلاج الحاسم ، الذي يقطع دابر  
العيوب ، ويجتث جذور الأمراض ، ويقضى عليها القضاء المبرم .

وكما قلنا إن العلاج النفساني لا يتم إلا إذا علم المريض حقيقة المرض ، وعرف  
أسبابه والظروف التي دعت إليه ، نقول هنا : إن علاج المجتمع لا يتم - ولا يمكن أن يتم -  
إلا إذا بذل المصلح غاية جهده في مصارحة أفراد المجتمع ، وجعلهم يشعرون شعوراً  
تاماً بأمراضهم الاجتماعية ، وذلك بتصويرها لهم تصويراً صحيحاً دقيقاً ، وشرحها لهم  
شرحاً مستفيضاً ، يشمل حقائقها وأسبابها ، وما يترتب عليها من أضرار قد تحيق  
بالشعب ، ونتائج سيئة قد تفتك بالأمة ، وتقضى على كيانها ، وتذهب بشخصيتها ،  
وتجعلها لقمة سائغة في أفواه الأعداء .

يقول بعض الفلاسفة : « إن الشعور بالنقص أول خطوة نحو الكمال . » فمن الواجب  
أن نكون صرحاء أمام أنفسنا ، وأن يواجه بعضنا بعضاً بالحقيقة - وإن كانت مرّة ،



وبالواقع وإن كان مؤلماً . يجب أن يقول كل منا للمخطيء : أنت مخطيء ، وإن كان صديقه أو أباه ؛ فالحق فوق الصداقة ، بل فوق الأبوة ؛ فقد قال إبراهيم لأبيه آزر : « أتتخذ أصناماً آلهة ، إنى أراك وقومك فى ضلال مبين . » ولا نكتفى بذلك ؛ بل يجب أن نرشد الضالين إلى الصواب ؛ فالؤمن مرآة أخيه وناصحه ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة » .

ومعاونة أفراد المجتمع بعضهم لبعض على إصلاح عيوبهم وعلاج أمراضهم ضرورية ، كمعاونة أعضاء الجسم الواحد بعضها لبعض على شفاؤه وصلاحه . وتعاون أفراد المجتمع ، والمصلحين ، والزعماء على إصلاح المجتمع ، وحسن إرشاده - ضرورى جداً ؛ إذ هو بمنزلة تعاون المريض والطبيب على علاج المرض ، وتعاون التلاميذ وأولياء أمورهم على التربية .

ولا تكفى معاونة أفراد المجتمع وجماعته للزعماء المصلحين على تحسين أحوالهم ، بل يجب أن يعتمد المجتمع على نفسه فى ذلك إلى حد كبير جداً ، ولا يستسلم للزعماء استسلاماً تاماً ، وأن يكون موقفه منهم موقف اليقظة ، والحيطه ؛ فلا يكتفى بالأدوية التى يصفونها ، وأنواع العلاج التى يقترحونها ، بل يبحث عن أدوية أخرى ، ويعين له من نفسه رقباء عليه ، مرشدين له ، أطباء لنفوس أفراده المريضة ، مصلحين لأخلاقهم المعوجة . وفى الحق إنه لا يرجى صلاح لأمة لا يدعو بعضهم بعضاً إلى الخير ، ولا يأمرونهم بالمعروف ، ولا ينهونهم عن المنكر ؛ فقد مدح الله تعالى الأمة الإسلامية ، فقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر » . وقال عن الكافرين من بنى إسرائيل : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

إن بمجتمعنا المصرى عدة عيوب ؛ فقد انتابته الملل الجثمانية ، وأصيب بسوء التفكير ، وسرت فيه الأمراض الاجتماعية والحلقية سرعان السم فى الدسم . ولست بحاجة إلى سرد هذه الأمراض ؛ فكلنا يعرفها ، ويأسف كل الأسف لشيوعها بيننا . ولا سبيل إلى التخلص منها إلا أن تستعد لهاجتها والكر عليها جميع القوى المادية والمعنوية التى يمكن إعدادها ، من قوى الأفراد إلى قوى الجماعات ، ومن قوى الصغار إلى قوى الكبار ، ومن قوى المحكومين إلى قوى الحاكمين . ويجب أن تتضافر هذه القوى جميعها ، وتعاون ، وتسير وتجد فى السير ، لا تكمل ولا تمل ، حتى تصل إلى الغاية .

وليس بخاف على القارئ الكريم أن للإيجاء هنا من الأثر ماله فى علاج أمراض الفرد ، وتربية الناشئين ؛ فالجواهر مطبوعة على أن يتأثر بعضهم ببعض بهذه الوسيلة النفسية تأثيراً كبيراً ، فسرعان ما تروج بينهم الإشاعات ، وتسير فيهم الأفكار والآراء ؛ يأخذونها عن المجلات والصحف ، أو عن أفواه من يثقون به ثقة عمياء ، فيتخذونها أفكاراً لهم ومبادئ ، كأنها أفكارهم ومبادئهم . وكثيراً ما تنتقل الأوهام والخرافات والخاوف من جماعة إلى أخرى بهذه الوسيلة نفسها - انتقال جرائم الأمراض المعدية من المرضى إلى الأصحاء ؛ فليتنبه المصلحون إلى ذلك ، وليعملوا على الانتفاع بهذه الظاهرة النفسية فى ترويح الآراء الصحيحة ، والمبادئ السليمة التى تبث فى نفوس الناس الشرف ، والنزاهة ، والمروءة ، والعزة القومية ، والكرامة الوطنية ، والتفائل ، والثقة بالنفس ، والاعتماد عليها ، وقوة العزيمة ، وغير ذلك من العادات القويمة . وليتخذوا الإيجاء سلاحاً ماضياً يقضون به على المبادئ الفاسدة ، والعقائد الباطلة التى انتشرت الآن بين جمهرة الشعب ، فأدت إلى أخلاق فاسدة ، وسلوك معوج .

وكما نحن فى حاجة إلى اتخاذ تدابير علاجية حاسمة لقطع دابر الأمراض والملل

بجميع أنواعها أرانا في حاجة أيضاً إلى وسائل وقائية فعالة لتنشئة جيل جديد قوى، سليم الجسم متين الخلق . ولا سبيل إلى ذلك إلا تربية جديدة تقوم على أسس تربوية سليمة ، وقواعد علمية صحيحة .

وهذه التربية الجديدة يجب أن تبدأ من طرفين : من الطرف الأعلى ، وأعنى بذلك أن نربي الكبار من أولياء الأمور من جديد . ومن الطرف الأسفل ، وأريد بهذا تربية الناشئين تربية جديدة . وأعباء التربية في كلتا الحالين ملقاة على كواهل الكبار ؛ فهم المسئولون مباشرة عن تربية أنفسهم أولاً، وعن تربية أبنائهم ثانياً - تربية شاملة للجسم والعقل الخلق .

إن هذا الجيل الناشئ سيكون منه رجال المستقبل ، فلننكر في هذا المستقبل ، وفيما عسى أن يأتي به من انقلابات ، ولنعدله هذا الجيل إعداداً كاملاً . إن كلاً منا مسئول أمام الله ، وأمام ضميره ، وأمام وطنه عن نفسه وأهله ووطنه ؛ فلينظر أين موقفه من كل هؤلاء .

\*\*\*

قد ظهر لنا الآن ما للعلاج النفساني ، أو علم النفس الطبي ، والإمام بأصوله وطرائقه من فوائد جمة تعود على الطبيب ، والمربي ، والمصلح الاجتماعي . وإني لأعجب - وفي الوقت نفسه أسف - لأن هذه المادة ليست من المواد التي يُعنى بها العناية اللائقة بها في كليتي الطب بجامعة فؤاد وفاروق ؛ فمسي أن يتنبه أولو الأمر إلى أن الوقت قد حان لأن تجعل هذه المادة من بين المواد الأساسية التي تدرس بهاتين الكليتين . وأعود فأقول - وأكرر القول - إن هذه المادة هامة جداً للمدرسين ؛ فكثير من الأطفال يصبحون فريسة للأحلام والأوهام ، وتمتعهم نوبات عصبية أو اضطرابات نفسية ، وحالات انفعالية خاصة قد تجنح بهم إلى سلوك شاذ . فإن لم يتنبه المدرس

إليها فقد يخطئ في تقديرها ، بل قد يعاقب المصاب عليها أو يسخر منه ، في حين أنه لو كان ملماً بعلم العلاج النفساني لأشفق عليه ، وقدّر ظروفه ، وسلك معه مسلك الطبيب يشخص الداء ، ويصف الدواء ؛ ففي رأبي أنه من الواجب أن تدرس هذه المادة على أنها فرع من فروع علم النفس بماهده المعلمين والمعلمات .

وقد علمت أن هذا العلم نشأ في الشرق ، ونما به وترعرع ، ثم انتقل إلى الغرب فزها وازدهر ؛ فإن نحن أعدناه وانتفعنا به كان بضاعتنا ردت إلينا . فلنعمل على أن يعاد إلينا ، ويرتفع شأنه بيننا . ولنعرف للشرق فضله ؛ فهو دائماً مبعث النور ، ومنبع الحكمة ، ومنهل العرفان .

لنتجه في نهضتنا إلى الشرق المشرق ، والحضارة الشرقية التي ازدهرت حيناً من الدهر ، فقد نجد في بقاياها ما يعيننا ، ويسد حاجتنا ، ويرشدنا إلى الطريق السوي . وليس من الحزم في شيء أن نتجه دائماً إلى الحضارات الغربية ، ونحن نراها تنهار ، وتحترق ، ويأكل بعضها بعضاً .

أيها الشرقيون : إن لنا تاريخاً فلنعتبر به ، وإن لنا حضارة فلنقتبس من نورها .

لا تقولوا حطنا الدهر فما	هو إلا من خيال الشعراء
هل علمتم أمة في جهلها	ظهرت في المجد حسناء الرداء
باطن الأرض من ظاهرها	إنما السائل من لون الإناء
نخذوا العلم على أعلامه	واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقروا تاريخكم واحتفظوا	بفصيح جاءكم من فصحاء
أنزل الله على أسنهم	وحيه في أعصر الوحي الوضاء
واحكموا الدنيا بسطان فما	خلقت نضرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض فإن	هي ضاقت فاطبوه في السماء

# مراجع الكتاب

أولاً - باللغة العربية

- ١ - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام محمد فخر الدين الرازي - طبعة المطبعة الشرفية المصرية سنة ١٣٢٧ هـ
- ٢ - تفسير القرآن الكريم المسمى «روح المعاني» للعلامة الآلوسي - طبعة المطبعة البهية ببولاق سنة ١٣١٠ هـ
- ٣ - الشفاء في الفلسفة للشيخ الرئيس ابن سينا - طبعة إيران سنة ١٣٠٣ هـ
- ٤ - القانون في الطب « » « » - دار الطباعة (المطبعة الأميرية) سنة ١٢٩٤ هـ
- ٥ - تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه - طبعة المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٩ هـ
- ٦ - مقاصد الفلاسفة للإمام أبي حامد الغزالي - طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٣١ هـ
- ٧ - تهذيب الأخلاق المنسوب لمحي الدين بن عربي - الرسالة الخامسة من مجموعة الرسائل الكبرى - طبعة مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٨ هـ
- ٨ - المقدمة للعلامة ابن خلدون - طبعة المطبعة الخيرية المصرية سنة ١٣٢٢ هـ
- ٩ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة - طبعة المطبعة الوهبية المصرية سنة ١٢٩٩ هـ
- ١٠ - إخبار العلماء بأخبار الحكماء للفقهي - طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ
- ١١ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي - طبعة المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٢ هـ
- ١٢ - العهد القديم
- ١٣ - العهد الجديد

ثانياً - باللغة الفارسية

١٤ - چهارمقاله للنظامى العروضى السمرقندى مطبعة ليدن بهولنده سنة ١٣٢٧ هـ

ثالثاً - باللغة الإنجليزية

- 15 - Dictionary of Psychology and Philosophy, Edited by Baldwin, Articles : Magic, Insanity, Sanity, Psychotherapy and Psychopathology.
- 16 - Psychotherapy, Scientific and Religious, by Marcus Gregory.
- 17 - Principles of Psychotherapy, by Dr. Pierre Janet.
- 18 - Psychotherapy, Its Doctrine and Practice, by Elizabeth Severn.
- 19 - Fundamentals of Psychiatry, by Edward A. Strecker.
- 20 - A Handbook of Psychiatry, by Lichtenstein and Small.
- 21 - The Psychology of Medicine by T. W. Mitchell.
- 22 - Medical Psychology and Psychical Research, by T.W. Mitchell
- 23 - The Problems of Psychopathology, by T. W. Mitchell.
- 24 - Mind and Medicine, A Lecture, by W. H. R. Rivers.
- 25 - Temporary Schools of Psychology, by Robert S. Woodworth.
- 26 - A Hundred Years of Psychology, by J. C. Flugel.
- 27 - A Manual of Mental Diseases, by Lodge Patch.
- 38 - Self Mastery Through Consious Autosuggestion, by Emile Coué
- 29 - Mental Self Help, by Edwin Ash.
- 30 - Self Training, by Ernest Hunt.
- 31 - Your Inner Self, by Louis E. Disch.
- 32 - The New Psychology, by Mc. Lellan.

# فهرس الكتاب

صفحة الموضوع

٣ - التمهيد

٩ - الباب الأول

عرض تاريخي للعلاج النفساني

- ١١ - الفصل الأول : العلاج النفساني قبل ظهور السيد المسيح ، ١ - العلاج  
بالسحر : (١) تمهيد : السحر وتأثيره في النفوس ، ١٦ - ٢ - العلاج بالسحر في  
مصر القديمة، ١٦ - ٣ - العلاج بالسحر في بابل ، ١٨ - ٤ - العلاج بالسحر في بلاد  
الإغريق ، ٢١ - (ب) العلاج بالتدين والتطهر من الذنوب، ٢٤ - (ج) شرح وتعليق .  
٣٣ - الفصل الثاني : العلاج النفساني في القرون المسيحية الأولى (١) علاج  
المرضى على يد السيد المسيح، ٣٦ - (ب) علاج المرضى على يد القديسين المسيحيين .  
٤٠ - الفصل الثالث : العلاج النفساني في جاهلية العرب وصدر الإسلام  
(١) في الجاهلية ، ٤٥ - (ب) العلاج بالقرآن .  
٥٠ - الفصل الرابع : العلاج النفساني عند فلاسفة العرب ،  
(١) - علاج الأمراض الجسمية والعقلية ، ٥١ - ابن سينا يعالج مرض العشق ،  
٥٤ - ابن سينا يعالج مرض المانخوليا ، ٥٦ - ابن سينا يتحدث  
عن علاج الرثية (الروماتزم) ، ٥٧ - جبريل طيب الرشيد يعالج الرثية ، ٥٨ - محمد  
ابن زكريا الرازي يعالج الرثية ، ٦١ - ابن سينا يشرح الأساس الفلسفي للعلاج  
النفساني ، ٦٢ - ابن مسكويه يشرح الأساس الفلسفي للعلاج النفساني ،  
٦٣ - الإمام الغزالي يشرح الأساس نفسه ، ٦٣ - (٢) - علاج الأمراض الخلقية  
عند العرب ، ٦٥ - رأى ابن مسكويه في تأثير الغضب في الجسم والعقل والسلوك ،

- ٦٧ - رأى ابن مسكويه في أسباب الغضب ، ٦٧ - رأى الإمام الغزالي في أسباب الغضب ونتأجه ، ٧٠ - رأى الإمام الغزالي في طرائق علاج الغضب ، ٧٤ - محي الدين ابن عربي يبين آثار الغضب ، ٧٦ - محي الدين ابن عربي يبين طرائق علاج الغضب .
- ٧٩ - الفصل الخامس : العلاج النفساني في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر : (١) في أوربة : ٧٩ - النظرية المسمرية - المغناطيسية الحيوانية ، ٨٠ - طريقة أبي فاريا : التنويم المغناطيسي في رأى بريد وشاركوت ، ٨١ - طريقة مدرسة نانسي ومسيو كوى - العلاج بالإيجاد ، ٨٢ - (ب) في أمريكا : علاج «العلماء المسيحيين» ، ٨٥ - خلاصة مذهبهم ، ٨٨ - العلاج الجئمانى أو الطبيعى .
- ٩٢ - الفصل السادس : العلاج النفساني في القرن العشرين ، ٩٢ - ١ - تمهيد في نشأة التحليل النفساني ، ٩٥ - (ب) فرويد ، ٩٧ - رأيه في تكون العقل ، ٩٨ - العقل الباطن في نظره ، ٩٩ - منزلة الغريزة الجنسية عنده ، ١٠٠ - (ح) بين فرويد وآدلر ، ١٠٠ - رأى آدلر في منشأ الأمراض العصبية ، ١٠١ - رأيه في أسلوب الحياة وعوامل تكونه ، ١٠٢ - الغرض من التحليل النفساني في نظره ، ١٠٣ - (د) بين فرويد ويونج ، ١٠٤ - رأى يونج في أسباب الأمراض العقلية ، ١٠٦ - رأيه في اللمبدو .

## الباب الثانى

### أسباب الأمراض العقلية وطرائق علاجها

- ١٠٩ - الفصل السابع : صحة العقل ومرضه .
- ١١٤ - الفصل الثامن : الأمراض العقلية : - أسبابها - أقسامها - تشخيصها ، ١١٤ - بين المرض الجئمانى ومرض العقل ، ١١٥ - لكل مرض عقلى سبب ، ١١٦ - أسباب الأمراض العقلية : الأسباب المعرضة : ١١٧ - الوراثة ،



١١٨ - السنّ ، ١١٩ - العوامل البيئية العامة ، ١٢١ - العوامل البيئية الخاصة ،  
١٢٢ - المهنة ، ١٢٣ - الإصابة السابقة ، ١٢٤ - الأسباب المثيرة أو المباشرة التي  
يغلب فيها التأثير الجثماني ، ١٢٦ - الأسباب المباشرة التي يغلب فيها التأثير العقلي ،  
١٢٦ - أثر الانفعالات في الحياة ، ١٢٨ - أثر ضبط الانفعالات في توجيه السلوك  
وتقويمه ، ١٢٩ - حقائق هامة خاصة بالانفعالات ، ١٣١ - تقسيم الأمراض العقلية:  
الأمراض العضوية - الأمراض الوظيفية - الأمراض التسممية ، ١٣٢ - اختبار  
المريض وتشخيص مرضه .

١٣٤ - الفصل التاسع : الأسس التي يقوم عليها العلاج النفساني ،  
١٣٤ - الأساس الأول : العلاقة بين الجسم والعقل ، ١٣٥ - تأثير الجسم في العقل ،  
١٣٦ - تأثير العقل في الجسم ، ١٣٨ - الأساس الثاني - الأساس الثالث ،  
١٣٩ - الأساس الرابع ثم الخامس ثم السادس ، ١٤٠ - ابن مسكويه يفرق بين المرض  
العقلي والمرض الجثماني .

١٤٢ - الفصل العاشر : طرق العلاج النفساني ، ١٤٢ - شروط العلاج  
الخاصة بالمريض ثم الخاصة بالطبيب ، ١٤٣ - وسائل العلاج العامة ،  
١٤٤ - وسائل العلاج الخاصة : العلاج الجثماني - التنويم المغناطيسي -  
١٤٤ - (٣) التحليل النفساني .

١٤٦ - (٤) الإيحاء ، ١٤٩ - (٥) التحريض ، ١٥٠ - (٦) تحديد التربية ،  
١٢٥ - (٧) التنفيس .

الخاتمة . العلاج النفساني والتربية .

١٥٣ - إثر الإيحاء في التربية ، ١٥٦ - آثار تطبيق قوانين العلاج النفساني في الحياة  
المدرسية وفي إصلاح المجتمع ، ١٦١ - مراجع الكتاب .

استدراك

		س	ص
الصواب	الخطأ		
الرقية	الرقبة	٥	٤٣
الرجال	الرجاء	١١	»»
للغرضين	للفرضين	٦	٤٤
للأغراض	للأمراض	٧	»»
فمتضمن المبادئ	فمتضمن من المبادئ	٨	٩٩
مال إليه	مال إليها	٧	١٠٢
يستمر	يصير	١٠	١٠٣
تفرض	تفرض	١٧	١٢٠
شزرا	شذرا	٤	١٢٢
تعرفها	تعريفها	١٠	١٢٦
الذي	التي	١١	»»»
إذا صلح	إذا أصلح	١٨	»»»
فكذلك	كذلك	٣	١٢٧
إلى أن تظهر آثارها	إلى أن آثارها	٦	١٣١
كما نجد	كما نجد	٩	١٤٠

٤٣٦

# مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

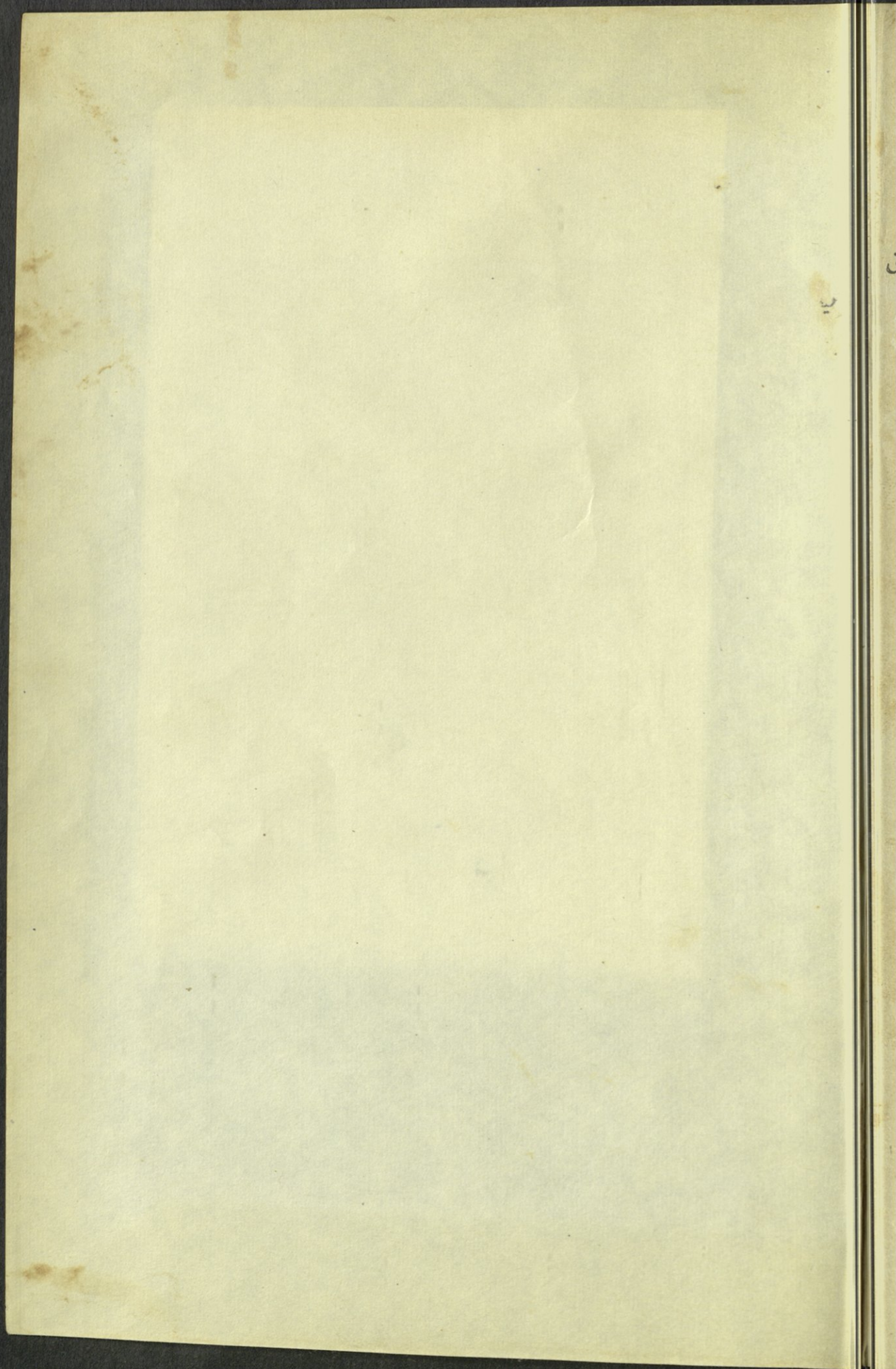
بصرف على إصدارها: الدكتور منصور فهمي باشا رئيس الجمعية؛ والدكتور علي عبد الواحد في وكيلها

يشارك فيها أعلام الباعثين في الفلسفة والاجتماع. تستأنف النهضة العلمية في الشرق وتجعل مسائل الفلسفة في متناول الجميع، ضرورة لكل متقف وباحث.

ظهر منها:

- ١ - فيلسوف العرب والمعلم الثاني : للأستاذ الأ كبير الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر والرئيس الفخرى للجمعية
- ٢ - الأسرة والمجتمع : للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي أستاذ الاجتماع بكلية الآداب
- ٣ - شخصيات ومذاهب فلسفية : للدكتور عثمان أمين مدرس تاريخ الفلسفة بكلية الآداب
- ٤ - الحياة الروحية في الإسلام : للدكتور محمد مصطفى حلمي مدرس الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب
- ٥ - الملامتية والصوفية وأهل الفتوة : للأستاذ الدكتور أبو العلاء عفيفي رئيس قسم الفلسفة بجامعة فاروق
- ٦ - التصوف وفريد الدين العطار : للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام بك عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول
- ٧ - المسئولية والجزاء : للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي أستاذ الاجتماع بكلية الآداب

- ٨ — التنبؤ بالغيب عند مفكرى الإسلام : للدكتور توفيق الطويل  
مدرس الفلسفة بجامعة فاروق الأول
- ٩ — الدين والوحى والإسلام : للأستاذ الأ كبير الشيخ مصطفى عبدالرازق  
شيخ الجامع الأزهر والرئيس الفخرى للجمعية
- ١٠ — اللغة والمجتمع : للأستاذ الدكتور على عبدالواحد وافي  
أستاذ الاجتماع بكلية الآداب
- ١١ — إرادة الاعتقاد لوليم چمس : ترجمة الدكتور محمود حب الله  
أستاذ الفلسفة وعلم النفس بكلية أصول الدين
- ١٢ — المشكلة الأخلاقية والفلاسفة : ترجمه الدكتور عبد الحلیم محمود  
المدرس بكلية اللغة العربية  
لأندريه كريسون
- : والأستاذ أبو بكر زكري  
المدرس بكلية أصول الدين
- ١٣ — العلاج النفساني قديماً وحديثاً : للأستاذ حامد عبد القادر  
الأستاذ بكلية دار العلوم





131.3:A13A:c.1

عبد القادر، حامد

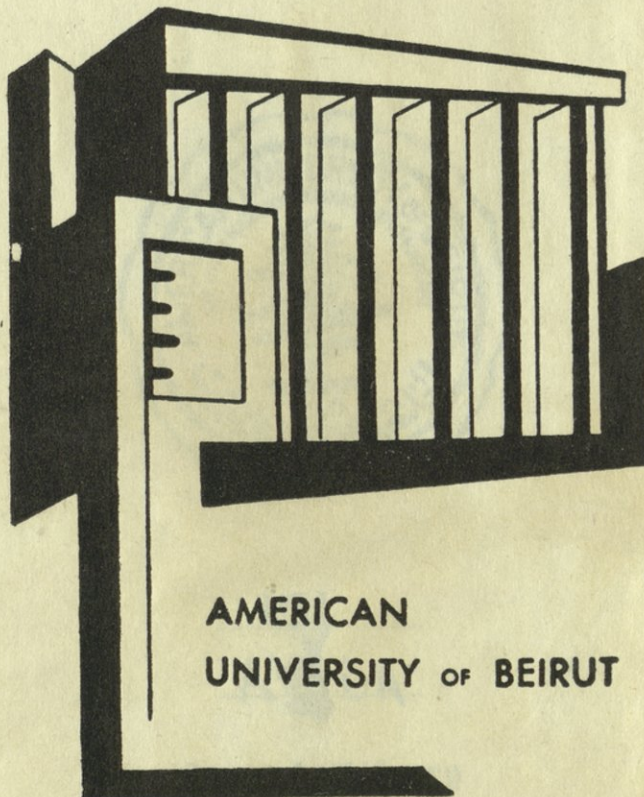
العلاج النفساني قديماً وحديثاً

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01001533

American University of Beirut



AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT

